تاريخ الشرق الادنى القديم
دراسات وابحاث

د. اسامة عدنان يحي



اشوربانيبال

تاريخ الشرق الادنى القديم

دراسات وابحاث

تاريخ الشرق الادنى القديم

دراسات وابحاث

تاريخ الشرق الادنى القديم

دراسات وابحاث

د. اسامة عدنان يحيى

استاذ التاريخ القديم المساعد

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب



اشوربانيبال

History Of Ancient Near East	تاريخ الشرق الادنى القديم
Studies and Research	دراسات وابحاث
Dr. Usama Adnan Yahiya	د. اسامة عدنان يحيى

الطبعة الاولى2015

العراق-بغداد
البريد الالكتروني: ashurbanipal668@yahoo.com

تاريخ الشرق الادنى القديم دراسات واحاث
د. اسامة عدنان يحيى

The first Printing in 2015

Iraq-Baghdad
E-mail: ashurbanipal668@yahoo.com

History Of Ancient Near East Studies and Research
By: Dr. Usama Adnan Yahiya



اشوربانيبال

الفصل الاول

بلاد أشور في عصر فجر السلالات[1]

---

[1]) البحـــث منشـــور فـي مجلـــة الدراســـات التاريخية/كليـــة التربيـــة الاساســـية/الجامعة المستنصرية/العدد:٨/لسنة:٢٠١٠.



يجد الدارس لحضارة وادي الرافدين صعوبة الفصل بين التاريخ الأشوري والتاريخ العام لهذه الحضارة، نظرا للتماثل الكبير بين مختلف المظاهر الحضارية لهذا البلد. لكن دراسة الحقبة المبكرة في تاريخ أشور تشكل ضرورة ملحة من اجل استيعاب الأصول الأولى للحضارة الأشورية، والتي تتسم بالصعوبة البالغة في متابعتها، إذ إن دراسة هذه الحقبة تصطدم بعقبات كبيرة، فعلى العكس من الجنوب الذي وصلنا منه كتابات غزيرة سواء نصوص تاريخية(قوائم ملوك، كتابات ملكية، نصوص نذرية)،أو نصوص أدبية(أساطير، ملاحم، مراثي، أدب مدرسي)،أو نصوص قانونية (عقود اقتصادية، عقود زواج، قوائم جرايات، نصوص إصلاحات)،أو نصوص دينية(تراتيل، أدعية، قوائم بأسماء الآلهة) التي تقدم مادة غنية ومهمة للباحث في العصور المبكرة لبلاد سومر، ولكن في بلاد أشور فان الأمر مختلف، ففي العصور المبكرة، لاسيما في عصر فجر السلالات (Early Dynastic Period)،فإننا لا نمتلك أي وثائق من اجل بناء تصور واضح حتى لو كان جزئيا عن بلاد أشور، وقد أشير إلى هذه الحالة من قبل المنقب الألماني فالتر اندريه (Walter Andréa) انه في أشور نعاني: "من غياب كامل للنصوص الكتابية"[١].لذا فان اعتمادنا الكلي في كتابة تاريخ أشور في هذا العصر سيعتمد بالدرجة الأساس على المادة الاثارية المتوفرة والتي كشفت عنها التنقيبات الاثارية، ومن ثم الإشارات القليلة التي وردتنا من وثائقنا في الجنوب أي بلاد سومر.

يسمى هذا العصر في بلاد أشور بعصر الطبقة (G-H)[٢]،وان معرفتنا عن هذا العصر ،من الناحيتين السياسية والحضارية ناقصة، وغامضة، لاسيما في الطورين الأول والثاني من عصر فجر السلالات[٣]،إلا انه في الطور الثالث من

---

١) فالتر اندريه،معابد عشتار القديمة في أشور،ترجمة:عبد الرزاق كامل الحسن،(بغداد:المؤسسة العامة للآثار والتراث،١٩٨٦)،ص٢٧.

٢) لقد أطلق عليها المنقب الألماني اندريه هذه التسمية.

٣) أول من أطلق على هذا العصر تسمية عصر فجر السلالات هو العالم الهولندي هنري فرانكفورت بعد التنقيبات التي أجراها في منطقة ديالى، ويقسم هذا العصر إلى ثلاثة حقب زمنية هي:

هذا العصر أخذت تصلنا بعض المعلومات عن هذه المنطقة[1].ويؤرخ المنقب اندريه عصر الطبقتين (G-H) بفترة زمنية ترقى إلى الألف الرابع-الثالث قبل الميلاد[2].هذا ويعد اندريه إن شعب الطبقة (G) معاصرين لسلالة لكش(Lagaš) الأولى أي في عصر فجر السلالات الثالث[3].لذا لابد من تخفيض تواريخ اندريه وربما كان عصر الطبقة (H)في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد.

لا نعرف شيء عن التنظيم السياسي لبلاد أشور خلال هذا العصر، ويعتقد احد الباحثين انه على الرغم من ورود إشارات عن شمال بلاد الرافدين لكنها لم تذكر الأشوريين، مما يؤكد على أنهم لم يؤسسوا بعد كيان سياسي لهم[4].ونمتلك إشارة في كتابة لـ (اياناتوم) (Eanatum) حاكم من سلالة لكش الأولى انه واجه حلفا عسكريا أقيم بين عيلام(Elam) وبلاد سوبار(Subar) ومدينة أورو- أ (Uru-a)وانه انتصر عليهم أو كما يقول اياناتوم:

elam Subar^{ki} Uru-a^{ki} a-Šhur-ta tum-Šè bi-Šè

أي: "عيلام (و) سوبار (و) أورو- أ، وذلك ابتداءً من قناة اشخور، بالسلاح قد ضربها"[5].

إن الذي يهمنا في النص هو اشتراك سوبار في الحلف، وهو الاسم المرادف لبلاد أشور، ومن الجدير بالملاحظة إن اياناتوم يذكر سوبار، وبعدها

١.عصر فجر السلالات الأول (٢٨٠٠-٢٧٠٠ قبل الميلاد).

٢. عصر فجر السلالات الثاني(٢٧٠٠-٢٥٥٠ قبل الميلاد).

٣. عصر فجر السلالات الثالث(٢٥٥٠-٢٣٧١ قبل الميلاد).

للمزيد من التفاصيل عن هذا العصر وتطوراته السياسية والحضارية انظر:طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(لندن:دار الوراق،٢٠٠٩)،ج١،ص٢٧٩-٣٨١.

١) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٣١٢.

٢) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٢٥.

٣) المصدر نفسه،ص٢٨.

٤) زياد عويد سويدان المحمداوي،التطورات السياسية في بلاد الرافدين:العهد الأشوري الوسيط،(رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،٢٠٠٣)،ص٢٥.

٥) فوزي رشيد،ترجمات لنصوص سومرية ملكية،(بغداد:بلا.مط،١٩٨٥)،نص رقم:٥،العمود:٦،الأسطر:١٧-١٩.

اللاحقة (Ki) والمعروف إن هذه اللاحقة تتبع أسماء المدن والمناطق[1]،الأمر الذي يشير إن الاسم سوبار ذا دلالة جغرافية وليس قومية. وان هذا النص يشير إلى مسألتين مهمتين وهما:

-المسألة الاولى: اشتراك سوبار(Subar) في حلف عسكري مما يشير إلى امتلاكها قوة عسكرية معدة للحرب.

-المسألة الثانية هي إنها أقامت علاقات سياسية مبكرة مع المناطق المجاورة.

ان ذلك الاستنتاج يصطدم بشكل مؤكد مع نتائج التنقيبات الاثارية، فقد أشار اندريه إن سكان أشور خلال عصر الطبقتين(G-H) كانوا على ما يبدو مسالمين، إذ لم تكشف التنقيبات عن أية تركة حربية لهم، فصحيح إن هيكل الآلهة ليس المحل المناسب لكي يزين بالأسلحة، لكن لابد من وجود اثر ما في موضع ما من المدينة لتلك الأدوات، كذلك لم يبق شيء من التحصينات الأشورية لتلك الفترة السحيقة، ويرى هذا المنقب انه يجب أن ننسب القبور القديمة التي حرص السكان على أن يدفنوا فيها مع الرجال أسلحة برونزية، إلى ادوار أشورية لاحقة، ربما منتصف أو نهاية الألف الثالث قبل الميلاد(لابد من التذكير هنا إن تواريخ اندريه مرتفعة) بسبب ما تحويه من الأواني الفخارية[2].لذا يفترض اندريه إن بلاد أشور خلال هذه الفترة لابد إنها عاشت تحت حماية قوية، ولم تكن هذه الحماية إلا من الجنوب، بل يذهب اندريه إلى ما هو أكثر، ويقول انه ربما كان شعب الطبقة (G)أصلا من السومريين (يسميهم اندريه بابليين نسبة لبلاد بابل)،أي إن بلاد أشور كانت خاضعة سياسيا إلى إحدى الدويلات الجنوبية، ويستند اندريه في رأيه هذا إلى عدة أسباب وهي:

١.تشييد سكان أشور في هذا العصر معبدهم حسب الخطة الجنوبية.

٢.الاختلافات الملفتة للأنظار التي تظهر في رؤوس التماثيل، والتي افترض سابقا ماير (Meyer) وجود عرقين من البشر متعايشين جنبا إلى جنب. وهذه المسألة تتعلق بالرجال فقط، حيث يبدو بعضهم حليقي الرؤوس فضلا عن اللحية،

---

1) MDA,P.22.

كذلك:فوزي رشيد،قواعد اللغة السومرية،(بغداد:مديرية الثقافة العامة،١٩٧٢)،ص٢٣.

٢) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٢٨.

وهذا نشاهده أيضا في الجنوب لاسيما في بسمايا، وتلو، بينما يظهر رجال آخرون حليقي اللحية أيضا لكن لهم شعر غزير منسدل إلى الخلف، حيث يستقر فوق الرقبة على شكل ضفيرة. ويصادفنا هذا الشكل في أعمال النحت في بسمايا، ونفر وتلو.

٣.وجود تناقض بين التماثيل الأشورية والسومرية، إذ تغيب تماما النقوش الكتابية من التماثيل الأولى التي تظهر في معظم التماثيل السومرية، وهنا يتساءل اندريه هل إن شعب أشور يجهل الكتابة ؟ إن ذلك غير ممكن برأي المنقب، فقد عثر في منطقة القصر القديم في أشور على كسر لرقم مشوية تحمل علامات كتابية، وقد وجدت هذه الكسر في الطبقات العميقة جدا التي لابد إنها تتطابق مع طبقة المعبد (G)أو (H). ولهذا يرى هذا المنقب بأنه ربما كانت الكتابة على التماثيل امتيازا للأمراء الكبار، بينما كان يجب على الأمراء الأصغر شأنا الاكتفاء بصنع تماثيل فقط دون نقش أية نصوص.

من خلال ذلك يخلص اندريه إلى نتيجة مفادها إن شعب الطبقة(G) كان تابعا لأحد الحكام من الجنوب، كما حصل لزريقوم الذي حكم لاحقا في عصر سلالة أور الثالثة[1].غير إن هناك أسباب وجيهة تجعلنا نرفض رأي اندريه، وان أشور في هذا العصر لم تكن خاضعة للجنوب، فبالنسبة للحجة الأولى الخاصة ببناء السكان معابدهم على غرار المعابد البابلية، فلا يشكل دليلا على سيطرة سياسية من الجنوب، طالما إن المؤرخين يؤكدون إن بلاد أشور كانت خاضعة طوال الألف الثالث قبل الميلاد لمؤثرات قادمة من الجنوب. وان القول بوجود عرقين من البشر في أشور على أساس الاختلاف في النحت، هو أمر لا يمكن الركون إليه، لان المنحوتات تخضع للأذواق الفنية أكثر مما تعكس اختلافات عرقية، فضلا عن إن استخدام المنحوتات كأدلة لاختلافات قومية أصبح مرفوضا من قبل الباحثين المحدثين[2].وان غياب النقوش من التماثيل الأشورية ربما يعود بالفعل إلى عدم معرفة السكان بالكتابة، ويبدو إن هذا الأمر هو الذي جعلنا لا نشهد وثائق كتابية من هذا العصر في أشور، ويشير العالم

---

١) المصدر نفسه،ص٢٨-٢٩.

٢) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٧٩-٨٠.

الألماني اوتو ادزارد إلى حقيقة إن العلاقات بين بلاد بابل وبلاد أشور كانت مغلقة إلى درجة ما، بسبب وجود جبل حمرين، وهو فرع من سلسلة جبال زاگروس، والصحراء الواقعة إلى الجنوب منه. ويعتقد ادزارد إن ذلك هو السبب في عزلة بلاد أشور لذلك فإنها لم تحصل على الكتابة إلا في وقت متأخر كثيرا عن بلاد بابل، فهناك بعض النصوص تظهر في أشور فقط خلال الفترة الأكدية[1].وان الافتراض الذي يقول إن غياب النقوش الكتابية من التماثيل في أشور بسبب إن ذلك امتيازا خاصا بالأمراء الكبار، وليس من حق الأمراء الأصغر شأنا يتناقض مع نتائج التنقيبات الاثارية في مدن اخرى غير اشور مثل ماري، فقد عثر في ماري(Mari)(تل الحريري قرب البو كمال الحالية) على تماثيل عليها كتابة أعانت الباحثين على معرفة أسماء الأشخاص الذين تصورهم التماثيل ومنها: تمثال الطحان أيدي-ناروم(Idi-Narum) والمغنية أور-نانشة (Ur-Nanše)[2]،وليس هناك من دليل على إن هؤلاء كانوا من الطبقة الحاكمة. لذا لماذا نفترض ان هذه الميزة موجودة في اشور رغم عدم وجود دليل عليها.

نخلص من هذا إن محاولة البرهنة على إن بلاد أشور كانت خاضعة للجنوب في هذا العصر، لا يمكن الأخذ بها ما لم تتوفر أدلة كتابية تؤكد هذه المسألة. هذا ويمكن الافتراض إن بلاد أشور خلال هذه الحقبة على غرار الجنوب كانت تتألف من عدد من الدويلات مثل أشور، ونينوى، رغم وجود رأي يقول إن بلاد أشور لم ينشأ فيها نظام دول المدن في عصورها القديمة على غرار ما ظهر في الجنوب[3].ونقرأ في نص يعود لأحد حكام الجنوب وهو لوگال انيموندو حاكم

---

١)اوتو ادزارد،"عصر فجر السلالات"،بحث ضمن كتاب:الشرق الأدنى-الحضارات المبكرة،ترجمة:عامر سليمان،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٨٦)،ص٩٥.

٢) انظر حول هذه التماثيل:أنطوان مورتكات،الفن في العراق القديم،ترجمة:عيسى سلمان وسليم طه التكريتي،(بغداد:مطبعة الأديب البغدادية،١٩٧٥)،الألواح:٦٤، ٦٨-٦٩؛طارق عبد الوهاب مظلوم،"النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٣،ص٣١.

٣) انظر هذا الرأي في: باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٥٢٤؛احمد مالك الفتيان،نظام الحكم في العصر الأشوري الحديث،(أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،١٩٩١)،ص١١٥.

دولـة اداب (Adab) والـذي حكـم حسـب مـا يـذكر الإثبـات السـومري للملـوك تسعون سنة[1]،والذي ربما كان من ملوك سومر العظام. وقد وصلتنا منه وثيقة متأخرة تدل على انه كان غازيا كبيرا، بسط نفوذه من الأراضي الواقعة بين البحر المتوسـط حتى جبال زاگروس، ووصفته الوثيقة بملك الجهات الأربعة، وتتحدث عـن بنائـه معبـد اينـامزو(É-Nam-Zu) وتـذكر حضـور وفـود مـن الـدول المجـاورة ومنهـا بـلاد سـوبارو (سـوبير) مـع أضـاحيهم للمشـاركة في هـذه المناسـبة[2].فـإذا مـا أخـذنا مـا ورد في هـذه الوثيقـة كحقيقـة تاريخيـة، فـان ذلـك يعني وجـود علاقـات سياسية مبكرة بين بلاد أشور والجنوب. ومن الجدير بالذكر إن الوثيقة تشير إلى إن الوفـود الـذين حضـروا كانوا بصـفتهم سـوكال مـاخ(Sukkal-Maḫ) وهي كلمـة سـومرية تعني وزير الملك[3].ويترجمها ادزارد الـوزير الأقـدم، وان سـوكال في الأصل تعني مبعوث أو رسـول[4].ممـا يشـير إلى وجـود تنظيم إداري جيـد في أشـور في هـذه الحقبة.

إن محاولـة الاعتمـاد على المـادة النصـية القادمـة مـن الجنـوب لمعرفـة تـاريخ أشـور مخيبـة للآمال، فـالوثـائق السـومرية لا تقـدم لنـا معلومـات ذات شـأن مهم، ولا يمكن من خلالها رسم حتى تصور أولي عن هذه المنطقة.

---

1)Samuel Noah Kramer, "The Sumerian King List", In ,Problems Ancient History ,Vol:I, The Ancient Near East and Greece, Edition By: Donald Kagan,(NewYork,1975),P.3;Jean-Jacques Glassner ,Mesopotamian Chronicles ,(Atlanta,2004),No.1,P.123.

٢)صـموئيل نـوح كريمر، السومريون:تاريخهم،وحضارتهم،وخصائصـهم،ترجمة فيصـل الوائلي،(الكويت:مطبعـة غريـب،١٩٧٢)،ص٦٨-٦٩؛سـامي سـعيد الأحمـد، العراق القديم،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد،١٩٧٨)،ج١،ص٢٥٥-٢٥٦.

٣) انظر حول هذه الكلمة في:

MDA,No.321;CDA,P.327.

٤) اوتـو ادزارد،"سـلالة أور الثالثـة:إمبراطوريتها والـدول التي خلفتها"،بحث ضمن كتاب:الشـرق الأدنـى-الحضـارات المبكرة،ترجمـة:عـامر سليمان،(الموصـل:دار الكتـب للطباعـة والنشر،١٩٨٦)،ص١٤٢.

أما الجوانب الأصعب، والاهم في تاريخ أشور، وهي مسألة أصل السكان الذين استوطنوا هذه الأرض، ففي ظل غياب المصادر الكتابية تبقى المسألة غامضة ومربكة. فكما رأينا إن المنقب اندريه اعتقد انه من الممكن إن سكان أشور ربما كانوا من السومريين، نظرا للتشابه الكبير بين المظاهر الحضارية في الشمال والجنوب، ولكن هل يمكن للنصوص الكتابية المتوفرة في الجنوب تعطينا أضواء على التركيب العرقي لبلاد أشور؟ هنا أيضا كانت مصادرنا من سومر مخيبة للظن، باستثناء التسمية التي ظهرت في نص اياناتوم، وهي سوبار. فهل هذه نفس المنطقة الواردة في نص لوگال انيموندو باسم سوبارو/سوبير، والنصوص الخاصة بإخبار سرجون الاكدي وهي سوبارتو(Subartu)؟. ليس من غير المعقول أن نفترض إن سوبار هي نفسها سوبارو، وسوبارتو، وكما ذكرنا سابقا إن تسمية سوبار تحمل مدلولا جغرافيا وليس عرقيا، والحقيقة إن موقع سوبارتو يصعب تحديده بشكل قاطع، ويفترض بوتيرو إن منطقة سوبارتو تقع في أعالي وادي الرافدين في المنطقة الممتدة من جبال زاگروس إلى الخابور والبليخ، وربما إلى أكثر من ذلك غربا[١].وكان يقع ضمن هذه المنطقة كما يعتقد الاستاذ باقر بلاد أشور الأصلية[٢].بينما يعين الأستاذ الأمين هذه المنطقة بأنها الواقعة إلى شمال كركوك وشرقيها[٣].فهل يمكن أن تكون تسمية سوبارتو تدل في العصور المبكرة على بلاد أشور ؟.في النصوص المتأخرة فقط يمكن أن نجد هذه المطابقة، فالملك دادوشا حاكم اشنونا في العصر البابلي القديم(٢٠٠٦-١٥٩٥ قبل الميلاد) يتحدث عن جيش حاكم ماري الأشوري يسمخ ادد (Ismuḫ-adad) ويقول عنه: "جموع سوبارتو وخانة"[٤].وان قائمة سنوات حكم حمورابي ملك بابل (١٧٩٢-

١) جان بوتيرو،"الإمبراطورية السامية الأولى"،بحث ضمن كتاب:الشرق الأدنى-الحضارات المبكرة،ترجمة:عامر سليمان،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٨٦)،ص١١٢.

٢) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٩٨، ٥١٨.

٣) محمود الأمين،قوانين حمورابي صفحة مشرقة في حضارة وادي الرافدين،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٧)،ص١٢.

٤) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٥١٩.

١٧٥٠) يرد فيها تسمية سوبارتو التي ربما تعني بلاد اشور[١].ونجد إن الملك البابلي مردوخ-ابلا-ايددينا (٧٢١-٧١٠) يطلق على الملك سرجون الثاني الاشوري(٧٢٢-٧٠٥) اسم ملك السوباريين، وليس الأشوريين، ويسمي جيشه جموع سوبارتو[٢].وفي نص يعود إلى نابونائيد يصف ملك أشور سنحاريب ويسميه ملك سوبارتو[٣].إن الأدلة السابقة تشير بشكل جيد إلى إن أشور/سوبارتو اسم لمنطقة واحدة، أطلق عليها في النصوص اسم سوبار-شوبور-سوبير-سوبارتو-شوبارتو. وهنا يبرز التساؤل من هؤلاء السوباريين الذين تركوا اسمهم على هذه المنطقة حتى أواخر حضارة وادي الرافدين؟

إن النظرية السائدة تقول إن السوباريين كانوا من أوائل من سكن بلاد أشور، وهم الذين سبقوا الأشوريين في الاستيطان، ويرجح أن يكون الاسم الأصلي لبلاد أشور كما أسلفنا،(سوبارتو)أو (شوبارتو)أو (سوبير)،نسبة إلى أولئك السوباريين. وان أصل السوباريون ولغتهم غير معروفة، وكل ما قيل عن لغتهم إنها ليست من عائلة اللغات الهندية-الأوربية، وأنهم كانوا من الأقوام الجبلية في الجهات الشرقية مثل: الكوتيين، واللولوبيين، وكانوا يقطنون في شمالي ما بين النهرين في منطقة الجزيرة العليا، وشرقي دجلة، وكان يقع ضمن موطنهم المنطقة الشمالية من العراق التي عرفت باسم بلاد أشور، وذلك قبل هجرة الأشوريين إليها في الألف الثالث قبل الميلاد، إذ أزاحوا القسم الأكبر من السوباريين إلى المناطق الجبلية شرقي دجلة[٤]. ولكن الأستاذ كريمر يرى بان ما يعرفون باسم الفراتيين الأوائل الذين سبقوا السومريين في الاستيطان يمكن أن

---

1)A. Leo Oppenheim, List Of Date Formulae Of Reign Of Hammurabi, In, ANET,(Princeton, 1966),P.270.

2)C.J Gadd," Inscription Barrel cylinder Of Marduk-Apla-Iddina II", In, Iraq, Vol:15,Part:2, 1953, PP.123,124,127.

3)A. Leo Oppenheim, Nabonidus Rise To Power, In, ANET,(Princeton,1966),P.309.

٤) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٥١٨؛ المحمداوي،التطورات السياسية في بلاد الرافدين،ص٣.

نطابقهم باسم السوباريين[1] فإذا ما صح هذا الافتراض فان الحضارتين الجنوبية والشمالية، ربما تعود إلى نفس الجذور الأولى. فضلا عن ألا يمكن النظر إلى إن حضارة شعب الطبقة (G-H) كانت سوبارية، أي بتعبير أدق هل يمكننا الافتراض إن حضارة هذا العصر هي حضارة سوبارية وليست أشورية؟ هل يمكن أن ننسب اللقى الاثارية التي عثر عليها، والتي تعود لهذا العصر في أشور إلى أولئك السوباريين المجهولين المتأثرين بالحضارة السومرية؟ إن السبب الذي يدفع إلى هذا الاعتقاد إن سكان أشور في هذا العصر لو كانوا أشوريين لذكروا باسمهم، وليس باسم السوباريين، ولكن النصوص المسمارية تذكر صراحة بلاد سوبار/سوبارتو وليس بلاد أشور. ومع ذلك هل يمكن إن الأشوريين يكونوا قد دخلوا شمال العراق في هذا العصر؟ إن هناك افتراض يقول إن الأقوام الرئيسة التي استوطنت بلاد أشور منذ فجر التاريخ هي تلك التي قدمت من ناحية الغرب عن طريق سوريا، ومنطقة الجزيرة. ويظن إن أول هجرة كبيرة معروفة حدثت في أواخر الألف الرابع، وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، واتجهت نحو القسم الوسطي والجنوبي من العراق، وعرفت بالهجرة الاكدية في حين اتجهت مجموعة منها إلى المنطقة الشمالية من العراق مكونة طلائع الأقوام الأشورية. ومما يؤكد إن طلائع الأشوريين يؤلفون هم، والأقوام الاكدية في الأصل موجة بشرية واحدة جاءت عن طريق الغرب، إن اللهجة الأشورية القديمة واللهجة الاكدية القديمة، تتشابهان إلى درجة ظن بعض الباحثين بأنه لابد إن كان الأشوريون قد استقروا في الجنوب إلى جانب الاكديين قبل نزوحهم إلى الشمال. غير إن تفسير التشابه بين اللهجتين، ربما يشير الى انحدارهما من أصل واحد، ومن ثم ارتباطهما الوثيق فيما بينهما من بعد استقرار كل من الأشوريين والاكديين في منطقتين مختلفتين[2].ربما إن التنقيبات المستقبلية في العراق والدراسات القادمة ستستطيع أن تجيب على هذه الأسئلة؟

---

[1]) كريمر، السومريون، ص٥٤.

[2]) عامر سليمان، "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، بحث ضمن موسوعة الموصل الحضارية، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١)، ص٦٠-٦١.

لا نعرف الكثير عن حضارة الطبقة(G)،وان المعلومات المتوفرة هي تلك التي حصلنا عليه نتيجة التنقيبات الاثارية. وان الوصف التالي لهذه الحضارة سيعتمد على نتائج هذه التنقيبات.

ليس لدينا معلومات كافية تخص الحياة الاجتماعية في أشور خلال هذه الحقبة، سوى ما عثر عليه من لقى اثارية، منها بقايا البيوت الطينية، إذ كان الطين هو المادة الأساسية في البناء، في شمال العراق وجنوبه، وهو المادة الرئيسة الأوفر والأكثر اقتصادا والأقل كلفة والأكثر قدرة على التطويع والتشكيل[1].فقد كانت في أشور البيوت طينية، وهذا ينطبق كذلك على كبار القوم وأمرائهم. ويمكن لهذه البيوت أن تتشابه مع أبنية المعابد في مخططاتها وترتيب أجزائها: غرف نوم حول فناء واحد أو فناءين، وغرفة كبيرة واحدة أو غرفتان، ومداخل تؤدي إليها من خلال الزقاق، وان أرضية البيوت عبارة عن تراب أو حصى مدقوق، أما الحجارة المنبسطة، والأجر المشوي فلا يتوفران إلا عند العتبات فقط، وربما وجدت فوق الأرضية حصيرة مصنوعة من القصب(الذي لابد وان كان يجلب من الجنوب)،لان عموم السكان كانوا يجلسون على الأرض، أما الكراسي فكانت مخصصة في الأصل للإله فقط، أو للأمراء. وكان الكرسي عبارة عن مقعد مكعب الشكل بلا مسند يكون سطحه المخصص للجلوس مقعرا. وقد عثر في أماكن متعددة من المعبد أجزاء مرتفعة تشبه المقاعد تمتد على طول الجدران تصلح للجلوس، كما إنها مثل الجدران تصلح للجلوس، وهي مثل الجدران مبنية باللبن، ومطلية بملاط طيني. ولا نعلم ما إذا كان مثل هذه المقاعد قد توفرت في البيوت أم لا؟ وقد عثر في تلو مقاعد شبيهة بهذه لكن الاستخدام الحقيقي للغرف التي وجدت فيها غير معروف تماما على الرغم العثور على العديد من الرقم الطينية فيها. ولم يصلنا شيء ومن الحاجيات التي كانت تدخل في مجال الاستعمال اليومي، باستثناء تلك المصنوعة من الفخار، فالمواد مثل الأخشاب، أو المنسوجات تتلف بسرعة في المناخ والرطوبة العالية[2].

---

١) مؤيد سعيد،"العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث"بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٣،ص٩٧.

٢) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٤.

زاول السكان عدداً من الحرف وبلا شك كانت الزراعة أهمها، فالمعروف إن في كل إقليم من بلاد أشور توجد مساحات صغيرة من أراضي الحبوب، وكانت هناك منطقتان واسعتان بالذات منتجتان بشكل واضح للحبوب، الأولى: هي سهل اربيل- ولا نعرف إن كان هذا الإقليم كان من ضمن حدود بلاد أشور في ذلك الحين-الذي يوصف بأنه أحسن إقليم منتج للقمح في العراق، والمنطقة الثانية هي سهل الموصل. والى الغرب من دجلة هناك حزام من الأراضي الصالحة للزراعة في منطقة الجزيرة إلى الجنوب من وجبل سنجار، ويمكن أن نلحظ انه في السنوات الجيدة ينمو الشعير في هذا السهل إلى الخط الذي يصل بين الحضر وقلعة الشرقاط (موقع العاصمة القديمة أشور)[1].ونعرف عن وجود عدد من الحرف من الشواهد الاثارية فقط، إذ كانت النجارة مزدهرة في ذلك العصر، ونمتلك عنها معلومات من خلال التماثيل الجالسة التي وصلتنا. ونعرف أيضا وجود حرفة الحفر على العاج، أما صناعة النحاس فيشير إليها منجل عثر عليه في معبد عشتار. وكانت صناعة الفخار مزدهرة، وقد وصلتنا نماذج من الأواني الفخارية المستخدمة في أشور، والتي تعد من حيث شكلها وصناعتها مساوية لأفضل ما قدمته صناعة الفخار خلال العصور الأشورية. واستخدم السكان أنواع متعددة من الفخاريات، فهناك وعاء خزن الماء المستعمل في البيوت، والذي كان يركب فوق حامل خشبي، ويوضع تحته وعاء أخر لتجميع قطرات الماء المرشح، كذلك هناك الأقداح، والأطباق والكاسة، التي تستخدم لشرب الماء. فضلا عن أوعية الطعام، ومواقد الفحم لموسم البرد، ومجاري وأحواض الغسيل. وهناك أدوات، واوانٍ مصنوعة من الفخار المشوي خاصة بالصلاة والعبادة. ويبدو تلوين أو نقش الأواني بالمعنى الحقيقي لم يكن مألوفا في ذلك العصر، وكل ما نعرفه هو أعمال بسيطة فقط مثل التنقيط بنقط سوداء أو رسوم دوائر أو ما شابه، وقد اقتصدوا كثيرا في هذه الأعمال التي تظهر في الغالب على رقاب وأكتاف الآنية. وان اللونين الأسود والأحمر المستخدمان على الآنية، كانا مستخدمان في عهود ترقى إلى ادوار ما قبل

---

[1]) هاري ساكز،قوة أشور،ترجمة:عامر سليمان،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٩٩)،ص١٧.

التاريخ وصولا حتى عصر الطبقة (H)[1].ولا نعرف كيف كانوا يقومون بصناعة الألوان، وقد أشير بشكل عام إلى إن نقوش الفخاريات لونت بألوان من أصل عضوي ومعدني، واستخلصت الألوان العضوية من عصير النباتات أو الكربون، والمعدنية من اكاسيد الحديد والمنغنيز. وكانت اللون الأسود ينتج من استعمال عصير النباتات الذي يصبح اسود إذا كانت حرارة الكورة المستخدمة لشي الفخار قليلة ومدتها قصيرة. وكذلك يتم الحصول على اللون الأسود من اوكسيد الحديد، أو اوكسيد المنغنيز أو الكربون. أما اللون الأحمر فيتم الحصول عليه من اوكسيد الحديد أيضا[2].كانت زخرفة أواني الطبقة (G)،أما بارزة أو غائرة، فالأوعية الكبيرة تزين عادة بحلقات منتفخة مثل الحبل، وهذه تزيد من تماسك الإناء وقوته، ويقل عددها في الأواني الصغيرة، وكذلك تشمل الزخرفة خطوط متموجة ومستقيمة ونقاط تنتج بوساطة الخدش والحز[3].

كشفت التماثيل عن الأزياء التي لبسها السكان في هذا العصر، ويشير مورتگات إن الأمير-الكاهن عادة ما يظهر وهو حليق الرأس في أكثر الأحيان، وفي لباس يسمى التنورة ذات الخصل الصوفية (الكوناكس) المؤلفة من سبعة صفوف أفقية من الخصلات الصوفية بعضها فوق بعض[4].ويبدو إن هذا الزي هو الذي كان سائدا خلال هذا العصر، ويمكن أن نقارن الملبس في تمثال وصلنا من أشور[5]مع الملابس التي تظهر على التماثيل من أنحاء مختلفة من وادي الرافدين، مثل التمثال من الرخام لرجل من خفاجة(في ديالى)[6]،أو التمثالين من ماري المصنوعان من حجر الكلس لـ(ايتور-شامكان)،و(ناني)[7].ونشاهد نفس

---

[1]) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٥.

[2]) تقي الدباغ،"الفخار في عصور ما قبل التاريخ"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٣،ص١٢.

[3]) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٥.

[4]) أنطوان مورتكات،تاريخ الشرق الأدنى القديم،ترجمة:توقيف سليمان وآخرون،(دمشق،ب.مط،١٩٥٠)،ص٧١.

[5]) مورتكات،الفن في العراق القديم،،اللوح:٧٧.

[6]) المصدر نفسه،اللوح:٧٦.

[7]) المصدر نفسه،الألواح:٧٨-٧٩.

الملبس يرتديه ابن اياناتوم حاكم لكش باستثناء إن الملابس التي يرتديها تتألف من خمسة صفوف أفقية من الخصلات الصوفية[١].ونشاهد الحاكم انتمينا يرتديه في تمثال من حجر الدورايت[٢].وتظهر النساء وهن يتركن الكتف الأيمن والثدي عاريين، ويعتقد اندريه إن هذا الزي يرتدى فقط أثناء الصلاة، وفي تمثال تظهر امرأة برداء كأنه حجاب كامل، ويبدو الرداء في شكل عباءة ترتدى فوق الملبس الاعتيادي. وتصنع هذه العباءة من قطعة قماش بخصل مستطيلة الشكل، وبحافة عليا مقلوبة بحيث إن الخصل المسحوبة إلى الداخل تظهر في الأعلى كياقة متجهة للخارج[٣].ربما فقط النساء الأحرار يرتدين مثل هذه الثياب، الثياب، أو بتعبير أدق كانت النساء الأحرار يظهرن بحجاب كامل، كما تشير إلى ذلك المادة القانونية المتوفرة من العصر الأشوري الوسيط[٤]،وربما يمكننا الافتراض وجود مثل هذه الحالة في العصور المبكرة. فضلا عن ذلك تعطينا التماثيل تفاصيل أخرى عن أدوات الزينة، فقد ارتدت النساء القلائد من الخرز، وكذلك الحلق، وتعرفنا الأشكال الفخارية عن مشبكات الأذرع[٥].

إن معلوماتنا عن المعتقدات الدينية خلال هذا العصر قليلة، فلا نمتلك مادة كتابية حول العبادة أو الطقس الديني، ولا نعرف شيئا عن مجمع الآلهة، باستثناء الافتراض عن وجود عبادة للربة عشتار(اينانا السومرية) على أساس المعبد الذي كشفت عنه التنقيبات، والذي يعود في عصور لاحقة إلى هذه الربة. ولا نعرف إن كان الأشوريون في هذا العصر موجودين في أشور أم لا ؟و لا

---

[١]) المصدر نفسه،اللوح:٨٥؛فرج بصمه جي،"تمثال ابن أين اناتم الأول في المتحف العراقي"،مجلة سومر،م ١٤،لسنة:١٩٥٨،ص١٢٥-١٢٦

[٢]) مورتكات، المصدر نفسه،الألواح:٨٧-٨٨.

[٣]) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٢.

[٤]) انظر المادة:٤٠-٤١ من قوانين العصر الأشوري الوسيط في:

Theophile J. Meek ,"The Middle Assyrian Laws", In: ANET,(Princeton,1966),P.183.

فوزي رشيد،الشرائع العراقية القديمة،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٧٩) ،ص١٩٤-١٩٥.

[٥]) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٤.

نعـرف كـذلك إن كانـت عبـادة الإلـه أشـور المعبـود الـرئيس للأشـوريين كانـت موجودة؟

كشـفت التنقيبـات في أشـور عـن بقايـا معبـد مهـم شـيد لعبـادة الإلهـة عشـتار، وقـد سـجل لهـذا المعبـد دوران رئيسـان، أقـدمهما دور التأسـيس وهـو المعبد المسجل بحرف (H) في التنقيبات، والذي شيد على الأرض البكر، ثم شيد فوقه المعبد الثاني وفق المخطط نفسه وهو المعبد (G).ويشير الفخار الذي وجد في المعبد إلى انه استمر في الاستعمال في الطور الثاني، وأوائل الطور الثالث من عصر فجر السلالات[١].وكما نوهنا سابقا فانه لا توجد فروق كبيرة بين المعبد في هذا العصر والبيوت السكنية، فيما عدا وجود غرفة الإله التي تمتاز بجدران سميكة ومساحات واسعة. إن غرفة العبادة تقع على الفناء حتى إذا كان الفناء لا يؤدي إليها مباشرة، وكان الشخص الداخل إليها يجد نفسه في زاوية المكان وعليه أن يستدير شمالا لكي يستطيع رؤية الإله. وربما كان هناك مكان مرتفع لنصب تمثال الإله، هذا الموضع يبدو مرتفعا جدا في المعابد الأشورية المتأخرة، نسبة إلى الموضع الواطئ في المعابد البابلية الذي لا يزيد عن سلم ذي درجة واحدة، لذلك كان لابد من وجود درج للوصول إلى سطح القاعدة المرتفع، بينما كان البابلي القديم يقف بنفس الارتفاع مع تمثال إلهه تقريبا. ومن الملفت للنظر انه لم يبق أي اثر للتمثال المعبود في المعبد. وربما كان الموضع المرتفع يقع عند الجدار الضيق، وعلى يسار الشخص الداخل. وفي عصر الطبقة(H)كان موضع الإله يبرز عن بقية أجزاء الغرفة بواسطة أعمدة جدارية على كلا الجانبين، بحيث نشأ عن ذلك مكان صغير يمكن أن نسميه(bīt rēši) (البيت الرئيس)[٢]،ويفترض

---

[١] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٣١٢.

[٢] يفضل العلماء الغربيون استخدام مصطلح قدس الأقداس على الغرفة الخاصة، بالإله وهي تسمية مأخوذة بالدرجة الأساس من المعارف التوراتية، لذا فضلنا استخدام المصطلح البابلي الأصلي.وبيت ريشي (bīt rēši) يعني البيت الرئيس أو قدس الأقداس. انظر حول معنى الكلمة:

MDA,No.324.

اندريه إنهم عمدوا إلى عزله بستارة أو حصيرة[1]،رغم لا يوجد ما يؤيد ذلك لافتقارنا للنصوص الكتابية[2].

لا تعرف أمورا كثيرة عن الطقوس الدينية وربما كان الأفراد يُصّلون إلى اله وهم عراة، ففي مشهد في نحت بارز نشاهد رجلا وهو يقدم قربانا من المشروب، مرة إلى اله ملتحٍ وأخرى إلى إلهة أنثى، والرجل عارٍ تماما، وحليق الشعر كليا. ومن خلال المشهد السفلي نتعرف على رجلين حليقا شعر الرأس تماما يسوقان ماعز وخروفا جبليا، ويحمل الرجل الذي يسير في المقدمة شيئا ما على رأسه، وهما يرتديان تنورة ذات الخصل. ويمكن أن نشاهد من إن احد الرجلين يمسك بيده اليمنى شيئا له صلة بالعبادة موضوعا فوق رأسه، بينما يرفع الثاني يده بأسلوب يدل على إيماءة الصلاة. وربما كان الرجلان في الإفريز الأسفل لا يمثلان مباشرة أمام الإله مثل واهب المشروب، لذا فهما لا يزالان يرتديان ملابس دنيوية اعتيادية أي التنورة ذات الخصل[3].وربما كان الشخص العاري يمثل كاهنا في حين إن المتعبدين يرتدون ملابسهم الاعتيادية، ويشير الأستاذ فون زودن انه في العصر السومري، يبدو انه توجب خلال بعض تقديم القرابين أن يظهر احد الكهنة عاريا أمام الإله، وربما كان ذلك ليدلل على طهارته التامة[4].

يمكن أن نفهم من التماثيل في المعبد إن علاقة المصلين بالإله كانت علاقة قريبة، حميمة وشخصية، فالإله قريب وحاضر دائما، وانه يقيم مع البشر في مكان واحد، والإنسان يخطو إليه كما يتقدم نحو أي مخلوق حي،

---

[1]) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٦.

[2]) يفترض اندريه هذا الافتراض قياسا على ما كان موجودا في هيكل سليمان،انظر:اندريه،المصدر نفسه،ص٣٦.ويمكن أن نقرأ عن وجود مثل هذه الستارة في هيكل سليمان:"وصنع الحجاب (الفاصل بين المحراب وبقية الهيكل) من قماش ازرق اللون وبنفسجي واحمر وكتان،طرز عليه رسم الكروبيم".أخبار الأيام الثاني،٣: ١٤.

[3]) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٢-٣٣.

[4]) ف.فون زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم،ترجمة:فاروق إسماعيل،(دمشق:دار المدى للثقافة والنشر،٢٠٠٣)،ص٢٠٨.

يـتكلم معـه، ويتلقى أجوبتـه ويقـدم إليـه القـرابين. هكـذا هي كانـت الصـورة في المعابـد السـومرية، ولـيس هنـاك أي مبـرر- نظـرا للتشـابه الكبيـر بـين المظـاهر الحضارية بين الجنوب والشـمال- لكي نتصور حالـة سكان الطبقـة (G) في أشـور يختلـف كثيـرا، لكـن العلاقـة هنـا ربمـا تـأثرت بمقـدار ضـئيل بسـبب وجـود تمثـال الإله فوق مكان مرتفع مقارنة بالإلـه البـابلي. ولكـن لا نعـرف شيء عن تمثال الإلـه وربمـا كـان مصـنوعـا مـن مـادة سـريعة التلـف، ومغطـى بملابـس حقيقيـة مليئـة بالزخارف والحلي[١].كان من النادر أن يدخل المرء إلى المعبد دون قربان، ونشـاهد هـذه الحالـة في العديـد مـن مشـاهد الصـلاة. وفي معظـم الأحيـان تقـوم آلهـة اقـل شـأنا، ومنزلـة بتقـديم المصـلي إلى الإلـه الكبيـر المتربـع على عرشـه، لـذلك لـم يكـن يسـمح للمصـلي بـالظهور أمـام الإلـه بمفـرده، ومـن تلقـاء نفسـه بـل يحتـاج إلى مـن يقـوده ويقدمـه[٢].هـذه الحالـة نشـاهدها بشـكل جيـد في الجنـوب، ويعـرف الإلـه الثـانوي عـادة بـين البـاحثين باسـم الإلـه الحـامي أو الشخصـي، ففـي الأختـام الاسطوانية هناك مشهد يمثل فردا عابدا يقدمه اله أو إلهة إلى بعض الآلهة من مقام ومرتبة أعلى[٣].وربما إن كهنة بزي آلهة هم الذين تولوا هذه المهمة[٤].ولكن ماذا تمثل هذه الآلهة في أشـور؟ إن غيـاب الوثـائق يجعلنـا لا نفهـم دورهـا، لكـن في سومر كان لابد للإنسان من اله شخصي، وسيط للتدخل من اجله أمام الآلهة، وسـيط تكـون الآلهـة الكبـرى راغبـة بالسـماع إليـه، فـالإلـه الحـامي أو الشخصـي أشبه ما يكون بالملاك الطيب لكل شخصية مهمة ورب أسرة، الذي يعنى بعائلة ذلك الإنسان عناية خاصة، فهو بمثابة والد الإنسان الإلهي الذي أنجبه، أو ربما هو تشخيص لحظ الفرد ونجاحه في الحياة. فالفرد في وادي الرافدين لا ينظر إلى الآلهة الكبار إلا كقوى نائية ليس له أن يتضرع إليها إلا في الأزمات الشديدة، و لا

---

[١]) اندريه، معابد عشتار القديمة، ص٣٦-٣٧.

[٢]) المصدر نفسه، ص٣٧.

[٣]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١، ص٣٦٩.

[٤]) اندريه، معابد عشتار القديمة، ص٣٧.

يفعل ذلك إلا عن طريق هذا الإله الوسيط [1].هذه هي صورة الإله الحامي في بلاد سومر، ولا نعرف إن كانت هذه الصورة هي نفسها في بلاد أشور أم لا ؟ ومع ذلك ليس هناك من مبرر للقول إن الأمر لم يكن هكذا في بلاد أشور.

كان هناك شتى الأنواع من القرابين التي يحملها المصلي للإله، سواء كان قربانا حيوانياً أو نباتيا، وقرابين سائلة مثل الماء. ونشاهد في المنحوتات أسلوبان عند سكب الماء وهما: السكب من وعاء الهبات إلى إناء ثانٍ، أو السكب على الفاكهة أو باقات الورود. وان الطريقة الأولى تعد واقعية، أما الثانية فهي تمثل إجراء ذي معنى مجازي، إنها تُري الإله وهو يقوم بسقي الفاكهة والأشجار في الحقول والبساتين بماء المطر. وكان المصلي يحمل القربان بيده إلى الإله، أو يحل محله أحيانا خادما يتولى هذا الأمر، ويسير خلف سيده صاحب القربان مرتديا زيه ومقلدا إيماءات صلاته. وبعد ذلك يجري ذبح الحيوان قربانا للإله. وربما يتم ذلك عند مدخل غرفة الإله، والسبب في هذا الاعتقاد وجود حوض مربع ومجرى ماء بالقرب من هذه الغرفة، ومن المحتمل إن دم الذبيحة يجمع في وعاء من الفخار مربع الشكل، وهو الذي عثرت التنقيبات على كسر منه في الغرفة. وكانت قطع اللحم الجيدة: كالرأس، والأضلاع، والأفخاذ، تقدم عادة للإله، وتوضع فوق منضدة القرابينة الصغيرة التي لا يزيد ارتفاعها عن المتر الواحد، والمصنوعة من الفخار المشوي. وكشفت التنقيبات في المعبد عن حوامل فخارية عالية تنصب على مقربة من الإله، الغرض منها تهيئة مكان لباقات الزهور أو لحزم من الثمار، أو يوضع في أعلى الحامل الفخاري طبق ثابت في فوهته العليا أو متحرك يوضع عند الاستعمال. للطبق فتحات تسهل حرق الأخشاب ذات الرائحة الطيبة أو البخور [2].

كانت المعابد في أشور مليئة بتماثيل نذرية لأمراء وأميرات وكهنة، وربما لأناس أدنى منزلة اجتماعية، وهذه الظاهرة نشاهدها في ماري أيضا، وفي معبد الإله

---

[1]) كريمر، السومريون، ص١٦٧-١٦٨ ؛ ثوركيلد جاكوبسن، "ارض الرافدين"، بحث ضمن كتاب: ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠)، ص٢٤٠-٢٤١.

[2]) اندريه، معابد عشتار القديمة، ص٣٧-٣٨.

سين في خفاجة، والتي تعود إلى بدايات الألف الثالث قبل الميلاد. وان أفضل صورة عن أهمية، وغرض التماثيل النذرية يقدمها لنا معبد عشتار الطبقة(G) من أشور. إذ وضعت أمام تمثال الإله في البيت الرئيس (قدس الأقداس)، مباخر عالية ومذابح مدرجة على شكل بيوت[1]، بينما انتصب على كل مقعد من المقاعد الموضوعة على كلا الجدارين الطويلين تماثيل واقفة وجالسة لمصلين رجالا ونساء، كان غرضهم عبادة الآلهة، واستمرار لتوسلاتهم إليها سعيا وراء إطالة الحياة، وكانت هذه التماثيل اصغر بكثير من الحجم الطبيعي للإنسان العادي؛ ودائما كانت منحوتة من الحجر الجيري الهش، ونادرا ما استخدم حجر الديورايت، وقلما يوجد بين هذه التماثيل من يحمل اسم صاحبه، وتعد هذه التماثيل الوريث المباشر لطراز تماثيل معبد آبو في مدينة اشنونا، غير إنها تختلف عنها كونها اقل تجريدية واشد تقيدا في النواحي الجسمية[2].إن افتقارنا للمادة الكتابية يجعلنا لا نعرف بشكل جيد أهداف هذه التماثيل، ومرة أخرى لابد من الاستعانة بمادة نصية من بلاد سومر حتى نفهم مغزاها بشكل أوثق. إن التماثيل النذرية من بلاد سومر، وفي ديالى مصنوعة بلا استثناء للمعابد السومرية، وعثر عليها في بقايا هذه المعابد. وان هدف هذه التماثيل واضح، إذ وجد الفرد في الحجارة بديلا منحوتا له، وهذا ما تؤكده الكلمات الفعلية المستخدمة عند الكتابة على هذه التماثيل، مثل: "إنها تُمنح للصلاة"، وهو نقش عثر عليه في احد التماثيل من لكش، وهناك تمثال أخر يذكر: "قل أيها التمثال لمليكي(الهي)..."،فالتمثال يتحدث حديثا مباشرا إلى الإله[3].لا نعرف إن كان الأشوريون هنا كانت لهم نفس الأفكار فيما يخص التماثيل النذرية، ولكن وجودها في المعبد يعطينا انطباعا إن الأمر هنا لا يختلف كثيرا عما كان يفكر فيه الناس في سومر.

---

[1]) حول المذابح الصغير ذات شكل البيوت التي عثر عليها في أشور انظر: اندريه،المصدر نفسه،ص٥١-٥٦.

[2]) مورتكات،تاريخ الشرق الأدنى،ص٧٠-٧١.

[3]) سيتون لويد،فن الشرق الأدنى القديم،ترجمة:محمد درويش،(بغداد:دار المأمون للترجمة والنشر،١٩٨٨)،ص١٠٩-١١٠.

لقد قدمت لنا المنحوتات إشارة إلى وجود الآلهة، وان النحت البارز الذي ناقشناه سابقا الخاص بتقديم القرابين، يظهر فيه صورة اله والهة، ولكن لا نعرف من هم، وان الدليل العماري الذي يشير إلى وجود معبد للربة عشتار، يدل إلى عبادة هذه الربة التي نجهل المعلومات عنها هنا في بلاد أشور. وتظهر في الأشكال الصغيرة المصنوعة من الفخار صورة امرأة، وهي تمسك الثدي، وهذه إشارة إلى ربة الخصوبة، في مرة واحدة فقط، وعثر على شكل المرأة ومعها الطفل[1].ونحن نعرف في اقل تقدير إن النموذج الأخير شمالي بشكل لافت للانتباه، ويظهر في وقت مبكر في دور العبيد الشمالي(الألف الخامس قبل الميلاد)،فقد عثر في قرية تبة كورا (تقع على بعد ١٥ ميلا شما شرقي الموصل)،إلى نوع من دمى الطين ممثلة على هيئة امرأة تحمل على صدرها طفلا، وفسر المشهد بأنه يمثل الربة الأم[2].هل يمكن أن نفسر التماثيل الصغيرة الفخارية من أشور دلالة إلى الربة الأم(عشتار) ؟ لا يمكن الجزم بالأمر، ومع ذلك تبدو المسألة منطقية إلى حد ما.

على الرغم من غياب المشاهد الجنسية في عصر الطبقتين (G-H) إلا إن ذلك لا يمنع من وجود عبادة ذات طقس جنسي[3].وربما كان طقسا تعود جذوره إلى عصور ما قبل التاريخ فمنذ العصر الحجري الحديث كما يشير تشايلد كان هناك طقس سحري يقوم على اتحاد الجنسين بصورة احتفالية والذي قد يرمز إلى التلقيح في الطبيعة[4].

ومثل أمور كثيرة ما زلنا نجهلها عن بلاد أشور وديانتها في هذه الحقبة فإننا أيضا لا نعرف الكثير عن معتقدات العالم الأسفل، ويمكننا الافتراض بان السكان كانوا يدفنون في التراب، كما تم إثبات ذلك بالنسبة للطبقة (E) (ربما كانت معاصرة لعصر سلالة أور الثالثة)،وهذا يتفق مع ما هو موجود في

---

[1]) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٩.

[2]) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٢٥٧.

[3]) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٩.

[4]) ف.غوردن تشايلد،ماذا حدث في التاريخ،ترجمة:حسين مؤنس،(القاهرة:بلا.مط،١٩٥٦)،ص٦٢.

الجنوب، ففي فارا عثر على العديد من القبور الأرضية، وفي مسلة العقبان للملك السومري اياناتوم (المعاصر للطبقة G) نشاهده، وهو يدفن قتلاه من الجند في قبر جماعي، ولا يحكي لنا المشهد عن أية توابيت أو حرف للجثث. وفي الطبقة (E) نعرف عن حالة مماثلة، مع اختلاف بسيط هو وجود حرق الجثث قبل الدفن فوق موقد خاص اعد لهذا الغرض، ولا نعلم ما إذا كانت هذه العادة سارية في هذا العصر أيضا أم لا؟،ويعتقد اندريه إنها حالة محتملة نظرا لوجود صلات تشابه بين الطبقتين[١].

لا نعرف كيف انتهى عصر فجر السلالات في أشور، ولكن التنقيبات الاثارية تشير إلى إن الطبقة العائدة لهذا العصر قد دمرت تدميرا تاما[٢]،ولا نعرف الغازي الذي قام بهذا الفعل، هل من الممكن أن يكون التدمير ناتج عن الحركات العسكرية التي نفذها سرجون الاكدي(٢٣٧١-٢٣١٦)؟ لا يبدو الأمر غريبا، ونحن في اقل تقدير نمتلك أدلة عن قيام هذه الملك بمهاجمة بلاد سوبارتو (أشور)،فنصوص الفأل تتضمن إشارات إلى احتلال سرجون لهذه المنطقة[٣].وفي نص متأخر هو جزء من كتب الأخبار البابلية يشير إلى عملية عسكرية وجهها سرجون إلى بلاد سوبارتو وانه قام بإخضاعها[٤].

إن تاريخ أشور خلال هذا العصر يتسم بالغموض لعدم توفر النصوص الكتابية، وان المادة النصية المتوفرة في الجنوب قد تساعدنا من فهم بعض المظاهر الحضارية في بلاد أشور، رغم الحذر الشديد من استخدام هذه المادة كما يرى الأستاذ ساكز[٥]ومع ذلك فان المادة التي تقدمها النصوص من

---

[١]) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٥.

[٢]) المصدر نفسه،ص٢٦.

[٣]) بوتيرو،الإمبراطورية السامية الأولى،ص١١٢.

[٤]) انظر أخبار الملوك المبكرين،اللوح:١،السطر:١٤ في:

A. Leo Oppenheim, "The Sargon chronicle", In: ANET, (Princeton, 1966),P.266;A.K Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles,(New Yorkm1975),No.20;Glassner ,Mesopotamian Chronicles,No.39.

[٥]) ساكز،قوة أشور،ص٣٥.

الجنوب مهمة رغم ضعفها فيما يخص الجانب السياسي لبلاد أشور خلال هذا العصر. وتبقى المادة الاثارية في أشور هي المهمة من اجل دراسة أفضل للحقبة، مع عيوب الاعتماد على الآثار المجردة، لأننا سنعتمد على التخمين من اجل تصور الحياة الاجتماعية أو الدينية للحقبة.

الفصل الثاني
مقارنة بين نماذج من
أدب وادي الرافدين مع بعض النصوص الإنجيلية والفارسية[1].

[1] نشر البحث في مجلة آداب المستنصرية/كلية الآداب/الجامعة المستنصرية/العدد:٥٥/لسنة:٢٠١١.



يمثل أدب وادي الرافدين أقدم الآداب العالمية المعروفة في التاريخ من حديث التأليف والتدوين، ويرجع تدوين أقدم النصوص الأدبية السومرية كما يرى المتخصصون إلى حدود ٢٤٠٠ قبل الميلاد، وهي أسطورة مدونة على اسطوانة من الطين مقسمة الى عشرين حقلا. والأسطورة تتعلق باله الجو والريح اينليل(Enlil) ،وأخته نينخورساك(Ninhursag).وترد فيها إشارات عن آلهة أخرى مثل اينانا(Inanna)، واينكي(Enki)،ونينورتا(Ninurta). وان المفردات والمصطلحات، والأفكار الواردة في الأسطورة تكشف عن أسلوب وبنية، وتواصل مستمرين للحركة الأدبية في وادي الرافدين. وهناك أسطورة أخرى دونت على لوح مهشم للأسف يرجع الى التاريخ نفسه، وتتعلق بابن الإله اينليل المدعو ايشكور(Iškur) الإله العاصفة الذي اختفى داخل العالم الأسفل، فجمع الإله اينليل الالهة الانوناكي لطلب العون منهم، وكان الثعلب على ما يرجح هو الذي تطوع لإعادة ايشكور من العالم الأسفل. وان موضوع الثعلب يعيد الى الأذهان دوره في أسطورة أينكي ونينخورساك وارض دلمون(البحرين حاليا) المدونة في الألف الثاني قبل الميلاد[١].

ان المعروف إن غالبية النصوص الأدبية في وادي الرافدين قد تم إبداعها في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، أي قبل زمن تدوينها في أواخر الألف الثالث، وبداية الألف الثاني قبل الميلاد. وهذا يشير الى قدم هذا الأدب على الآداب العالمية، باستثناء مصر القديمة طبعا- الذي أتنا من أدبها شيئا خلال عصر الأهرامات، وهو عصر نضج الحضارة المصرية في الألف الثالث قبل الميلاد، اذ ان أقدم النصوص الأدبية التي يمكن ان نجدها فيما يعرف بمتون الأهرامات[٢].اما اوغاريت(رأس الشمرة الحالية) فان أقدم أدب عثر فيها يعود الى حدود منتصف

---

١) حول هاتين الأسطورتين وتحديد تاريخهما انظر:صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم و خصائصهم ،ترجمة : فيصل الوائلي،(الكويت :دار غريب للطباعة،١٩٧٣)،ص٢٢٩ ؛فاضل عبد الواحد علي، سومر أسطورة و ملحمة ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٩٧)،ص٥٧.

٢) حول متون الأهرامات انظر:حسن صابر،متون الأهرام المصرية القديمة،(القاهرة:المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٢).

الألف الثاني قبل الميلاد، أي بعد الزمن الذي دون فيه أدب العراق القديم بما لا يقل عن خمسة قرون، ومثل هذا يقال عن الأدب العبري، إذ لا يتعدى أقدم زمن لتدوين العهد القديم الى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. ونذكر على سبيل المقارنة أيضا الإلياذة (Iliad)، والأوديسة(Odyssey) اللتين تمثلان أقدم نتاج أدبي لليونان، فان زمن تدوينها لا يتعدى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد على أكثر تقدير، أي إنهما متأخرتان في الزمن عن تدوين أدب العراق القديم بحدود ألف عام. ونذكر أيضا ما يسمى بـ الرگ-فيدا (Rig-Vida) الممثلة لآداب الهند القديم، وكذلك الافستا (Avesta) المتضمنة أقدم أدب إيراني، فما من هذه الآداب ما هو مدون قبل النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، أي إن زمن تدوين أدب العراق القديم يسبقها بأكثر من ألف عام[1].

منذ الكشف عن اداب وادي الرافدين، وترجمتها سرعان ما انتبه الباحثون عن وجود اثر لهذا الأدب في الآداب العالمية القديمة. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، كان عالم المسماريات الشهير جورج سميث يعمل في المتحف البريطاني في تصنيف القطع الصغيرة في مجموعة ألواح هنري لايارد المسمارية. وقبل أن يترجم مصادفة ذلك الجزء من اللوح المتضمن على الجملة المذهلة التي تقول إن سفينة نوح قد رست على جبل نيصير (Niṣir)،تتبعها قصة إرسال الحمامة، وعودتها بعد فشلها في إيجاد مكان تحط فيه، لاحظ سميث قطعة مرقمة (k63)فيها إشارة إلى أسطورة الخلق؛ إلا انه في غمرة انفعاله لاكتشافه سابقة لنوح المذكور في الكتاب المقدس، قام سميث بتنحية هذه القطعة جانبا بصورة مؤقتة، وقد ركز جل اهتمامه في إيجاد عناصر أخرى مفقودة ومرتبطة بقصة الطوفان، فكتب في مفكرته حينذاك: "كان البحث عملا شاقا وطويلا، لأنه كان هناك آلاف من القطع الصغيرة التي تحتاج الى الفحص والدراسة". وخلال أسابيع قليلة، التأمت ثلاث روايات من قصة الطوفان المتباينة قليلا، جميعها مأخوذة عن مجموعة لايارد. لم يكتمل أي منها حيث كانت كل واحدة منها قد جمعت مع ربط عدد قليل فقط من الكسر

---

(1) طه باقر، ملحمة كلكامش ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٦)،ص١٢-١٣.

الصغيرة. ومن أصل أعمدة النص الستة الموجودة في الألواح الأصلية، كانت تراكيب العمودين الثالث والرابع على وشك إتمامهما، أما البقية فقد كانت مفقودة بصورة كاملة، أو يمكن قراءتها بصورة جزئية بسبب الثغرات الموجودة. على الرغم من ذلك استطاع سميث أن يفك رموز ما يكفيه للمقارنة مع قصة الطوفان التوراتية ليهئ محاضرته التي انتظرها بفارغ الصبر، والتي ألقاها أمام جمعية علوم الآثار التوراتية في ٣/كانون الأول/١٨٧٢.حركت المحاضرة التي ألقاها سميث أمام الجمعية شعورا جعل صحيفة الديلي تلغراف اللندنية أن تقدم مكافأة قدرها ألف جنيه إسترليني، لاستئناف التنقيبات في نينوى، وجلب الألواح المفقودة. وكان سميث قد نجح بعد ذلك في ترجمة نص أسطورة الخلق ونشر تقريره حولها في ٤/آذار/١٨٧٥ وقد أبدى دهشته حول التشابه الموجود بينها وبين الإصحاح الأول من سفر التكوين[١].وخلال الأعوام من ١٨٧٢ الى ألان تمكن العلماء والباحثون من وضع مؤشرات واسعة حول اثر الأدب القديم في وادي الرافدين في الآداب العالمية القديمة. ولعل ابرز الدراسات التي نفذت قد تركزت حول العهد القديم[٢].كذلك تم تشخيص عدد من الآثار الأدبية البابلية في كل من الأدب الكنعاني[٣]،والحيثي[١]،واليوناني[٢]،والفارسي[٣]،والهندي[٤].

١) وليم ريان ووالتر بتمان،طوفان نوح:الاكتشافات العلمية الحديثة بخصوص الحدث الذي غير التاريخ،ترجمة:فارس بطرس،إشراف ومراجعة:يوسف توما،(بغداد:مطبعة النهار الجديد،٢٠٠٥)،ص٦٠-٦٦.

٢) حول اثر أدب وادي الرافدين على العبريين انظر:فاضل عبد الواحد علي،من ألواح سومر الى التوراة،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٩)،ص٢٣٩-٣٩١؛سيد محمود ألقمني،قصة الخلق أو منابع سفر التكوين،(القاهرة:المركزي المصري لبحوث الحضارة،١٩٩٩)؛سهيل قاشا،التوراة البابلية،(بيروت:دار الفرات للنشر والتوزيع،٢٠٠٣).وجرت معالجة مؤخرا وافية لأثر اداب الشرق الأدنى في العهد القديم من قبل:غسان عبد صالح،أساطير التوراة:دراسة تاريخية تحليلية،(أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،٢٠٠٤).

٣) نفذت دراسة حديثة لأثر الأدب البابلي في الأدب الكنعاني ولكنها جزئية وغير وافية من قبل:منذر علي عبد الملك،"تأثير الأدب البابلي في الأدب الاوغاريتي،بحث ضمن ندوة الصلات

إن دراسة المؤثرات الأدبية من وادي الرافدين ما زال جاريا، وان الدراسة الحالية هو محاولة تسليط الضوء على هذا الأثر من خلال أسطورتين في أدبين مختلفين وهما:

١.أسطورة يسوع والعاصفة.

تذكر أسطورة ترد في الأناجيل إن يسوع ركب قاربا يوما: "فتبعه تلاميذه وهبت عاصفة شديدة في البحر حتى غمرت الأمواج القارب. وكان يسوع نائما، فدنا منه تلاميذه وأيقظوه وقالوا له: نجنا يا سيد نحن نهلك! فأجابهم يسوع: مالكم خائفين، يا قليلي الإيمان؟ وقام وانتهر الريح والبحر، فحدث هدوء تام. فتعجب الناس وقالوا: من هذا حتى تطيعه الرياح والبحر"[٥].

المشتركة بين أبجديات الوطن العربي القديمة للمدة:١٠-١١/١٠/٢٠٠١،(بغداد: منشورات بيت الحكمة،٢٠٠١)،ص٧٣-٩٥.

١) لا توجد حاليا تغطية شاملة عن اثر الأدب البابلي في الأدب الحيثي،باستثناء الإشارات القيمة في،علي،من ألواح سومر،ص١٩٣-١٩٥.

٢) لقد شخص اثر أدب وادي الرافدين في الأدب اليوناني في عدد من الدراسات ولم تظهر الى ألان دراسة شاملة حول المسألة ومن اجل الحصول على إشارات جيدة انظر:علي، من ألواح سومر،ص٢٠٦-٢٢٧.سامي سعيد الأحمد،حضارات الوطن العربي أساسا للحضارة اليونانية،(بغداد:منشورات بيت الحكمة،٢٠٠٣).وان الدراسة الأخيرة شاملة لكل المؤثرات الحضارية للشرق الأدنى في بلاد اليونان وفيها إشارات قيمة بخصوص اثر أدب وادي الرافدين في الأدب اليوناني القديم.

٣) لا نمتلك حاليا دراسة شاملة للمادة الأدبية الفارسية القديمة مع إبراز المؤثرات من وادي الرافدين عليها، وتمت محاولة جزئية من قبل:أسامة عدنان يحيى،بابل في العصر الاخميني،(رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،٢٠٠٣)،ص٣٠٦-٣١١.

٤) لم تتوفر الى ألان معالجة شاملة حول المؤثرات الأدبية السومرية-البابلية في الأدب الهندي، وشخص مؤخرا اثر أسطورة الخليقة في أسطورة هندية من قبل:أسامة عدنان يحيى،الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم:دراسة في الأساطير،(أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،٢٠٠٧)،ص٧١.

٥) انظر نص الأسطورة في:متى ٨: ٢٣-٢٧؛مرقس ٤: ٣٥-٤١؛لوقا، ٨:٢٢-٢٥.

بلا شك إن هذه الرواية تعد من أهم الروايات الأسطورية عن السيد المسيح، ومعجزاته ترد في الأناجيل، ولكن دراسة فاحصة للنص تشير الى وجود اقتباس من الأدب البابلي. والحقيقة إن هناك أسطورة بابلية طالما نظر إليها على إنها ذات اثر في أسطورة هبوط ادم من الجنة[1] ولم يتم ربطها بشكل جاد بالتراث الإنجيلي وهي أسطورة ادابا[2].ونقرأ في هذه الأسطورة:

"(في احد الأيام)،على الرصيف المقدس رصيف القمر الجديد

ركب سفينته الشراعية

وبريح (مواتية) كانت السفينة تتابع تقدمها

و[بواسطة] عصا الغرز (وحدها) كان يوجه سفينته

[وعندما وصل الى عرض] البحر الفسيح

[بدأ يصطاد وكان البحر مثل مرآة]...

[...........]

ولكن ريح الجنوب [بدأت تهب بشدة فأغرقت]

سفينته ورمتها في عالم [الأسماك]

يا ريح الجنوب (صرخ لها) لتقع اللعنة

على جميع مخازيكِ!

لأكسرن جناحك! ما إن تلفظ بهذه الكلمات

---

[1]) انظر:علي،من ألواح سومر،ص٢٦٠-٢٦٧.

[2]) من اجل الحصول على ترجمات وافية لهذه الأسطورة انظر:

E.A Speiser, Adapa, In: ANET(= Ancient Near East Texts Relating to the Old Testament),(Princeton,1966),PP.101-103;

الكسندر هايدل،الخليقة البابلية:قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم،ترجمة:ثامر مهدي محمد،مراجعة:محي الدين إسماعيل،(بغداد:منشورات بيت الحكمة،٢٠٠١)،ص١٩٧-٢٠١ ؛رينيه لابات،المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين:مختارات من النصوص البابلية،ترجمة:ألبير أبونا ووليد الجادر،(بغداد:مطبعة التعليم العالي،١٩٨٨)،٣٤٤-٣٤٨ ؛قاسم الشواف،ديوان الأساطير،(بيروت:دار الساقي،١٩٩٧)،ج٢،ص٤٧٩-٤٨٦.

حتى انكسر جناح ريح الجنوب"[1].

إن لعنة ادابا أدت الى توقف هبوب الريح الجنوبية[2].

إن مقارنة أولية للنص تكشف التشابه المذهل بين الأسطورتين، فالاثنين ادابا والسيد المسيح يركبان قارب، ويواجهان عاصفة من الرياح ويستخدمان قوة الكلمة(سحر الكلمة) في إيقاف هذه العاصفة، اللعنة بالنسبة لادابا، وانتهار الريح (ربما المقصود بها لعنة ما) في حالة السيد المسيح. ولكن الأمر لا يقتصر عند ذلك الحد، إذ إن قراءة أسطورة ادابا، والأساطير المتعلقة بالسيد المسيح في الأناجيل تكشف عن تماثل أعمق. فالمسيح كما هو معروف هو ابن الله[3]،وان ادابا هو ابن الإله أيا[4].ونعرف كذلك إن السيد المسيح كان شافيا للأمراض[5] وان ادابا قد منح هذه الهبة من قبل الإله الأكبر انو:

"وبما إن ادابا هو من الجنس البشري

[وبطرقه الخاصة] يتمكن بنجاح من كسر جناح ريح الجنوب

وبما انه، دونما عقاب صعد الى السموات فليكن (قرارنا) كذلك:

[كل] ما ستسببه [ريح الجنوب] من شر للبشر

[وأي مر]ض ستضعه في جسم البشر

[مع ا]دابا سوف تتمكن نيكارراك(Nikarrak)[6] من تهدئتهما

وعند [ذلك] فليتبدد الشر، وليبتعد المرض!

و[لكن] بدونه، لتأتِ الحمى المقرسة

[بحيث] لا يتمكن [المريض] من اخذ راحته في نوم هانئ!"[7].

---

[1]) أسطورة ادابا، اللوح A،الأسطر:١٩-٢٣؛اللوح B،الأسطر:١-٥.

[2]) أسطورة ادابا، اللوح B،الأسطر:٧-٨.

[3]) بروس بارتون وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة:شركة ماستر ميديا، (القاهرة:بلا.مط، ١٩٩٧)، ص١٨٦٥.

[4]) أسطورة ادابا، اللوح B، السطر:١٠.

[5]) نجد أمثلة متعددة في الأناجيل حول هذه المسألة.

٦) وهي إلهة الصحة والشفاء.

٧) أسطورة ادابا، اللوحD،الأسطر:١٢-٢٠.

يتضح من هذا الاستعراض الأثر الكبير الذي تركته أسطورة ادابا في شخصية السيد المسيح كما أظهرتها الأناجيل. وإن التساؤل الذي يمكن طرحه هنا هو كيف وصلت أسطورة ادابا الى الأناجيل؟ لا يمكن الجزم بالطريق الذي وصلت فيه المؤثرات البابلية في الأناجيل، ولكن إن الشيء المؤكد إن كهنة بابليين كانوا يزورون فلسطين خلال عصر السيد المسيح، ونقرأ إشارة عن مثل هذه الزيارات: "لما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، على عهد هيرودس، جاء الى أورشليم مجوس من المشرق وقالوا: أين هو المولود، ملك اليهود؟ رأينا نجمه في المشرق فجئنا لنسجد له"[1].

لقد افترض باحث على الأقل إن المقصود بالمجوس في النص هم أولئك من رجال الدين الإيرانيين القدماء[2].ولكن يبدو إن النص هنا يتحدث عن كهنة بابليين، ويمكن أن نقدم برهانا مفاده إن المقصود بمصطلح المجوس في اقل تقدير بالنسبة لكتبة العهدين القديم والجديد يقصد بهم الكهنة البابليون. فقد ذكر المجوس ككهنة الملك البابلي نبوخذنصر الثاني(٦٠٥-٥٦٢ قبل الميلاد) كما نقرأ: "وفي السنة الثانية من عهد نبوخذنصر الملك، حلم نبوخذنصر أحلاما أزعجته ومنعت عنه النوم. فأمر أن يدعى السحرة والمجوس والعرافون والمنجمون ليفسروا له أحلامه"[3].وعندما عجز هؤلاء عن تفسير حلم نبوخذنصر يخبرون الملك: "فقال المنجمون أمام الملك: ما من إنسان في الأرض يقدر أن يبين ما يأمرنا به الملك، وما من ملك عظيم السلطان سأل ساحرا أو مجوسيا أو منجما عن أمر مثل هذا"[4].ونمتلك دليلا خارجيا غير الكتاب المقدس يعطينا برهانا أخر حول ارتباط العرافين البابليين بكلمة المجوس، ففي

---

[1]) متى٢: ١-٢.

[2]) انظر هذا الرأي ومحاولة البرهنة عليه في:خليل عبد الرحمن،مقدمة كتاب الافستا،(دمشق:روافد للثقافة والفنون،٢٠٠٨)،ص١٨-١٩؛انظر كذلك:قاموس الكتاب المقدس،مادة:مجوس في

http://www.albishara.org/dictionary.php

[3]) دانيال٢: ١-٢.

[4]) دانيال٢: ١٠.

بداية حكمة احيقار السريانية نقرأ قول احيقار الذي يقول: "عندما كنت أعيش في فترة حكم سنحاريب ملك نينوى، عندما كنت أنا احيقار خازنا وكاتبا، وكنت شابا، قال لي العرافون والمجوسيون والحكماء: لن يكون لك ولد"[١].وعندما أراد أسرحدون(٦٨٠-٦٦٩ قبل الميلاد) كما يذكر النص السرياني استشارة حكماء دولته في أمر ما فانه: "جمع كبار مملكته والحكماء والمجوسيين والعلماء"[٢].لذا يتضح لنا إن هؤلاء المجوس الذي كانوا يترددون على فلسطين هم صنف من أصناف المنجمون والعرافون البابليون. هذا وان ذكر بابل يرد بشكل مباشر في أدبيات العهد الجديد[٣].مما يشير الى وجود صلات بين بلاد الرافدين وفلسطين في القرن الميلادي الأول.

٢.أسطورة ولادة الملك الفارسي دارا الأول(٥٢٢-٤٨٦):

إن الحصول على مصدر معاصر للدولة الاخمينية حول الأساطير الإيرانية القديمة غير ممكن بكل الأحوال، فالنصوص الإيرانية القديمة المعاصرة للدولة الاخمينية اغلبها ذات طابع سياسي، وكتابات ملكية بالدرجة الأولى، وان النص الأدبي-الديني الممكن استخدامه، والذي ربما يكون معاصرا للحقبة الاخمينية هو الافستا إلا انه لا يتضمن أساطير إيران القديمة إلا نادرا فهو يتحدث عن الديانة التي أسسها زرادشت، وتطورها من بعد وفاته. ورغم انه يطلعنا على أخبار بعض ملوك إيران الأسطوريين، إلا إننا لا نقرأ فيه أية إشارة عن ملوك الدولة الاخمينية لذا من الصعب استخدامه لمعرفة تاريخ هذه الحقبة.

مع ذلك فإننا ما زلنا نمتلك مصدر واحدا ذا طبيعة استثنائية، ولكن متأخر جدا عن الحقبة الاخمينية يمكن الاستفادة منه من اجل التعرف على الأساطير الإيرانية القديمة هو ما يعرف باسم الشاهنامة أو ملحمة الفرس الكبرى للشاعر

---

[١]) قاسم الشواف،ديوان الأساطير،(بيروت:دار الساقي،١٩٩٩)،ج٣،ص٣٧٢.

[٢]) المصدر نفسه،ص٣٩٢.

[٣]) انظر:رؤيا القديس يوحنا ١٤:٨؛ ويرد اسم نهر الفرات الكبير،١٤:٩؛١٦:١٢؛ويتحدث الإصحاح ١٨ عن ما يعرف بسقوط بابل.

الإيراني الفردوسي الذي عاش في القرن الحادي عشر للميلاد. والشاهنامة منظومة عظيمة مكونة من ستين ألف بيت، نظمها الفردوسي للسلطان محمود الغزنوي. وقضى في نظمها أربعين سنة تقريبا، وأنهاها في حدود عام ١٠١٠م. وتكمن أهمية الشاهنامة بكونها مصدر يستقي منه الإيرانيون عقائدهم المتصلة بتاريخ شعبهم القديم[1].وان نظرة جيدة في مضمون الشاهنامة يتضح منها إن مؤلفها رغم انه عاش في القرون الوسطى، إلا انه ينقل أساطير إيران القديمة، وان مقارنتها بالآداب الهندية-الأوربية القديمة(كالإلياذة) يمكن أن تقدم لنا اضاءات كثيرة عن هذه الملحمة وعبقرية شاعرها. ويمكن تشبيه عمل الفردوسي بالنسبة لتاريخ إيران مثل عمل فيرجيل في تاريخ روما.

في الشاهنامة يسرد لنا الفردوسي نصا أسطوريا حول ملك يدعى داراب(ربما دارا الأول)[2] وتقول الأسطورة إن بهمن احد ملوك الفرس كانت له ابنة تدعى هماي الملقبة جهر أزاد التي تزوجها هو نفسه، ورزقت منه بابن. وفيما بعد تتسنم هماي العرش بعد وفاة بهمن. فلما جاءها المخاض ولدت صبيا قالت انه مات. ولما بلغ وليدها ثمانية أشهر، وضعته في علبة مملوءة بالجواهر، وشدت على عضده جوهرة لها قيمة عالية، ثم أمرت فألقي به في نهر الفرات، وعند النهر وجده قصار يغسل الثياب، فأخذه واتخذه ابنا عوضا عن ابنه الميت. وانتقل مع زوجته، وربيبه الى بلدة ثانية بعدما اسماه داراب لأنه وجده في الماء (داراب تعني في الماء).ويقول الفردوسي إن داراب تمنع عن مزاولة مهنة أبيه، وتعلم الفروسية وسرعان، وما ذاع صيته في الحروب، ومن ثم تتعرف عليه أمه هماي وتعطيه العرش[3].بلا شك إن أسطورة الطفل الملقى به في النهر هي أسطورة شائعة في أدب وادي الرافدين، والتي صيغت حول احد ملوك سلالة أكد، وهو سرجون الاكدي. ويمكن أن نقرأ فيها:

---

[1]) أدوار براون، تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: احمد كمال الدين حلمي، (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٤)، ج١، ص١٨٩.

[2]) انظر هذه المطابقة في: المصدر نفسه، ج١، ص١٩٩.

[3]) ابو القاسم الفردوسي، الشاهنامة: ملحمة الفرس الكبرى، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩)، ص١١٥-١١٧.

"أنا سرجون الملك العظيم، ملك بلاد أكد
كانت أمي كاهنة عظمى
وأنا لا اعرف أبي
كان شقيق أبي يحب التلال
ومدينتي أزوبيرانو(Azupiranu)
التي تقع على ضفاف الفرات
لقد حملتني أمي وولدتني سرا
ووضعتني في سلة من البردي ختمت غطاءها بالقير
ومن ثم رمتني في النهر الذي لم يغمرني
فحملني النهر وأخذني الى الغراف اككي (Akki)
فاتخذني الغراف اككي ابنا له
وجعلني الغراف اككي بستانيا عنده
وعندما كنت بستانيا منحتني عشتار حبها
فاضطلعت بالملوكية أربع و[خمسين] عاما"[١].

من غير شك هناك تماثل كبيرة بين الأسطورتين، ففي أسطورة سرجون الاكدي تتخلص منه أمه لأنها كاهنة عظمى يمنع عنها الإنجاب، مثلما فعلت والدة دارا عندما تخلصت من وليدها ولكن هنا لا يذكر السبب. وكان نهر الفرات هو النهر الذي رمي إليه الطفلان؛ وفي الوقت الذي انتشل سرجون الغراف اككي، انتشل دارا قصار كان يغسل ثيابه في النهر. وكلا البطلين تسلما السلطة من امرأة الإلهة عشتار بالنسبة لسرجون، وهماي في حالة دارا. وكانت هماي ملكة في حين على الأرجح كانت والدة سرجون من أسرة ملكية، فالمعروف في وادي الرافدين إن الكاهنات من هذه الدرجة كن من الأسر الملكية، فقد قام الملوك بتكريس بناتهم لهذا المنصب، والخدمة في معابد الآلهة مثلما فعل سرجون الاكدي(٢٣٧١-٢٣١٦قبل الميلاد)،عند عين ابنته المدعوة اينخيدواننا

---

[١]) حول أسطورة سرجون الاكدي انظر:

E.A Speiser, The Legend of Sargon,In:ANET,P.119

لابات،المعتقدات الدينية،ص٣٦٤-٣٦٦؛علي،سومر،ص٢٤٤-٢٤٥.

لمنصب الكاهنة العليا لمعبد الإله سين في أور[1]،ونابونائيد(٥٥٥-٥٣٩قبل الميلاد)عندما عين ابنته بيل-شلتي-نانار، في نفس المنصب في معبد الإله سين في أور[2].ومع ذلك هناك اختلاف بين الأسطورتين، ففي الوقت الذي أكدت فيه الأسطورة البابلية على إن سرجون ورث مهنة أبيه، وأصبح بستانيا نجد الأسطورة الفارسية تقول إن دارا رفض مزاولة مهنة والده ربما لزيادة الدور البطولي لهذا الملك وإبراز شجاعته. ولكن عنصرا أخر ذكر في أسطورة داراب لا نجد له مثيل في الأسطورة البابلية، فوالد دارا الذي وجده يسميه داراب أي في الماء، وهذا العنصر غير موجود في النص البابلي، فهل إن هذا المورد من الأسطورة اختلاق الفردوسي نفسه أم مقتبس هو الأخر، وإذا كان مقتبسا فمن أين؟ لابد إن الفردوسي قد اقتبس هذه المسألة من أسطورة ولادة موسى الواردة في العهد القديم(وهذه الأسطورة بالأصل مقتبسة من الأدب الرافديني)، إذ تقول أسطورة موسى ابنة فرعون التي وجدت موسى سمته بهذا الاسم وقالت: "لأني انتشلته من الماء"[3].الحقيقة إن هذا الاسم مصري، وكما يرى الأستاذ ألقمني هو في المصرية مؤلف من مو(ماء) وسا(ابن) أي ابن الماء[4].

لا نعرف كيف وصلت هذه الأسطورة الى الفردوسي، ولكن وصول الأساطير والقصص القديمة الى مؤلفات متأخرة ليس بالأمر الغريب، وقد شخص مثل هذا الأمر في مؤلفات متأخرة، كما هو الحال مع الفردوسي مثل:

---

[1]) بتي دي شونك ميدر،صلوات انهيدوانا:انهيدوانا سرجون الأكدي الكاهنة السومرية الكبرى وأول شاعرة في العالم،ترجمة:كامل جابر،(بغداد:منشورات الجمل،٢٠٠٩)،ص٨٤-٨٥.

[2]) هديب حياوي عبد الكريم غزالة،الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نابونائيد في قيادتها،(رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،١٩٨٩)،ص١٦٧.

[3]) خروج٢: ١٠.

[4]) سيد ألقمني،الاسرائيليلت،(القاهرة:عربية للدراسات والنشر،٢٠٠٢)،ص٧٢،وحول معاني المقطعين المصريين انظر:أنطوان زكري،مفتاح اللغة المصرية القديمة وأنواع خطوطها واهم إشاراتها ومبادئ اللغتين القبطية والعبرية،(القاهرة:مكتبة مدبولي،١٩٩٧)،ص٨٣، ٩٠.

قصص ألف ليلة وليلة[1]،وعند ابن النديم في الفهرست يرد ذكر أسطورة تموز ولكن مدمجة مع أسطورة بعل الكنعانية[2].

---

[1]) لقد تم تشخيص اثر لقصة البابلي جميل-نينورتا في قصص ألف ليلة وليلة انظر:فاضل عبد الواحد علي،"من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين"سومر،م٢٦،لسنة:١٩٧٠،ص٩٣-٩٤،طه باقر،مقدمة في أدب العراق القديم،(بغداد:دار الحرية للطباعةن١٩٧٣)،ص١٨٦-١٨٧؛علي،من ألواح سومر،ص١٨٦.

[2]) انظر:علي،من ألواح سومر،ص١٨٨.

الفصل الثالث

التكوين السكاني لإيران القديمة[1]

[1]) نشر هذا البحث في دورية كان التاريخية/دورية الكترونية متخصصة في البحوث والدراسات التاريخية/العدد:٨/لسنة:٢٠١٠.

www.historicalkan.co.nr

اولا: جغرافية إيران:

تقع إيران في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا وتعد هضبتها من الوجهة الطبيعية وحدة طبيعية واحدة[١].وهضبة إيران شبهة بالمثلث تقع بين منخفضين طبيعيين هما: بحر قزوين شمالاً، والخليج العربي جنوباً، وهي كذلك محصورة بين: وادي نهر السند شرقاً، ووادي دجلة غرباً[٢]، أما الأجزاء الشرقية من هذه الهضبة فتؤلف إقليمي أفغانستان وبلوجستان[٣]، وتشكل إيران حلقة الوصل بين آسيا الوسطى، وآسيا الغربية، كما إنها بمثابة جسر إلى آسيا الصغرى ثم إلى قارة أوربا[٤]، وتكاد تكون محاطة من كل جهاتها بالسلاسل الجبلية، فشمالاً تقع جبال كيلان، ومازندران الموازية لشواطئ بحر قزوين الجنوبية المتسلسلة نحو جبال هندكوش، ويحدها غرباً جبال أرمينيا، وجبال أذربيجان، وكردستان، والبختيارية، ويحدها شرقاً جبال خراسان ونهر ألاندوس ومن الجنوب يحدها الجبال الموازية للبحر العربي[٥].

تشكل جبال خراسان وامتدادها خراسان وبلوجستان الحد الجغرافي لهضبة إيران، وتشكل سلسلة جبال زاگروس المتصلة بطوروس الفاصل الغربي بين إيران وبين بلاد وادي الرافدين. وعلى الرغم من كون إيران محاطة من جميع جهاتها بسلاسل جبلية متفاوتة الارتفاع، لكن هذه الحواجز الجغرافية للهضبة لم تشكل حواجز طبيعية أمام انتقال الشعوب، والقبائل، والأفراد، كما أنها تتضمن مجموعة من الممرات وبعضها ذو شهرة تاريخية كبوابة آسيا، تسمح بالاتصالات بين داخل الهضبة، وبين المناطق المجاورة مما وراء السلاسل

---

[١]) سالم أحمد محل، العلاقات العربية-الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨١)،ص٢٢.

[2])R. Ghirshman, Iran,(London,1954),p.21;Sir Percy Sykes, History Of Persia,(New York,1958),Vol,1,p.1.

[٣]) طه الهاشمي، التاريخ والحضارة في الأزمنة الغابرة،(بغداد: مطبعة دنكور الحديثة،١٩٣٧)،ص٢٧٦ ؛طه باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)،ص١٥.

[4]) Ghirshman,Iran,p.21

[٥]) الهاشمي، التاريخ والحضارة،ص٢٧٦.

الجبلية[١].يوجد في بلاد إيران مجموعة من السلاسل الجبلية التي ترتفع حول صحراء كبرى هي (دشتي لوط)[٢] وأهم هذه السلاسل هي:

١.سلسلة جبال زاگروس:

تسمية زاگروس هي التسمية العامة للسلسلة الجبلية التي تنفصل عن طوروس، وتعرف هذه السلسلة بعدة مسميات، فهي تعرف بجبال كردستان وبعض أقسامها تسمى لورستان، وأقسام أخرى تعرف باسم بختياري، وتعرف هذه السلسلة بـ(السلسلة الغربية)[٣].ويكون اتجاه سلسلة جبال زاگروس شمالي غربي إلى جنوبي شرقي، وطول السلسلة (٦٢٠) ميلاً، وعرضها (١٢٠) ميلاً، ويتراوح ارتفاعها بين (٣٢٨٠) و(٥٥٧٠)، ويخترقها عدة أودية طولها يتراوح بين (٣٠-٦٠) ميلاً، وعرضها بين (٦-١٢) ميلاً، وجبال زاگروس شاهقة الارتفاع[٤]. ويتجه من السلسلة الوسطى لجبال زاگروس ذراع نحو وادي الرافدين باتجاه جبال حمرين الأمر الذي شكل نقطة ضغط طبيعية وتاريخية مؤثرة على نهر دجلة جعله يقترب من الفرات عند بغداد، اذ تصبح المسافة بين النهرين لا تتجاوز أكثر من (٢٠-٢٥) ميل[٥]. لقد شكلت سلسلة جبال زاگروس نقطة الارتباط بين أرمينية والأناضول، وبين منطقة قزوين وسهول عيلام[٦]. وتمثل جبال زاگروس الحدود الجغرافية الفاصلة بين هضبة إيران، وبين وادي

---

[١]) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم: إيران والأناضول،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، بلا ت)،ص٧-٨.

[٢]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،(بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة،١٩٥٦)،ج٢،ص٣٧٣.

[٣]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٧٣؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨.

[4]) Ghirshman,Iran,P.21;

الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨.

[5]) Ghirshman,Iran,P.21;

باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،ص١٦.

[٦]) الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٩.

الرافدين[١]. وترتبط بلاد وادي الرافدين ببلاد إيران عن طريق ممرات جبلية من جبال زاگروس، ويقع أول تلك الممرات في رايات قرب راوندوز، والثاني في حلبچة إلى الجنوب الشرقي من السليمانية، والثالث في خانقين. وتؤدي ممرات رايات، وحلبچة إلى سواحل بحيرة أورمية وأذربيجان. أما طريق خانقين فإنه يتجه نحو كرمنشاه وهمدان وصولاً إلى الهضبة الإيرانية. وثمة ممر رابع وهو يسير بمحاذاة جبال زاگروس من مدينة الدير (تلول العقر قرب بدرة) لتصل إلى مدينة سوسة عاصمة عيلام[٢].وفي أقصى شمال سلسلة جبال زاگروس تقوم بحيرة (وان) وهي منطقة أقوام الأورارتو التي تمتد اليوم في شرق تركيا، حيث تفرغ بعض الأنهار المنحدرة من زاگروس صوب الشمال مياهها في هذه البحيرة. وفي شرق سلسلة جبال زاگروس تقع بحيرة أورمية التي تتلقى بدورها المياه المنحدرة صوب الشرق من جبال زاگروس. وتأخذ جبال زاگروس عند جنوب أورمية بالضيق، وقلة الارتفاع حتى تتلاشى عند نقطة بدرة- جصان على الحدود العراقية الإيرانية، حيث تبدأ بعدها سهول سوسيانة الشهيرة[٣].

٢.سلسلة جبال البورز:

تقع في الجزء الشمالي من إيران، ويبلغ ارتفاعها (١٩٠٠٠)قدم[٤]،وتعرف في أغلب الأحيان باسم السلسلة الشمالية، ويرد اسمها في المصادر الآشورية باسم ديماوند[٥].ويتاخم هذه السلسلة بحر قزوين في سواحله الجنوبية[٦]،وإن محاذاة هذه السلسلة لبحر قزوين جعلته يحصر بينه

---

[١] المصدر نفسه، ص٨.

[٢] فاضل عبد الواحد علي، "صراع السومريين والأكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية المجاورة لبلاد وادي الرافدين ٢٥٠٠-٢٠٠٠ق.م"،بحث ضمن كتاب الصراع العراقي-الفارسي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣)،ص٢٦-٢٧.

[٣] المصدر نفسه،ص٩.

[4] Ghirshman,Iran,P.22.

[٥] باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص١٦.

[٦] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٧٤.

وبين الساحل منطقة ساحلية تعد من أشهر المناطق الخصبة في إيران. وتمتد السلسلة الجبلية غرباً لتحاذي أذربيجان الذي تقع داخله بحيرة أورمية[١]. أما الامتداد الشرقي لجبال البورز فيعرف بجبال خراسان، وهي جبال قليلة الارتفاع سهلة العبور. والسلسلة بجانبيها الغربي والشرقي تعد من مراكز الاستقرار الكثيفة. وإلى الجنوب من السلسلة الشرقية يقع نطاق جبال هندكوش الذي يقع في ضمنها إقليما أفغانستان وبلوجستان، وسلسلة جبال هندكوش وعرة، مرتفعة، وفيها ممرات تربط تركستان الصينية بأواسط لآسيا من جهة وإيران، والهند من جهة ثانية. وعبر جبال هندكوش يمر طريق الحرير الشهير، كذلك تعد وديان الأنهار التي تخترق المنطقة طرق مواصلات جيدة في نطاق هندكوش ما بين إيران وكابلستان. لذلك أصبحت ممرات بولان في بلوجستان، وخيبر في كابلستان، ومجموعة ممرات أخرى في نطاق هندكوش في حيز أفغانستان، وسائط عبور رئيسية صوب الهند، وأواسط آسيا، والصين، كما ربطت من ناحية أخرى المناطق المذكورة في غربي آسيا[٢].

٣.سلسلة جبال مكران:
هي السلسلة الجنوبية من جبال إيران، وتضم ممرين الأول: يؤدي إلى منطقة بندر عباس عند خليج عمان، والثاني: يقود إلى بلوجستان[٣].

فضلاً عن السلاسل الجبلية العالية يوجد في هضبة إيران نوع آخر من التضاريس المتمثلة بالصحارى الكبرى. وأبرز هذه الصحاري هي صحراء دشتي كافر، وجنوبها دشتي لوط، وتقع هذه الصحاري في مركز الهضبة. وكانت مجموعة السلاسل الجبلية الأنفة الذكر هي التي تحيط بالهضبة التي تضم هذه الصحاري القاحلة الشديدة التطرف في درجات حرارتها، ولذلك فهي بمثابة حواجز طبيعية بين جوانب هضبة إيران، وتعد من أشد صحاري العالم جفافاً

[١] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٢.
[٢] المصدر نفسه،ص١٢-١٣.

[3]) Ghirshman, Iran,P.23.

وملوحة حتى عدها بعضهم أشد جفافاً من صحاري آسيا الوسطى مثل: صحراء كوبي. وتنعدم في هذه الصحاري كل ملامح الحياة، وبالتالي يتعذر على الإنسان اجتيازها. وسميت هذه الصحاري في المصادر العربية البلدانية فيما بعد باسم مفازه يزد[١].

إن هذه البيئة الصعبة جعلت الإنسان من القدم يستوطن المناطق السهلية، والوديان الخصبة، والواحات. ومن أبرز مناطق استيطان الإنسان في إيران هي السهول الجنوبية لجبال زاگروس الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من إيران، وهي منطقة سوسة أو شوشة التي عرفت تاريخيا ببلاد عيلام. وتبلغ مساحة السهل العيلامي حوالي ٢٤,٠٠٠كم، ويعد من الناحية الجغرافية والحضارية امتداداً لسهل وادي الرافدين الأسفل[٢].

يخترق السهل العيلامي من الشمال إلى الجنوب وبصورة متوازية تقريباً ثلاثة أنهار هي: الكرخة الذي عرف في المصادر المسمارية باسم (Uqnu)(اللازورد) الذي اشتهر قديماً بنقاوة مياهه وعذوبتها، ثم نهر (الدز)، ونهر (الگارون)،وعرف هذا الموقع في المصادر المتأخرة لتاريخ إيران، لاسيما المصادر العربية باسم الأحواز أو خوزستان[٣].

إن منطقة سوسة في كثير من خصائصها ومناخها لتشبه القسم الجنوبي لبلاد وادي الرافدين، إذ يرتبط بها من خلال المسطحات المائية (اهوار الحويزة) التي تمتد غرباً لتحاذي نهر دجلة في بعض أقسامه عند محافظة ميسان حالياً، حيث تستطيع أدنى وسائط النقل الشائعة في المنطقة، وهي

---

[1]) Ghirshman, Iran,P.23-24;

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٧٥؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٤؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص١٧؛قحطان عبد الستار الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،(البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٧)،ص٢٤.

[2]) V. Gordon Childe, New Light Of the Most Ancient East, (London,1935), P.250.

باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص١٧؛علي، صراع السومريين والأكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية،ص١٧.

[٣] علي، صراع السومريين والأكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية،ص٢٩؛ الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٢٤.

المشاحيف الانتقال من مكان إلى آخر بحرية كاملة. كما أن الشقة الأرضية بين منطقة البصرة، وبين سهول الأحواز (عيلام) تمنح الحرية التامة للاتصالات بين الجانبين. وتطل سهول الأحواز على الأقسام الشمالية الشرقية لرأس الخليج العربي، ويصل نهر الكارون الذي يقدم من أواسط هذه السهول إلى مسافة قريبة من رأس الخليج العربي، حيث يصب اليوم في شط العرب جنوب البصرة بمسافة قليلة[١]. ومن المدن المهمة التي اشتهرت في تاريخ إيران مدينة سوسة، وإقليم فارس، وهو الإقليم الذي عرف عند كتاب الإغريق باسم (Persis)، ويعتقد أستاذ (لي سترنج) أن كلمة (Persia) مشتقة من الكلمة اليونانية (Persis)[٢].إلا أن ذلك غير صحيح فقد وردت كلمة (Parsua) في المصادر الآشورية قبل المصادر الإغريقية بحدود خمسة قرون كما سنرى لاحقاً.

يشرف إقليم فارس على ساحل الخليج العربي، ويغلب على الإقليم طبيعة المنطقة الجبلية، ومنها سلسلة تحاذي ساحل الخليج العربي، وتمنع حرية الانتقال بين طرق المواصلات البحرية وبين داخلية إقليم فارس إلا من خلال ثغرات طبيعية قامت عندها مراكز موانئ رئيسية أهمها: بندر عباس الذي يقع عند مضيق هرمز، والآخر بوشهر ويقع عند الأقسام الشمالية للخليج العربي. وشهد الإقليم عدة مدن مهمة قديمة منها: بزرگادة، وبرسيبولس، واصطخر؛ وحديثة منها: يزد، وكرمان، وأصفهان، وبوشهر، وبندر عباس. والإقليم بصورة عامة قليل الأمطار شديد الحرارة نسبياً[٣].

إن أبرز العوارض الطبيعية في إقليم فارس هي بحيرة بختيكان الكبيرة وماؤها المالح[٤].ومن المدن المهمة في إيران أيضاً: مدينة همدان، وتبريز شمالها. ومدينة همدان هي هگمتانا في الكتابات الاخمينية، وذكرت في المصادر الإغريقية

---

[١] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٠-١١.

[٢] لي سترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد،(بغداد: مؤسسة الرسالة، ١٩٥٤)،ص٢٨٣.

[٣] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١١.

[٤] الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٢٥.

أكبتانا، وسميت في المصادر العربية همدان من ضمن إقليم الجبال[١].وإقليم همدان هو عاصمة دولة ميديا التي قامت في إيران في القرن السابع قبل الميلاد[٢].أما شرق إقليم فارس فيأتي إقليم كرمان، وهو أقل من إقليم فارس في الخصوبة، وذلك لخلوه من الأنهار تقريباً، ولوقوعه على صحراء إيران الكبرى، الا ان أشهر الظواهر الطبيعية هي هضبة إيران العالية الواقعة في وسط إيران التي تكون الصحراء الكبرى، وهي صحراء مقفرة مترامية الأطراف، وفي هذه المفازة توجد بعض الواحات القليلة، وتغطي الأملاح رقعة واسعة من سطحها المحدب[٣]. أما إقليم مكران فهو يتاخم الهند من الجهة الشرقية، ويرتقي المرتفعات المشرفة على وادي الأندس الذي يسمى قسم منه اليوم سجستان[٤]. ومن الأقاليم المهمة التي استوطنها الإنسان الإقليم الذي يقع بين جبال البورز وبحر قزوين، ويعد من أخصب مناطق إيران. وفي شمالي طهران الحديثة تقع مدينة مرو القديمة[٥].فضلاً عن ذلك يوجد عدد كبير من المدن التاريخية التي قامت على السفوح الجبلية في الأراضي السهلية منها: قزوين، وطهران، والري، وهراة، حيث تعتمد في حياتها على مياه الأمطار المتساقطة إلى زاگروس والبورز[٦]. والبورز[٦]. أما أذربيجان الإيرانية فتقع عند نهاية امتداد جبال البورز الغربية، حيث تشهد المنطقة كثافة سكانية عالية بسبب: خيراتها الزراعية، وخصوبة أراضيها، وتقع في هذا الإقليم بحيرة أورمية المالحة. ويتيح هذا الإقليم حرية

---

[١] لي سترنج، بلدان الخلافة الشرقية،ص٢٢٩؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٩؛ الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٢٤.

[٢] روبرت فيفر، "الإمبراطوريات الأولى في أفريقيا وآسيا، ترجمة: مصطفى محمد الأمير، بحث ضمن كتاب موسوعة تاريخ العالم،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، بلا ت)،ج١،ص٩٠.

[٣] الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٢٥

[٤] المصدر نفسه،ص٢٥-٢٦.

[٥] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٧٥؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص١٧؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٢.

[٦] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٥.

الحركة في كافة الاتجاهات، وتتصل بأذربيجان عن طريق الشمال بأرمينية، وعن طريق الغرب من خلال منطقة أرضروم ببلاد الأناضول[١].

مناخ إيران عموماً مناخ بارد شتاءً، وحار جاف صيفاً، مع وجود بعض المناطق الممطرة عند سواحل بحر قزوين وجبال البورز، حيث تكون كمية الأمطار السنوية الساقطة غزيرة، وجيدة التوزيع على مدار السنة، بينما تتمتع سواحل إيران القريبة من الخليج العربي بمناخها الحار الرطب وتعرضها أحيانا لهبوب الرياح الموسمية، وبسبب مناخ إيران المتسم بقلة الأمطار أصبح النبات الطبيعي محدوداً في انتشاره، ومع ذلك ثمة بعض الغابات في كردستان ولورستان، كما توجد كثير من المراعي الجبلية في أذربيجان، وكردستان، وفارس الشمالية، حيث تكون أشجارها من نوع الأشجار النفيضة الكثيفة مثل البلوط والدردار[٢].

ثانياً: التركيبة السكانية في إيران.

لقد عاش الإنسان في بلاد إيران منذ أقدم العصور، وكان معظم السكان قد اختلطوا من أجناس متعددة حتى غدا من الصعب تمييز أصولهم الأولى. غير أن التنقيبات الاثارية، والمصادر المدونة أسهمت كثيراً في تزويدنا بمعلومات كثيرة عن الإنسان الذي استوطن إيران، ومن أبرز الأقوام التي سكنت إيران:

١.المستوطنون الأوائل:

يمكن إطلاق تسمية المستوطنون الأوائل على أولئك المجموعة من البشر الذي استوطنوا إيران من أقدم الفترات في تاريخها منذ العصر الحجري القديم، إذ عاش إنسان هذا العصر في الملاجئ الجبلية في إيران، وكان إنسان همجياً أعتمد في حياته على جمع القوت عن طريق التقاط الجذور والنباتات البرية. وقد عثر لإنسان هذا العصر على بقايا في كهف تنگي بابدا في جبال بختياري إلى الشمال الشرقي من شوشتر. ويعود عمر الإنسان الذي عاش في هذا

---

[١] المصدر نفسه،ص١٢.

[٢] محل، العلاقات العربية-الساسانية،ص٢٣.

العصر إلى نحو (١٠٠,٠٠٠) سنة مضت[١].كما عثر على بقايا إنسان العصر الحجري القديم في كهف بهستون، وكهف تامتاما (قرب بحيرة أورمية)، وكهف كامارِبند (كهف بيليت) المشرف على بحر قزوين[٢].

كانت معظم أدوات هذا الإنسان تخص الصيد، ومصنوعة من أحجار الصوان والعظام[٣].

شهد الشرق الأدنى القديم في حدود الألف الثامن قبل الميلاد، التحول الاقتصادي الخطير في العالم القديم إلا وهو اكتشاف الزراعة، وتدجين الحيوان، وقد عرف هذا التحول باسم العصر الحجري الحديث، ويحدد الأستاذ ساكز إن هذا الانقلاب حدث في المنطقة الواقعة من فلسطين حتى سلسلة جبال زاگروس[٤].وقد أبانت التحريات الاثارية الشيء الكثير عن بقايا الإنسان الذي عاش في هذا العصر في عدة مواقع منها تبة سيالك[٥]،كذلك في مواقع باكون، وتبة هزار، وتبة كيان[٦].وخلال الألف الربع قبل الميلاد ازدهرت مواقع مهمة تعود لإنسان العصر الحجري المعدني، ولاسيما في سوسة، ومن أبرز ميزات هذا

---

[١] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص٢٧٩؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم، ص٢١؛سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم، (بغداد:مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨)، ص٣٦٠؛أنظر كذلك:

E. Sundeland, "Early Man In Iran", In, CHI, Vol,I,PP.395ff.

[٢] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص٣٩-٤٠.

[٣] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج٢، ص٣٧٩.

[٤])هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان إبراهيم، (بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٩)، ص٢٦؛أنظر كذلك: هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة: ميخائيل خوري، (بيروت :منشورات دار مكتبة الحياة، بلا.ت)، ص٤١-٤٢.

[٥] عن موقع سيالك وبقاياه أنظر:

Ghirshman, Iran,PP.28-35.

[٦] تقي الدباغ ووليد الجادر، عصور ما قبل التاريخ، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٣)، ص١٨٠-١٨٣.

العصر التأثيرات الواضحة العراقية على إيران في عصر العبيد، وعصر الوركاء، وعصر جمدة نصر وأصبح زحم الحضارة العراقية واضحاً[١].

٢.العيلاميون:

سمي العيلاميون من قبل الباحثين بهذا الاسم نسبة إلى بلادهم المسماة بلاد عيلام الواقعة في السهول الجنوبية الشرقية من إيران، وهو امتداد لسهول العراق الطموية الجنوبية[٢].واطلق على بلاد عيلام في المصادر السومرية اسم (NIM) الذي يعني: النجد أو الأرض المرتفعة، وسمي في المصادر الاكدية باسم (Elamtu)(ايلامتو)، في حين أطلق العيلاميون على أنفسهم اسماً يختلف تماماً عن ذلك، إذ ذكر في المصادر المسمارية العيلامية بهيئة: خابرتي (Ḫa-pir-ti)، ويجوز قراءة العلامة الوسطى بهيئة (Tam) فتصبح خاتامتي (Ḫa-tam-ti)[٣]، في حين يرد الاسم في التوراة بهيئة عيلام[٤].أما المصادر الفارسية المتأخرة فيرد الإقليم بهيئة (Uvaja) أو(Huvaja)، ومنه الكلمة العربية خوز، أو خوزي، وحويزة أي: إقليم خوزستان. في حين ذكرته المصادر الكلاسيكية باسم عاصمته سوسيانة[٥].

لا نعرف أموراً مؤكدة عن أصل العيلاميين وجل ما يمكن قوله بهذا الصدد أنهم لم يكونوا من الأقوام الهندية-الاوربية، ولعل أصلهم من المنطقة الجبلية من جبال زاگروس، وهي منطقة تتاخم سهول عيلام في الشمال الشرقي وكذلك في سهول وادي الرافدين[٦].

---

[١] ساكز، عظمة بابل،ص٤٨.

[٢] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٥١.

[٣] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٨٠؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٢٥ ؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٥١؛ طالب حبيب منعم الشمري، الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد،(رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٦)،ص٢٦٧.

[٤] تكوين، ١٠:٢٢.

[٥] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٨٠.

[٦] باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٢٦.

ذكـر العيلاميـون في المصـادر العراقيـة القديمـة منـذ عصـر فجـر السـلالات في إثباتات الملوك السومرية، وحتى عهد الدولة البابلية الحديثة (٦٢٧-٥٣٩ ق.م) في نصوص الملك نبوخذنصر الثاني عندما هاجمهما عام ٥٩٥ق.م[١].

٣.اللولوبو والگوتيون:

اللولوبـو(Lulubu)مـن الأقـوام الجبليـة المسـتوطنة في جبـال زاگروس، ويحتـل إقلـيم اللولوبـو الطريـق المـؤدي مـن بغـداد إلى كرمنشـاه، ثـم إلى همـدان وطهــران. وقــد وصــل اللولوبــو فــي تحركــاتهم إلــى ســهل شــهرزور قــرب السليمانية[٢].ونعرف عن قدم العلاقات مع هؤلاء اللولوبو، إذ هاجمهم سرجـون الأكـدي(٢٣٧١-٢٣١٦ قبـل الميلاد)، كـما تـوغل حفيـده الملك نـرام سـين(٢٢٠٩-٢١٥٥ قبل الميلاد) في أراضيهم، وانتصر عليهم، وأقـام منحوتة كبيرة نحتت على الصخر في أعـالي جبـال قـره داغ عنـد ممـر دربنـدي گـاور[٣].ونعـرف مـن إحـدى الكتابات أسـم ملـك مـن ملـوك اللولوبـو يـدعى انـو-بـانيني (anu-baninni) الـذي تحـدثت أسـطورة متـأخرة عـن كونـه سـوط الـبلاد، وكـان مـن القـوة بحيـث تمكـن من أن يقيم مسلة نصر باسمه، غير أن حقيقة كتابة تلك المسلة باللغة الاكدية يؤكد انتشار تأثير الحضارة الاكدية حتى بين أعدائها[٤].

لا نعـرف الكثيـر عـن اللولوبـو بعـد فـترة الحكـم الأكـدي إلا بعـض الإشـارات، إذ نعـرف أن نبـو خـذ نصـر الأول(١١٢٦-١١٠٣ قبـل المـيلاد) هـاجم

---

[١] حيـاة إبـراهيم محمد، نبوخذنصـر الثـاني ٦٠٤-٥٦٢ ق.م،(بغـداد: دار الحريـة للطباعـة، ١٩٨٣)،ص٤٣.

[2]) Ghirshman, Iran,P.53;

جـورج رو، العـراق القـديم، ترجمـة: حسـين علـوان حسـين، مراجعـة فاضـل عبـد الواحـد علي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤)،ص١٤٩.

[٣]) باقر،مقدمـــة فـــي تـــاريخ الحضـــارات القديمـــة،ج٢،ص٣٨٦؛ســـاكز،عظمة بابل،ص٧٠؛رو،العراق القديم،ص٢١٤،وحول حرب نرام –سين لأقوام اللولوبو أنظر: رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين: مختارات من النصوص البابلية، ترجمة: الأب ألبير أبونا ووليد الجادر،(بغداد:مطبعة التعليم العالي ١٩٨٨)،ص ٣٦٧-٣٧٦.

[٤]) ساكز، عظمة بابل،ص٧٠.

قبائل اللولوبو في منطقة قره داغ[1].ويخبرنا الملك ادد-نيراري(١٣٠٥-١٢٧٤ قبل الميلاد) الأول بأنه دحر جموع اللولوبو[2].كما أخبرنا توكلتي-نينورتا الثاني(٨٩٠-٨٨٤ قبل الميلاد) بأنه هاجم مواقعهم[3].

أما الگوتيون(Guti) فقد سكنوا جنوب مواطن اللولوبو، وتمركزوا من مناطق همدان وما جاورها من المناطق وسط جبال زاگروس[4]،وذكر الگوتيون في المصادر المسمارية إلى جانب اللولوبو[5]. وكان الگوتيون من ضمن اللذين دحرهم نرام سين في هجومه الشهير على اللولوبو[6].ويعود انهيار الإمبراطورية الاكدية في حدود ٢٢٣٠ق.م إلى هجماتهم العنيفة[7].وخلال العهد الآشوري الوسيط نعرف من الملك أرك - دين – أيلي(١٣١٩-١٣٠٨ قبل الميلاد) قد هاجم مواطنهم[8]،كما هاجمهم الملك ادد-نيراري الأول أثناء عملياته العسكرية ضد اللولوبو[9].وقد تمكن الملك شلمنصر الأول(١٢٧٤-١٢٤٥ قبل الميلاد) من إخضاع بلاد الگوتيين[10].ويرد الگوتيون في مدونات توكلتي–نينورتا الأول باسم

---

(١) المصدر نفسه،ص١٠٣.

٢) ورد اسم اللولوبو في نص ادد-نيراري الاول بصيغة(Lulumî)انظر:

ARAB,Vol,1,No.73;

انظر كذلك: ساكز، عظمة بابل،ص٧٤..

(٣) سامي سعيد الأحمد، سميراميس،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨)،ص٢٦.

٤) رو، العراق القديم،ص٢١٣-٢١٤.

5)Ghirshman,Iran,p.53.

٦) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٨٦.

٧) ساكز، عظمة بابل،ص٧١؛فوزي رشيد، نرام سين،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٩٠)،ص١٠٥-١٠٦.

(٨) هاري ساكز، قوة آشور،ترجمة: عامر سليمان،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٩٩)،ص٧٣.

9) ARAB,Vol,1,No.73;

المصدر نفسه،ص٧٤.

10) ARAB,Vol,1No.125;

رو، العراق القديم،ص٣٥٣.

(Uqumeni) وإنه تمكن من إخضاعهم[1]،كما هاجمهم الملك آشور-ريش-أيشي(١١٣٣-١١١٦ قبل الميلاد)[2]،ويخبرنا الملك ادد-نيراري الثاني بأنه أخضع الگوتيين لسلطته[3].

٤.الكاشيون:

ينتمي الكاشيون إلى مجموعة الأقوام التي عرفت في التاريخ باسم الأقوام الهندية-الأوربية، الذين هاجروا من موطنهم الأصلي فيما وراء القوقاز متجهين نحو منطقة الشرق الأدنى القديم [4].وقد بدأت بوادر خطرهم منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد[5].أما كلمة كاشيون فلا نعرف مصدرها بالضبط، بالضبط، وربما أن تسمية هذه المجموعة بهذا الاسم متأتي من الكلمة البابلية كاشو(Kaššu)، والتي تعني البأس والقوة، وربما تكون هذه الكلمة مأخوذة من أسم إلههم القومي الذي يعرف بنفس الاسم[6].

استوطن الكاشيون بادئ الأمر في الجزء الأوسط من سلسلة جبال زاگروس الذي يعرف حديثاً باسم (لورستان) الواقع جنوب همدان. وكان يجاورهم من جهة الشمال أقوام الگوتيون، واللولوبيون. ولا نمتلك معلومات كثيرة عن تنظيمهم السياسي، غير أنهم لم يقوموا بدور فاعل في مناطق الشرق الأدنى حتى منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد. وقد أخذوا يزحفون بالتدريج نحو العراق سالكين طريق وادي دجلة. ويبدو أن لتحركهم باتجاه العراق ناتج عن ضغط أقوام الگوتي، واللولوبو، عليهم. وقد استقروا أخيراً في الفرات

---

[1]) كوزاد محمد أحمد، توكلتي نينورتا: منجزاته في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٢)،ص١٢٣-١٢٤؛ساكز، قوة آشور،ص٨١-٨٢.

[2] ساكز، عظمة بابل،ص١٠٤.

[3] ساكز، قوة آشور،ص١٠٧.

[4] الهاشمي، التاريخ والحضارة،ص١١٤؛ساكز عظمة بابل،ص٩٠؛سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين، ترجمة: سامي سعيد الأحمد،(بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠)،ص١٨٦-١٨٧.

[5] رو، العراق القديم،ص٣٣٢.

[6]) الشمري، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم،ص١٥٥.

الأوسط عند منطقة عانة. وقد حاولوا أول مرة غزو أرض بلاد الرافدين في عهد سمسو-ايلونا(١٦٨٦-١٦٤٨ قبل الميلاد) ملك بابل، إلا أن محاولتهم فشلت[١].

تمكن الكاشيون من تأسيس سلالة حاكمة في وادي الرافدين في أعقاب غزو الحيثيين لبابل عام ١٥٩٥ ق.م وانسحابهم منها، وعرفت سلالتهم الحاكمة باسم سلالة بابل الثالثة[٢].وقد بقي قسم من هؤلاء الكاشيون ساكنين في المناطق الجبلية من جبال زاگروس، إذ يخبرنا الملك نبو خذ نصر الأول أنه هاجم مناطق الكاشيين الجبلية[٣].لا نمتلك حالياً نصاً مدون بأكمله باللغة الكاشية، بل توجد لدينا نصوص أكدية تحتوي على مفردات وتعابير كاشية. واللغة الكاشية لغة إلصاقية تعود إلى مجموعة أسيوية واسعة تتصل من بعيد باللغة العيلامية. إلا أن وجود آلهة الهندية-أوربية في مجمع الآلهة الكاشي يدل على ارتباطهم بالهندو-أوربيين، مثل: شورياش(سوريا في الهندو-أوربية)، وماروتاش (ماروت)، وبورياش (ربما نفسه بورياس إله الريح الشمالية عند الإغريق)، جنباً إلى جنب الآلهة الكاشية(كاشو-شيباك-هاربا-شوماليا-شوكامونا)[٤].

٥.الميديون:

يعد الميديون أحد الموجات السكانية التي تداولت نوعاً من اللغات الهندية –الأوربية، وهاجرت ضمن الهجرات الواسعة لهذه القبائل، ودخلوا بلاد إيران في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد، أو مطلع الألف الأول قبل الميلاد. وإن

---

[1]) Ghirshman,Iran,P.64;

الهاشمي، التاريخ والحضارة،ص١١٤؛ ساكز، عظمة بابل،ص٩٠؛ رو، العراق القديم،ص٣٣٢؛محمد صبحي عبد الله، في العصور القديمة،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠)،ص٩٧-٩٨.

[٢]) حول غزو الحيثيين لبابل وسلالة بابل الثالثة أنظر:

Robert William Rogers, A History of Babylonia and Assyria(New York,1902),Vol,1,PP.398-424 ;

عبد الله، العلاقات العراقية-المصرية،ص٩١.

[٣]) ساكز، عظمة بابل،ص١٠٤.

[٤]) رو، العراق القديم،ص٣٣٣.

المعلومات الواردة عن هذه القبائل محصورة في ما ذكرته المدونات الآشورية بالدرجة الأولى، وان الأخبار التي ذكرها هيرودوت عن الدولة الميدية وتطوراتها تعد مهمة في هذا المجال، فضلاً عن المعلومات التي دونها لنا الملوك الأخمينيين اللاحقين للفترة الميدية[١].

من خلال الدراسة الدقيقة يمكن تتبع حدود الميديين واستقرارهم في إيران، إذ شملت مواقع سكناهم بمعناه الواسع الأراضي الواقعة شمال نهر آراس وجبال البورز، وكما سكنوا باتجاه غرب سلسلة جبال زاگروس، ويمكن تقسيم بلادهم إلى ثلاثة أقسام وهي:

١.ميديا أتروباتين: شملت المقاطعات الشمالية لنهر آراس ماراً إلى الجنوب الى حد جبال الوند، وضمت مناطق بحيرة أرومية، ونهر جغتو، وما تحيط به من أنهار، وكذلك حوض نهر سفيدرود الذي يقطع جبال البورز قرب مدينة رشت ويصب في بحر قزوين، وبهذا احتوى هذا القسم من ميديا كل بلاد: أذربيجان، وكردستان الحالية.

٢.ميديا الصغرى: وشملت بعض المناطق المتموجة التي تقع بين سلسلتين جبليتين اتصلتا بجبال البورز التي تمتد من الجنوب نحو بحر قزوين في الشمال وأعلى جبل في هذه المنطقة هو ديماوند.

٣.ميديا بارتياكينا: وهي المنطقة الواقعة بين سلسلتين من الجبال تبدأ بجبل رود وتلتقيان في النهاية بجبال زاگروس، ويمر بهما نهر زودك وكانت تحد هذه المنطقة قديماً بلاد أورارتو في الغرب مع أرمينيا في وقت متأخر[٢].

فضلاً عن ذلك فقد استمر الميديون في اندفاعهم، إذ وصلوا إلى حدود أصفهان على مشارف بلاد عيلام غير أن العيلاميون تمكنوا من صدهم[٣].

---

[1]) Richard N. Frye, Iran, (London ,1954),P.33;

عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم،(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،١٩٦٧) ج١،ص٥٥٠؛ باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٣٧؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨١؛الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم،ص٣٦٤.

[٢]) الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم،ص٣٦٤-٣٦٥.

[٣]) باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٣٨.

أول إشـارة تاريخيـة مهمـة عـن القبائـل الميديـة جاءتنـا مـن السـجلات الآشـورية، اذ يشـير الأسـتاذ أبـو مغلي بـأن تجلاتبلـزر الاول قـام سـنة ١١٠٠ق.م بمهاجمـة الميـديين وإخضـاعهم(١). وفي القـرن التاسـع قبـل الميلاد، ذكـر الميـديون أثناء حملة شـلمنصر الثالـث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) على إيران، إذ ذكـر القبائل الميدية في السـنة الرابعـة والعشـرين مـن حكمـه أي عـام ٨٣٦ ق.م، ونسـتنتج مـن حملـة شـلمنصر الثالث أن القبائل الميدية كانت ما تزال في طور البداوة، غير مستقرة، تعيش في منطقة همدان الحالية، وقد ذكرت هذه القبائل في المدونات الآشورية بصـيغة (Madai).ويجـب أن نعـرف خـلال الإشـارات الـواردة عـنهم أن التسـمية (Madai) لا تعني في كل الأحوال أسم ذا مدلول قومي في المدونات الآشـورية، إنما تسـمية جغرافيـة تـدل على تركـز هـؤلاء في جـزء مـن إيـران. ويبـدو أن هـدف حملـة شـلمنصر الثالث على الميديين هو من أجل إظهار قوة الدولة الآشورية من جهة ، ولوقـوع مواطن الميـديين على الطريق القـديم الـذي يجلب من خلالـه اللازورد من أفغانستان إلى بلاد الرافدين(٢).

نقـرأ مـن أخبـار الملـك الآشـوري شـمشي-ادد الخـامس(٨٢٣ -٨١٠ ق.م) عـن هجـوم قـام بـه على جهـات إيـران، ويذكـر أنـه دحـر زعـيم إيـراني في منطقـة تقـع إلى الشـمال مـن بحيرة أرومية مع ١٢٠٠ مـن قـراه المحصـنة، ويـذكر أنـه اسـتمر في تقدمـه فـدخل منطقـة الميـديين الـذين هربـوا خوفاً منـه، وإنهـم اعتصـموا بجبـل في منطقتهم أسـماه في نصوصـه الجبـل الأبـيض، ودخـل مـدينتهم سـاكبتينا، ويمكـن تحديـد تـاريخ هـذه الحملـة بحـدود عـام ٨٢٠ ق.م(٣). وبعـد وفـاة شـمشـي-ادد

(١) محمد وصفي أبو مغلي، إيران دراسة عامة،(البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥)،ص٨٤.

(2) ARAB, Vol,1 ,No.581; Ghirshman, Iran,P.90; Sykes, History Of Persia, Vol,I,P.117;Clemnt Huart, Ancient Persia & Iranian Civilization, (London,1972),P.25; Alessandr O.Bausani, The Persians, (London, 1971), P.13;A.T.Olmstead,History Of Persian Empire(Chicago,1948),P.22;

سـاكز، عظمـة بابـل، ص ١١٧؛بـاقر واخـرون، تـاريخ ايـران القـديم،ص٣٧؛سـاكز قـوة آشـور،ص١١٦.

(3)ARAB,Vol,1,No.720;Ghrishman,Iran,P.90;Sykes, History Of Persia,Vol,1,P.17;Huart, Ancient Persia,P.27;

الخامس تولى العرش أبنه ادد-نيراري الثالث(٨١٠-٧٨٣) ق.م وقد كان قاصراً فتولت أمه شمورامات الوصاية عليه لمدة خمس سنوات[1].وقد شهد عهد الوصاية بعض الحملات العسكرية على الميديين، إذ نعرف أن الجيوش الآشورية تمكنت من دحر جيوش ميدي يبدو إنه استغل فرصة تربع صبي على العرش ووصاية امرأة عليه فاخترقوا الحدود الآشورية ولكنهم ردوا على أعقابهم[2].ونعرف من حوليات ادد-نيراري الثالث عن قيام الأخير بعدة حملات عسكرية على الميديين خلال الأعوام ٨٠١-٧٩٥-٧٩٠-٧٨٧ق.م[3].وفي نص يذكر فيه إنه أخضع بلاد ميديا[4].

أصاب الدولة الآشورية بعض الركود في أعقاب وفاة ادد-نيراري الثالث، وبرزت دولة أورارتو التي أخذت تعمل على جذب الزعماء الإيرانيين إلى جانبها ضد الآشوريين[5].ولكن وصول تجلاتبلزر الثالث(٧٤٥-٧٢٧ ق.م)لحكم الدولة الآشورية كان بداية التحول العالمي في السيادة الآشورية، وقد تمكن من تحطيم أورارتو في عهد ملكها ساردورس الثاني أعقب ذلك، هجوم تجلاتبلزر على الميديين التي كانت تحركاتهم قد وصلت إلى شهرزور، وإن وصولهم إلى هذه المنطقة معناه أنهم ساروا على طول الضفة الغربية لنهر ديالى، واستمروا بموازاة نهر سروان. وتذكر حوليات الملك تجلاتبلزر الثالث، أسماء بعض الأمراء الإيرانيون الذين اصطدم بهم وتعرض الغنائم الكثيرة التي حملها منهم، وقد تغلغل تجلاتبلزر بعيداً في عمق إيران حتى وصل جبل بيكني (ديماوند قرب

باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٣٨ ؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨٢؛الأحمد،سميراميس،ص٦٨؛سامي سعيد الأحمد، "الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد (٩٣٣-٣٣١)ق.م"، بحث ضمن كتاب الصراع العراقي –الفارسي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣)،ص٦٢.

[1] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٦)،ج١،ص٥٠٧.

[2] الأحمد،الصراع،ص٦٢-٦٣.

[3] الأحمد،سميراميس،ص١٩٩.

[4]) ARAB,Vol,1,No.739.

[5] الأحمد،الصراع،ص٦٢.

طهران)، وحدود صحراء الملح الكبرى، وذكر عدد من المدن والقلاع التي وقعت في قبضته كانت منها مدينة شيلكا التي قد تكون موقع سيالك الحالية قرب طهران. كما ذكرت حولياته بلاد النيشاي (منطقة كيان الحالية) والمعروفة بالسهول النيسية إلى الجنوب من طريق همدان. وقد عمل تجلاتبلزر على تعمير المناطق التي دمرتها المعارك وتنظيمها في وحدات إدارية، وفعلاً أظهرت التنقيبات في قمة موقع كيان بقايا قصر آشوري محصن، وأخبرنا إنه جلب في حملته هذه ٦٥,٠٠٠ ألف أسير ميدي أسكنهم قرب نهر ديالى على طول الحدود الآشورية وأسكن بدلهم في ميديا أراميين[١]. وتسجل الحوليات الآشورية في عهد تجلاتبلزر الثالث على حصول الآشوريين من منطقة باتوشار عند سفح جبل بيكني على اللازورد، وإنها إحدى المصادر المهمة للمعادن. وقد فرض تجلاتبلزر الثالث على المناطق الشرقية من ميديا جزية مقدارها تسعة أطنان من حجر اللازورد[٢].

في عهد شلمنصر الخامس (٧٢٧-٧٢٢ ق.م)،بدأت حملته على مملكة إسرائيل التي استمرت ثلاث سنوات، إذ تم فرض الحصار على السامرة، غير أن المدينة فتحت في عهد سرجون الآشوري(٧٢٢-٧٠٥)ق.م ثم تم نقل سكانها نحو بلاد ميديا[٣]. وفي عهد سرجون برز أحد زعماء القبائل الميدية وهو دياكو، ويعتقد الأستاذ أبو مغلي إنه حاكم قبيلة مناي[٤]،وقد هاجم سرجون دياكو وقبيلته بعد تحالف الأخير مع دولة أورارتو، ويظهر أن قوة سرجون الآشوري كانت تفزع دولة أورارتو فدفعها إلى خلق دولة حاجزة بينها وبين الدولة الآشورية، وقد تمكن سرجون من دحر الميديين، ونفى دياكو إلى حماة في سوريا، كما قام

---

[1])Olmstead, History Of Persian Empire,PP.22-23;Huart, Ancient Persia,P.27;

باقر واخرون المصدر السابق،ص٣٨؛الأحمد،الصراع،ص٦٣-٦٤.

[٢]) نينيل يانكوفسكا، "بعض القضايا الاقتصادية في إمبراطورية آشور"، بحث ضمن كتاب العراق القديم، ترجمة: سليم طه التكريتي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٦)،ص٣٩٧-٣٩٨.

[٣]) الملوك الثاني،٦:١٧، ١١:١٨.

[٤]) أبو مغلي، ايران،ص٨٥.

سرجون بقيادة حملة ثانية على الميديين عام ٧١٤ق.م، وكذلك عام ٧١٣ق.م حيث أخضع (٤٢) زعيما ميدياً كان بعضهم يقطن منطقة همدان[١].

تزعم القبائل الميدية بعد دياكو ابنه خشاثريتا الذي يحدد بعض الباحثين تاريخ حكمه ما بين (٦٥٥-٦٣٣)ق.م[٢]،في حين يجعل الأستاذ رو سنوات حكمه تبدأ من عام ٦٨٠ ق.م[٣]. ويرى الأستاذ أولمستد إنه حكم ما بين (٦٧٥-٦٥٣ق.م)[٤].ويبدو أن الرأي القائل إنه حكم ٦٨٠ ق.م أو ٦٧٥ ق.م هو الأرجح، إذ أن المعروف أن خشاثريتا قد قتل أثناء هجومه على نينوى عام ٦٥٣ ق.م وإنه حكم (٢٢) سنة[٥]، وهذا يسقط فرضية حكمه عام ٦٥٥ ق.م.

إن انشغال الملك سنحاريب(٧٠٤-٦٨١ قبل الميلاد) في الجهات الأخرى من الإمبراطورية جعلت الزعيم الميدي خشاثريتا يعمل على إنجاز الوحدة الميدية التي ضمت إلى جانب الميديين كل من المانيين والگمريين. وقد سار خشاثريتا على سياسة ضم القبائل الضعيفة إلى دولته حتى ضم قبائل فارس الذين كانوا يسكنون جنوب إيران[٦]،ولكن يبدو أن خشاثريتا لم يكن مسيطراً على كل القبائل الميدية كما سيتضح لاحقاً من معاهدة أسر حدون(٦٨٠-٦٦٨ قبل الميلاد) مع بعض القبائل الميدية، ويظهر إن الإدارة الأشورية قد تزايد اهتمامها في عهد أسر حدون بإقليم ميديا، إذ يمكن أن نقرأ في كتابات الملوك الآشوريين عن كميات الجزية من الأغنام والمواشي المأخوذة من إقليم ميديا[٧].وكذلك

---

[1])Sykes, History of Persia,Vol,1,PP.118-122; Huart, Ancient Persia,P.28.

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج٢، ص٣٩١؛الأحمد، الصراع، ص٦٥.

[2]) Huart, Ancient Persia,P.30.

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج٢، ص٣٩٣،الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم، ص١٧.

[٣] رو، العراق القديم، ص٤٣٦.

[4]) Olmstead, History Of Persian Empire,P.29.

[٥] باقر واخرون، تاريخ ايران القديم، ص٣٩.

[٦] الأحمد، الصراع، ص٦٥؛أبو مغلي، المصدر السابق، ص٨٦.

[٧] يانكوفسكا، بعض القضايا الاقتصادية في إمبراطورية آشور، ص٤١٣.

يحـدثنا هيرودوت عـن القيمـة التي اشـتهرت بهـا الخيـول النيسـية في ميـديا[1].
ويبـدون أن الميـديين الآن أخـذوا يشـكلون قـوة مؤثرة لـذلك نجـده في عـام ٦٧٢ ق.م يعمل على توقيـع معاهـدات تبعيـة مع تسـع أمـراء معظمهـم مـن الميـديين، وهي لا تختلف عـن بعضهـا البعض الا بأسـماء الحكام الـذين عقـدت معهـم، وكان عقـد هـذه المعاهـدات مـن أجـل تنظيـم ولايـة العهـد الآشـوري، ولـم تصـلنا مـن هـذه المعاهـدات إلا المعاهدة التي وقعهـا أسـرحدون مـع حـاكم أركزبـانو الميديـة المـدعو راماتايا(Ramataia)[2].

في عهـد أشـوربانيبال (٦٦٩-٦٢٧ ق.م) قـدم الميـديون المسـاعدة للمـانيين في تمردهم على بلاد أشـور، لـذلك توجهـت حملـة عسـكرية أشـورية لتأديب القبـائل الميدية حيث أسـفرت الحملـة عـن اسـتيلاء الآشـوريين على عـدد مـن المـدن القويـة في هـذا الإقلـيم، وأسـر الجـيش الآشـوري عـدد مـن الأمـراء الميـديين الـذين تمـردوا عليه[3].ونعرف من قيام خشـاثريتا بمهاجمة نينوى عام ٦٥٣ ق.م غيـر أن الهجـوم الهجـوم فشـل، وقتـل خشـاثريتا في المعركـة أعقـب ذلـك خضـوع بـلاد ميـديا لسيطرة الأسكثيين نحـو مـا يزيد عـن عشـرين سـنة . وفي عـام ٦٢٥ ق.م تمكـن كي أخسـار ابن خشـاثريتا مـن الـتخلص مـن الحكـم الاسـكيثي[4]، وكانـت الامبراطوريـة الاشـورية قد اخذت بالانحلال في اعقاب وفاة اخر ملوكها الاقوياء اشـوربانيبال، وفي عـام ٦٢٦ قبل الميلاد وصل نابوبلاصر لعـرش بابل، وبـدأ يعمـل على خـوض حرب تحرير صعبة، وشاقة ضد الاشـوريين، والـذي يهمنـا مـن الامـر هنـا هـو الـدور الميدي في الحرب، ففي عام ٦١٥ قبل الميلاد هاجم نابوبلاصر مدينة اشور، ولكن

---

(١) جورج كونتنيـو، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشـور، ترجمـة سـليم طه التكريتي وبرهـان عبـد التكريتي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩)،ص١٠٤.

(٢) أنظر نص هذه المعاهدة:

D.J. Wiseman, “The Vassal Traits Of Esarhaddon”, Iraq.Vol,20,part.2.1958.PP.1ff.

انظر كذلك:الخالدي،التطورات الداخلية في بلاد بابل،ص١٠١-١٠٣.

(٣) ريـاض عبـد الـرحمن امـين الـدوري، اشـوربانيبال، (بغـداد: دار الشـؤون الثقافيـة العامة،٢٠٠١)،ص٩٤.

(٤) باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٤٠.

اخبار التعبئة الاشورية افزعته فانسحب مع نهر دجلة الى مدينة تكريت وتحصن في قلعتها المنيعة. واستطاع بعد تحالفه مع البابليين من إسقاط الدولة الآشورية عام ٦١٢ ق.م[١].وغدت الدولة الميدية في عهد كي أخسار إمبراطورية واسعة فشملت: ميديا، وفارس، وبلاد أشور، وتخوم آسيا الصغرى، وقد دخلت في نزاع مع دولة ليديا الذي انتهى بتدخل بابل في ٢٨ أيار ٥٨٥ ق.م، وتوقيع معاهدة صلح بين الطرفين[٢].وتوفي كي أخسار عام ٥٨٤ قبل الميلاد، وخلفه على العرش ابنه استياگز (٥٨٤-٥٥٠ ق.م)، وانتهى عهد الأخير على يد كورش الاخميني عام ٥٥٠ق.م[٣].

٦. الفرس:

الفرس من القبائل الهندو أوربية التي قدمت بلاد إيران في مطلع الألف الأول قبل الميلاد. وكانت هذه القبائل قد هاجرت من موطنها في جنوب روسيا، وقد استقروا في بادئ ذي بدء في المنطقة الواقعة إلى الجنوب الغربي من بحيرة أرومية، وإلى حدود جبال دیماوند شمال طهران[٤].ولدى الإيرانيون روايات تقول أن هجرتهم من موطنهم الأصلي كان بسبب كثافة الثلج مما جعله غير صالح للسكن، وهذا الكلام يعني أن تغير المناخ جعلهم يهاجرون إلى الجنوب، وذهبت

---

[١] حول النص الذي يروي احداث سقوط الدولة الآشورية والدور الميدي أنظر:
A. Leo Oppenheim, "Babylonian and Assyrian Texts", In ANET,(Princeton,1966) PP.303-305.

[2]) T.F.R.G. Braun, "The Greeks In The Near East", In :CAH, (Cambridge , 1982),Vol,III, Part,3, P.23.

[3]) Olmstead, History Of Persian Empire, P.34;Sykes,History Of Persia,Vol,1,P. 131-132.

[٤]) باقر واخرون، تاريخ العراق القديم،(بغداد: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٠)، ج١، ص٢٥٧؛ باقر واخرون، تاريخ إيران القديم، ص٤٥؛ رضا جواد الهاشمي، "تاريخ العلاقات العراقية-الإيرانية القديمة"، مجلة دراسات الأجيال، العدد٤، لسنة ١٩٨٠، ص ٩٤؛ الأحمد، الصراع، ص٦٢؛ الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم، ص٣٦٤؛ الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص٨٢.

هذه الروايات إلى القول بأنهم عندما أجبروا على الهجرة بسبب شدة البرد ذهبوا إلى: سوغدة (بخارى)، ومورو (مرو)، ولكن أعدائهم أجبروهم على ترك هاتين المنطقتين، فرحلوا إلى إقليم باخذي (بلخ)، ومن بلخ ذهبوا إلى (نيسساية) (نيسابور)، وكانت المراحل الأخيرة من الهجرة هي هريو (هرات) ثم واي كرت (كابل)[١].

إن أقدم ذكر للفرس في المصادر الآشورية يعود للقرن التاسع قبل الميلاد، حيث ذكروا في كتابات الملك شلمنصر الثالث(٨٥٨-٨٢٤)ق.م عام ٨٤٤ ق.م، إذ شارت إلى الفرس باسم (Parsua)[٢].ونقرأ عن حملة أرسلت من قبل شلمنصر الثالث عام ٨٢٨ ق.م بقيادة أحد قادته وهو دايان-آشور إلى أقصى شمال العراق حيث غزا موصاصير (عند أعالي نهر الزاب الكبير)، وهاجم حدود دولة أورارتو، وعاد عن طريق مدن فارس[٣].وفي حدود عام ٨٢٠ ق.م أرسل شمشي-ادد الخامس (٨٢٣-٨١٠) ق.م حملة عبرت الزاب الكبير، والجبال التي تليه والتي سماها كوللار إلى بلاد نائيري (جنوب غربي بحيرة وان)، وأخذ الجزية من المانيين والفرس. وقد أخضع شمشي-ادد المنطقة الواقعة شرق وأواسط جبال زاگروس، ودفع الفرس في منطقة اردلان الجزية إلى شمشي-ادد[٤].وتخبرنا حوليات الملك أد نيراري الثالث أن الفرس كانوا خاضعين له[٥].

نعرف أن الفرس في حدود عام ٨٠٠ق.م قد هاجروا من مركزهم في الجنوب الغربي من بحيرة أرومية وساروا باتجاه الجنوب تحت ضغط الأورارتيين وسكنوا منطقة سقز وهي حالياً في كردستان إيران، ومع هجرتهم فإن خضوعهم

---

[١] أبو مغلي، ايران،ص٨٢-٨٣.

[2])Ghirshman,Iran,P.90;Sykes, History of Persia,Vol,1,P.117;Bausani,The Persians,P.14.

باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،ص٤٥؛الأحمد،الصراع،ص٦٢؛الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم،ص٣٦٤؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨٢؛الأحمد،سميراميس،ص٦٠.

[٣] الأحمد،سميراميس،ص٦٢.

[٤] الأحمد،سميراميس،ص٦٧؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨٢.

[5]) ARAB,Vol,1,No.739.

للآشوريين قد استمر في منطقتهم الجديدة[١].وفي عهد الملك تجلاتبلزر الثالث (٧٤٥-٧٢٢) تم إرسال حملة على القبائل الفارسية التي دفعت الجزية للملك الآشوري[٢]،وفي عهد سرجون الآشوري (٧٢٢-٧٠٥) ق.م نعرف أن الفرس قد استمروا في خضوعهم للسيادة الآشورية حتى عام ٧١٤ ق.م[٣].

تشير المعلومات إنه في حدود ٧٠٠ ق.م بدأت القبائل الفارسية تستقر في السهول الممتدة على طول جبال بختياري قرب الگارون في الجزء الجنوبي الغربي من إيران. وفي السهول القريبة من منطقة عيلام أسست القبائل الفارسية دولتها الأولى، وكانت تسمى بارسوماش أو بارسواش (Parsumaš/Parsuaš)، وقد قامت الإمبراطورية الفارسية على ثلاث مجموعات من القبائل الفارسية هي:

المجموعة الأولى: وتضم قبائل باسرگاد، ومرفي، وماسبي.

المجموعة الثانية: وتضم قبائل بانتالي، ودروسي، وكرماني.

المجموعة الثالثة: وتضم قبائل دائي، ومرد، ودروبيك، وساگرتي.

إن المعلومات المتناثرة عن تأسيس الفرس لدولتهم الأولى تشير إن ذلك قد حدث بعد اتحاد القبائل الفارسية في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، وتزعم هذه الدولة رجل أسمه على أغلب الظن أخمينس أو هاخمانيش، وبذلك يكون تسمية الأخمينيين هي نسبة أخمينس، وقد سميت هذه الدولة أحياناً باسم الدولة الهخامنشية نسبة إلى هاخمانيش. وكان جد الأسرة الحاكمة اخمينس/هاخمانيش من قبيلة باسركاد الفارسية. ومن المحتمل جداً أن فترة حكم هذا الملك كانت ما بين الربع الأخير من القرن الثامن، وحتى بداية السابع قبل الميلاد. ويعتقد كذلك بأن مقر حكم الملك أخمينس كان يقع في سهول جبال بختياري، ويبعد مسافة ٤٠كم من شوشتر. وبعد تأسيس الدولة الفارسية بفترة قصيرة بدأ الفرس بالتسلل إلى منطقة عيلام في القرن السابع قبل الميلاد، وكانت دولة عيلام ضعيفة فلم تستطيع التدخل في استيطان القبائل الفارسية في جزء من ممتلكاتها، ولا يمكن البت إذا ما كان الفرس قد اعترفوا بسلطة العيلاميون

---

[١] باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،ص٤٥.

[٢] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨٢

[٣] باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،ص٤٥.

عليهم أم لا، ولكن يعتقد الى حد ما ان العيلاميين أخضعهم لسلطتهم، إذ أن النصوص الملكية العيلامية أشارت إلى دفع القبائل الفارسية الجزية لحكام سوسة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على دخولهم الفترة المذكورة تحت السيادة العيلامية وتمردهم على السلطة الآشورية[١].

في عام ٦٩١ ق.م تحالف الفرس مع البابليين وكان يقودهم الثائر البابلي موشيزب-مردوك(Mušêzib-Marduk) الذي يعرف في المصادر الاشورية باسم شوزوبو(Šuzubu)، والآراميين، وملك عيلام خمبان-نيمينا (Ḫumban-Nimena) الذي ورد في المصادر الآشورية باسم (Umman-Minanu)، وحاربوا سوية الملك الآشوري سنحاريب(٧٠٤-٦٨١ قبل الميلاد) في موقعة خالولة (Ḫalule): "وطلب مساعدة(أي شوزوبو) من بلاد بارسواش..."، انتهت المعركة بانتصار ساحق للقوات الآشورية،ومن المرجح أن أخمينس كان يقود الفرس في معركة خالولة في حين كان ابنه جيشبش(تايسبس) يحكم أنشان، ويحمل لقب الملك العظيم[٢]. ويبدو أن جيشبش قد حكم في حدود ٦٧٥ ق.م وحتى عام ٦٥٠ ق.م، وإن كان هناك من يرى إنه حكم إلى سنة ٦٤٠ق.م، ويروي هيرودوت أن هذا الملك مع استقلاله عن العيلاميين إلا أنه اضطر إلى الاعتراف عام ٦٧٠ق.م بسيادة الميديين على مملكته في عهد فراورتيس (خشاثريتا) ،وبعد مهاجمة فراورتيس للدولة الآشورية ومقتله وخضوع بلاده للاسكيثيين تمكن جيشبش من احتلال منطقة فارس (Parsa) التي كانت مسكونة من قبل العيلاميون سابقاً. وبعد وفاة جيشبش انقسمت مملكته بين ولديه الأول: كورش(٦٤٠-٦٠٠ق.م)

---

[1]) Sykes, History Of Persia,Vol,1,P.142;Huart, Ancient Persia,P.34.

باقر واخرون،تاريخ ايران القديم،ص٤٥-٤٦؛باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٥٧٤؛ج٢،ص٣٩٨؛ باقر واخرون، تاريخ العراق القديم،ج١،ص٢٥٧؛أبو مغلي، ايران،ص٨٨-٨٩؛ألحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٤٢.

[٢] انظر النص الكامل لمعركة خالولة في:

ARAB,Vol:2,No.252-254;

انظر كذلك:الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨٦؛الخالدي،التطورات الداخلية في بلاد بابل،ص٩١، ٩٣؛ حول تفاصيل معركة خالولة ومناقشتها أنظر: ساكز، عظمة بابل،ص١٥٢-١٥٣؛ساكز، قوة آشور،ص١٤٩؛ ٣٦٤-٣٦٥.

الذي عرف عند الباحثين باسم كورش الأول، وقد حكم المناطق الغربية من مملكة الفرس على امتداد حدود بلاد عيلام أي منطقة أنشان، والثاني هو آريارامنس (٦٤٠-٥٩٠ ق.م) وقد حكم منطقة فارس، ويدعي آريارامنس وأن الإله (اهورامزدا) أعطاه حكم فارس في حين يلقب كورش الأول نفسه بلقب الملك العظيم، ملك بلاد أنشان. غير أن مسألة تولي آريارامنس العرش على منطقة فارس أمر لم يثبت صحته حتى الوقت الحاضر. إذ أن اللوح الذهبي المدون بالخط الاخميني المسماري والذي يحتوي على ألقاب الملك آريارامنس مشكوك في أصالته[1].

إن تحرر الفرس من سيطرة الميديين دفعهم للعمل بمفردهم، إذ نجدهم يتحالفون مع شمش-شوم-أوككن أخو الملك أشوربانيبال المتمرد على أخيه، إذ أرسل إلى كورش الأول مساعدة عسكرية إلى الأول، غير أن انتصارات أشوربانيبال الباهرة في عيلام التي كانت متحالفة مع شمش-شوم اوككن دفعت كورش الأول إلى مهادنة أشوربانيبال فأرسل أبنه اروككو (Arukku) إلى نينوى ليعلن ولائه لأشور. وما أن تولى كي-أخسار العرش الميدي حتى تمكن من إعادة سيطرته على الفرس، وبعد وفاة كورش الأول خلفه على العرش ابنه قمبيز الأول، أما آريارامنس فقد حكم من بعده أرشاما (أرساميس) ويبدو أن قمبيز عمل على إزاحة ابن عمه أرشاما عن ممتلكاته ويظهر إن ذلك قد تم بموافقة الميديين[2]. وكان قمبيز قد لقب نفسه بلقب (الملك العظيم، ملك بلاد أنشان) ،وقد تزوج

---

[1]) Olmstead, History Of Persian Empire,P.29; Bausani, The Persians,P.14;

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٩٩؛باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،ص٤٦-٤٧؛ رو، العراق القديم،ص٥١٣؛الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم،ص٣٧١؛ الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٤٢.

[2] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١،ص ٥٧٥،ج٢،ص٣٩٩ ؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٤٧؛الأحمد،الصراع،ص٧٧؛الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم،ص٣٧١؛ الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٩٠.

قمبيز من ابنة الملك الميدي المدعوة مندانة وقد أثمر هذا الزواج إنجاب أعظم ملوك هذه السلالة إلا وهو كورش الكبير[1].

---

[1]) Olmstead, History Of Persian Empire,P.34;Bausani,The Persians,P.17;

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٩٩-٤٠٠؛مؤيد سعيد، "العراق خلال عصور الاحتلال" ،بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ،(بغداد-دار الحرية للطباعة ،١٩٨٣)،ص٢٣٥-٢٣٦.

الفصل الرابع

اضواء حول الدولة الاخمينية

(٥٥٩-٣٣١ قبل الميلاد)

-عهد كورش الاخميني (٥٥٨-٥٢٩) ق.م(عهد التأسيس).

كان كورش كما أسلفنا ابن قمبيز الأول ومندانة ابنة الملك الميدي استياگز، والمعروف أن كورش، أثناء حياة أبيه قمبيز الأول كان في العاصمة أكبتانا التي بقي بها مدة من الزمن، واشترك في بعض العمليات العسكرية هناك[١].وفي عام ٥٥٩ ق.م تولى عرش فارس، وكان تابعاً لجده استياگز، وقد اتخذ لنفسه عدة ألقاب منها: "الملك الاخميني العظيم ملك بارسوماش وانشان"[٢].ولقد ظل كورش خلال السنوات الثمان الأولى من حكمه تابعاً للحكم الميدي، إلا أنه كان يطمح بالاستقلال بنفسه عن الملك استياگز[٣].

استغل كورش مركزه فأخذ يقوي نفسه، وأسس عاصمة جديدة هي بزرگادة، وأخذ يدبر أمر انفصاله واستقلاله عن الميديين. وكان يحكم في بلاد بابل الملك نابونائيد(٥٥٦-٥٣٩ قبل الميلاد) الذي أعد الخطط للاستيلاء على بعض الأقاليم التابعة إلى مملكة ميديا، ولاسيما حران(Ḫarranu)، اذ كان الحلم الأثير الذي يراود مخيلة نابونائيد هو إعادة بناء معبد الإله سين في حران، وكانت حران قد وقعت بيد الميديين منذ عام ٦١٠ ق.م، ولما كان لا قبل لنابونائيد منفرداً بمقارعة الميديين الأقوياء، لذا التفت صوب الفرس وتحالف معهم، ويبدو أن مفاوضات سرية بين نابونائيد وكورش قد دارت ليكونا حليفين، وإن الحلف كان موجهاً ضد استياگز. ويبدو أن التحالف الذي أقيم بين الملك البابلي وكورش قد تسربت أخباره للملك الميدي لذلك استدعى استياگز تابعه كورش إلى العاصمة أكبتانا، غير أن كورش رفض الامتثال للأمر لهذا لم يكن أمام الملك

---

(١) سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد أحمد،تاريخ الشرق القديم،(بغداد:مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨)،ص٣٧١.

2) A.T.Olmstead,History Of Persian Empire(Chicago,1948),P.34; George G. Cameron,History Of Early Iran ,(Chicago, 1936), PP.219ff.

(٣) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)،ص٤٧ ؛مؤيد سعيد، "العراق خلال عصور الاحتلال" ،بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ،(بغداد-دار الحرية للطباعة ،١٩٨٣)،ص٢٣٦؛ قحطان عبد الستار الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،(البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٧)،ص٤٣.

الميـدي إلا إعـلان الحـرب على كـورش[١].لقـد كـان قائـد الجـيش الميـدي هـو هرباخوس، إلا أنـه خـان سـيده وانظم إلى جانـب كـورش[٢]. والواقـع أن كـورش تمكـن مـن محالفـة كافـة أعـداء البيـت المالـك الميـدي ووثـب على عـرش ميـديا[٣].ونتيجـة لـذلك جهـز اسـتياگز حملـة ثانيـة قادهـا بنفسـه وتوجـه لحـرب كورش، وفي نفس الوقـت كان الأخير قـد سـار إلى أكبتانـا لانتزاعهـا مـن اسـتياگز وأرسـل قائـده هربـاً هربـاخوس للاسـتيلاء علـى الأجـزاء الشـرقية مـن آسـيا الصـغرى[٤].ويبـدو أن معركـة عنيفـة وقعـت بين الطـرفين انتهـت بهزيمـة اسـتياگز ووقوعـه في أسـر كـورش. وتنقـل لنـا المصـادر المسـمارية معلومـات جيـدة عـن مـا حدث في إيران. فيذكر نابونائيد في مدوناته بأن الإله مردوك قد ظهر له في المنام، وأنـه أوعـز إليـه ببنـاء معبـد أي-خـول-خـول(É-ḫul-ḫul) في حـران، فلمـا اعترض الملـك قـائلاً أن حــران واقعــة فــي قبضــة الأومــان-مانــدا(Uman-manda)(الميديين)،أجابـه مـردوك قـائلاً: "إن الأومـان-مانـدا الـذين تتحـدث عـنهم هم، وبلدهم، والملوك في صفهم لـن يبقـوا في الـوجود، ففي السـنة الثالثـة القادمة سأجعل خادمهم الشاب كورش ملك أنشان يفرق بجيوشه القليلة الأومان-ماندا ويطـردهم. فقـام كـورش بأسـر أشـتوميگو (اسـتياگز) ملـك الأومـان-مانـدا وأخـذه مكـبلاً إلى بلـده"[٥].وتـذكر وثيقـة الأخبـار البابليـة معلومـات أخـرى عـن الأحـداث السـنة السـادسـة:"...اسـتدعى...وقـد سـار أشـتوميگو باتجـاه كـورش ملـك أنشـان إلا أن الجـيش الأول قـد تمـرد ضـده، وسـلموا الملـك الميـدي أسـيراً لكـورش، واحتـل

---

1) T.F.R.G. Braun, “The Greeks In The Near East”, In :CAH, (Cambridge , 1982),Vol,III, Part,3,P.23.

(٢) طـه بـاقر، مقدمــة فـي تــاريخ الحضــارات القديمة،(بغداد:شــركة التجــارة والطباعــة المحدودة،١٩٥٦)،،ج٢،ج٢،ص٤٠١، ٤٠٣.

(٣) عبــد العزيــز صالح،الشــرق الأدنــى القــديم،(القاهرة: الهيئــة العامــة لشــؤون المطــابع الأميرية،١٩٦٧) ج١،ص٥٦٠.

(٤) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٤٠١؛سليم طه التكريتي،"العراق في تاريخ هيرودوت"،مجلة المورد،العدد٣١-لسنة ١٩٧٩،ص١٣.

5) Olmstead,History Of Persian Empire,P.36; Jean Oates, Babylon, (London, 1979), P.133.

الأخير مدينة أكامتانو، واستولى على مقر إقامة الملك. استولى [أي كورش] على الـذهب والفضـة والأشـياء الثمينـة العائـدة لأكامتـانو كغنـائم وجلبهـا إلـى أنشان"[١].وبذلك تمكن كورش من القضاء على المملكة الميدية معلنا قيام الدولة الاخمينية عام ٥٥٠ق.م[٢].

بعد انهيار الدولة الميدية أصبحت بلاد إيران تحت حكم كورش، وتم توحيـد الشـعبين الميـدي والفارسـي تحـت زعامتـه، وأخـذ كـورش الآن يخطـط للاستيلاء على الأراضي المحيطة به ولهذا ستتوزع جهوده في ثلاث جهات رئيسية:
الأولى: باتجاه آسيا الصغرى.
الثانية: نحو الأقاليم الشرقية لإيران.
الثالثة: بابل والأقاليم الغربية.

تعد دولة ليديا أقوى دولة أيونية في أسيا الصغرى، وكانت هذه الدولة في توسعها قد اصطدمت بجهتين الأولى: مع الدولة الميدية إلا أن الأمر سوى بين الدولتين بموجب اتفاقية عام ٥٨٥ ق.م[٣].أما الجهة الثانية كانت المدن اليونانية في آسيا التي أخضعت جميعاً إلى دولة ليديا باستثناء مليتوس (ملطية)[٤].وفي نفس الوقت كانت تربط مصر علاقات تحالف وطيدة مع دولة ليديا، وربما كان ملك ليـديا قـد سـاعد بسـماتيك الأول بجنـود مـن الأيـونيين والكاريين للعمـل في جيشـه [٥]. إن ارتبـاط العرشـين الميـدي والليـدي بتحـالف دفـع كـورش إلى إيجـاد تحـالف بـديل ويمكـن تسـميته التحـالف الجنوبي(الفارسـي-البـابلي) مقابـل

---

[1]) A. Leo Oppenheim, "Text From Accession year Of Nabonidus To the Fall Of Babylon" , In, ANET, ,(Princeton, 1966),P.305.

[2])Olmstead,History Of Persian Empire,P.36; Sir Percy Sykes, History Of Persia,(New York,1958),Vol:1,P.132; Alessandr O.Bausani, The Persians, (London, 1971),P.17.

[3]) Braun, The Greeks In The Near East, p.23.

[٤] آ.بتري،مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم،ترجمة يوئيل يوسف عزيز،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٧)،ص٢٣.

[٥] محمد أبو لمحاسن عصفور،معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم،(بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر،١٩٨١)،ص٢٢٥،

التحالف الأول الشمالي. وكان العرشين الميدي والليدي أيضاً مرتبطان بمصاهرة سياسية نتيجة زواج أخت كروسوس ملك ليديا من استياكز. وقبل أن يبدأ الأول بسياسته العدائية تجاه كورش حاول أولاً التأكد من أهداف كورش فأرسل إليه طلباً بإطلاق سراح استياكز إلا أن كورش رفض طلبه[١].في حين كان كورش يعمل على تضييق الخناق على دولة ليديا فقد تمكن من إخضاع مدينة قبرص قبل عام واحد من تحركه باتجاه الدولة الليدية.

أرسل كروسوس سنة ٥٤٨ ق.م الرسل لاستشارة الأرباب في المعابد اليونان وليديا بشأن حربه لكورش، ثم استشار كروسوس كاهنة معبد دلفي غير أن الجواب الذي قدمه وحي دلفي كان غامضا: "إذا عبر كروسوس نهر الهاليس فإنه سيدمر إمبراطورية عظيمة، قوية"[٢].حاول كروسوس كخطوة أساسية لمحاربة كورش إقامة حلف واسع النطاق ليشمل إلى جانب ليديا كل من إسبارطة ومصر وبابل للحصول على مساعدتهم[٣].غير أننا لا يمكن أن نعرف هل كان بالإمكان الحلف الصمود بوجه كورش؟. ومع هذا فإن الأحداث ستثبت أن أي من أعضاء الحلف لم يساعدوا كروسوس، وفي نفس الوقت كانت المدن الأيونية قد رفضت التمرد على ليديا[٤].تقدم كورش من العاصمة أكبتانا باتجاه الهاليس وبعث رسلاً إلى المدن الأيونية في غرب آسيا الصغرى حثهم بها على الثورة ضد كروسوس فرفضت ندائه، ثم عبر كروسوس حدود دولته ربما قرب سهل بافرة على نهر الهاليس، والتقى الطرفان في معركة عنيفة، وقد تمكن كروسوس وكان جندياً متمرساً بالحرب أن يصمد في الحملة الأولى، لكنه عندما انسحب ليستريح ويريح جنده أثناء فصل الشتاء لم يمهله كورش، وسار ورائه متحدياً برد الشتاء في الأناضول، وكان على كروسوس أن يحارب أمام عاصمة دولته سارديس دون

---

[١] سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم:إيران والأناضول، (بغداد:مطبعة جامعة بغداد، بلا.ت)، ص٣٦٥.

[٢] اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ترجمة:محمد توفيق حسين، (بغداد:مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩)، ص١٤٢؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص٣٦٥.

[3]) Ghirshman, Iran,(London,1954), P.130.

[٤] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم ،ص٣٦٥.

أن يكون حلفائه معه، فانهزم حملة الرماح الفرسان، والرماحون الليديون المشهورين، عندما أجفلت خيولهم، وتراجعت لدى رؤيتها جمال الحمل التي كانت تتقدم صفوف الجيش الفارسي، وشمها رائحتها التي لم تألفها من قبل. وخلال أسبوعين من المعارك سقطت قلعة سارديس نفسها، التي لا تقهر بأيدي الفرس، الذين اقتحموا القلعة متسلقين صخورها. وكان سقوط ليديا هذه الإمبراطورية العظيمة القوية سقوطاً مرعباً لم يعرف العالم اليوناني مثيلاً له(١).

اختلفت المصادر في مصير كروسوس، فالمصادر الكلاسيكية تؤكد أن كورش قد عامل ملك ليديا كروسوس معاملة حسنة(٢)،في حين تؤكد الأخبار البابلية أن كورش قتل ملك ليديا: "توجه [كورش] في شهر أيار نحو بلدة ليديا محتلاً ...قتل ملكها، وأخذ مواكبه، وأحل محلها حاميته"(٣).وأشارت إحدى القصص الأسطورية اليونانية أن أبوللو حمل كروسوس إلى الجنة الأرضية في ارض الهيبوربورين(٤)،في حين يرجح الأستاذ برن أن كروسوس قد هلك في المعركة كما هلك جنده(٥).

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن سقوط مملكة ليديا بيد كورش أنظر :

Olmstead,History Of Persian Empire,PP.38-41;Ghrishman,Iran,p130-131;Sykes, History Of Persia, Vol,1,P.146; Clemnt Huart, Ancient Persia & Iranian Civilization, (London,1972), ,PP.38ff; Leonard W. King, A History Of Babylon, (London,1919),p.282.

برن،تاريخ اليونان،ص١٤٣؛هاري ساكز،عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان إبراهيم، (بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٧٩)،ص١٧٩؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٦٥-٣٦٦.

(٢) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٤٨؛محمد وصفي أبو مغلي، إيران دراسة عامة،(البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥)،ص٩١.

3)Oppenheim, Text From The Accession year Of Nabonidus, In: ANET,(Pernston,1966), P.306.

(٤) برن،تاريخ اليونان،ص١٤٣.

(٥) المصدر نفسه،ص١٤٣.

بعد سقوط ليديا أخذت المدن الأيونية التابعة لكروسوس تفتح أبوابها لكورش. ولم يفرض الأخير شروطاً لاستسلامها. وعقد مع مليتوس التي كانت خارج مملكة كروسوس معاهدة اعترف فيها باستقلالها ضمن نطاق دولته، وقد هاجرت بضع جماعات إلى خارج البلاد مثل غالبية أهل فوكيه الذين رحلوا إلى جزيرة كورسيرا، في وقت أعلنت مدن أخرى رفضها لسيطرته ،وبمثل هذا الانقسام واجهت أيونيا الغزو الفارسي. وقد ترك كورش إدارة الأمور في آسيا الصغرى إلى قادته، وعلى رأسهم هرباخوس الذي أكمل إخضاع البلاد، وفرض على المدن اليونانية الجزية تاركاً لهم حرية التجارة. وقد قسمت آسيا الصغرى إلى ست مقاطعات أدار اثنان منها وهي أيونيا وليديا، حاكم فارسي واحد مركزه مدينة سارديس، ثم مقاطعة فيريجيا التي شملت المدن الأيونية في منطقة بحر مرمرة أيضاً قد صارت في يد حاكم آخر مركزه داسكيليون، ولم يتدخل هؤلاء الحكام في شؤون المدن التي كانت تدير شؤونها الداخلية بنفسها وعلى رأس كل حكومة منها حكاماً منهم[١] ،من جانب آخر أن سقوط المدن اليونانية في آسيا بيد الإمبراطورية الفارسية أدى إلى تقدم الفرس نحو جزر بحر ايجة بجوار الدول الاغريقية، وبذلك اصطدم العالم الإغريقي بامتداد النفوذ الفارسي[٢].وأن أول احتكاك بين مدن اليونان، وبين الإمبراطورية الفارسية كانت عندما أرسلت مدينة إسبارطة رسالة سلمية إلى كورش طلبت منه أن يرفع يده عن اليونانيين، وسأل كورش هنا: "من هم الإسبارطيون ؟.." وقد اقترح المفكر الإغريقي طاليس في مؤتمر حضره مندوبو المدن الأيونية أن تؤلف هذه المدن دولة اتحادية (فدرالية) ولكنه كان في هذا سابقاً لعصره[٣].

بعد أن تخلص كورش من مشكلة دولة ليديا والمدن الأيونية نقل ثقل عملياته العسكرية شرقاً فقد سار بمحاذاة بحر قزوين (مقاطعة هركانيا)، ثم بارثاڤا أو بارثيا (خراسان)،وعبر إلى بلاد ما وراء النهر (المنطقة المحصورة بين سيحون وجيحون)،وسيطر على مركز المنطقة (مدينة سمرقند) وجعل من نهر

---

[١] الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٧٥.

[٢] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٥٤٢.

[٣] برن،تاريخ اليونان،ص١٤٣.

سيحون الحدود الشمالية لإمبراطورتيه، وبنى عدد من التحصينات العسكرية على الضفة الجنوبية للنهر لحماية هذه الحدود من هجمات الطورانيين الذين كانوا يتمركزون في أواسط آسيا[١].

قبل أن يتجه كورش إلى بابل قام بمهاجمة أرض البحر، فقد أخبرنا برحوشا بأن كورش أخضع بقية آسيا قبل التوجه نحو بابل، وهو أمر عده الأستاذ الأحمد دليلاً على مهاجمة كورش لأرض البحر خاصة وان زينفون في كتابه (Cyropaedia) ذكر أن كورش قد أخضع الفيريجيين والكبدوكيين والعرب، وربما جعل زينفون أرض البحر ضمن بلاد العرب، ولكن هذا الغزو الفارسي الذي نقرأ عنه إشارات قليلة ليس لدينا تفاصيل حوله في الوقت الحاضر، إلا أن أرض البحر كانت جزءاً من الإمبراطورية الاخمينية، وأن مدينة شالامو(Šalamu) في بلاد العرب كانت ضمن الإمبراطورية الاخمينية في السنة الثامنة من حكم كورش[٢].في حين يعتقد الأستاذ جواد علي أن ورود لفظة (Arabiai) بعد (Kappadokia) دليلاً على إن المراد بها (بلاد الجزيرة) أي (Mesopotamia)، أو جزء منها، ويظهر من موضع آخر أن العربية هي المنطقة الواقعة شرق (Araxes) أي الخابور[٣].ويمكن ترجيح رأي الأستاذ جواد علي لاسيما وأن تتابع ذكر الفيريجيين ثم الكبدوكيين والعرب يرجح هذا الرأي، ومما يؤيد ذلك أن زينفون نفسه يصف الجزيرة الفراتية أثناء تحركه فيها ويقول عنها

---

[١] للمزيد من التفاصيل عن عمليات كورش العسكرية في الشرق أنظر :

Olmstead,History Of Persian Empire, PP.45-49 ;Ghirshman,Iran,p,131 ;Huart, Ancient Persia,P.41.

باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٤٨؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٩٨-٩٩؛أحمد مالك الفتيان وزهير رجب عبد الله،سبع سنوات في تل أسود،(بغداد، مطبعة جامعة بغداد،١٩٧٩)،ص٧؛أبو مغلي،ايران،ص٩١.

[٢] سامي سعيد الأحمد،تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي،(البصرة:مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٧)،ص٣٠٩.

[٣] جواد علي،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،(بيروت:دار العلم للملايين، ١٩٦٨)،ج١، ص٦٢٠؛

(العربيـة) (Arabia)[١]. غير أن ذلـك لا ينفـي مطلقـاً أن أرض البحـر قـد دخلـت ضـمن دولـة كـورش. ويقـول الأسـتاذ دوگرتي أن كـورش قـد فـتح أرض البحـر قبـل فتحه لبابل[٢].

كانــت آخــر العمليــات العســكرية لكــورش هــو حملتــه علــى قبائــل الاسـكثيين، ثـم توجـه بعـد ذلـك لقتـال قبـائل السـاكا البربريـة عبر نهـري سـيحون وجيحـون، وفي أواخـر سـنة ٥٣٠ فشـل كـورش في إحـدى معاركـه ضـد القبائـل المـذكورة، ولقـي حتفـه هنـاك، ويعتقـد أن خسـر في هـذه المعركـة (٢٠٠,٠٠٠) مقاتل[٣]،وهو رقم مبالغ فيه كثيرا.

-عهد قمبيز الثاني (٥٢٩-٥٢٢) ق.م (عهد الإخفاقات العسكرية).

كان قمبيز الابـن الأكبر لكـورش الكبير، أشـركه أبـوه في الحكـم خـلال السـنوات الثمـان الأخيرة مـن حكمـه، وقـد منحـه أبـوه لقـب ملـك بابـل[٤].وكـان لكـورش ابـن ثـان يـدعى بارديـا أوكـل إليـه أبـوه حكـم الأقـاليم الشـرقية مـن الإمبراطوريـة، وهي: خـوارزم، وباكتريـا، وباريثـا، وكرمانيـا[٥].وكـان قمبيز حسـب مـا تذكره المصادر غريب الأطوار قاسياً، وسنلاحظ من سيرته تناقضات عدة، وبعد وفـاة كـورش تـولى قمبيز العـرش سـنة ٥٢٩ ق.م فبـدأت الاضـطرابات الناشـئة عـن المؤامرات التي يرجح اشتراك برديا فيها فاتهمه أخوه بأنه يسعى لقتله ودبر أمر اغتياله[٦].

---

1) Xenophon, The Persian Expedition, (London, 1946),P.36.

2) Raymond Philip Dougherty ,Nabonidus and Belshazzar ,In ,YOSR, Vol,Xv, 1929,P.161ff;Dougherty,The Sea land Of Ancient Arabia, In ,YOSR, Vol, XIX,1932,PP,169.

(٣) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٠.

4) Ghirshman,Iran, p.136.

5) Ghirshman,Iran,p.136;Sykes, History Of Persia,Vol,1,P.156;Huart, Ancient Persia,P.46.

(٦) باقر،مقدمـة في تـاريخ الحضـارات القديمـة،ج٢،ص٤٠٤؛الأحمـد واحمـد،تاريخ الشـرق القديم،ص٣٧٢.

كان أول عمل عسكري يقوم به قمبيز هو التحرك باتجاه مصر، والواقع أن فكرة غزو مصر كانت من تنظيم كورش الكبير الذي كان قد أعد العدة لاحتلال مصر غير انه توفي قبل انجاز عمله العسكري[١]،وكان قد أوكل مهمة تهيئة الحملة إلى ابنه قمبيز أثناء حياته[٢].

كان هناك فارق كبير في الوضع السياسي في مصر بحلول عام ٥٢٥ ق.م، إذ أن مصر لم تعد في الواقع قادرة على التصدي للفرس الأخمينيين، ونحن نعرف أن مصر كانت من ضمن حلفاء كروسوس سابقاً مما يعني أنها كانت تشعر بوجود الخطر الفارسي منذ فترة سابقة للغزو الاخميني. وكان فراعنة الأسرة السادسة والعشرين قد اعتمدوا في قوتهم العسكرية على المرتزقة الإغريق، وكانت مشكلة الإغريق في مصر عويصة، ويبدو أن تأزم الموقف في مصر يعود إلى تزايد نفوذ الإخلاء الجانب في مصر، وما كان من الفرعون أحمس الثاني (٥٧٠-٥٢٦)ق.م إلا أن يحاول حل المشكلة، ولكن أحمس الثاني لم يرد أن يخسر صداقة العالم الإغريقي، كما لم يرغب أن يستفز شعور المصريين المعادي للإغريق[٣]،ولكن ما أن كان الخطر يزداد على مصر من جانب الفرس حتى أخذ أحمس يعتمد تدريجياً أكثر فأكثر على الإغريق المرتزقة، فقد قام بتجنيد أعدادا كبيرة من الجند المرتزقة الإغريق تحسباً للخطر كما ضمن ولاء قبرص[٤].أما قمبيز ملك فارس فقد عمل جاهداً لإعداد العدة لتجريد أحمس الثاني من حلفائه، اذ تمكن من محالفة بوليكراتيس حاكم ساموس الحليف السابق لأحمس الثاني، كما تحالف مع ملك فينيقيا الذي زود قمبيز بعدة سفن فينيقية. فضلاً عن ذلك أن قمبيز قد حصل على مساعدة بدو خليج السويس[٥]،وهكذا وجد قمبيز لنفسه قاعدة قوية يتمكن بها من الهجوم على الأراضي المصرية، بعد ان كسب اليهود الى جانبه عن طريق التصريح لليهود ببناء معبد أورشليم، كما أن

---

[١] سليم حسن،مصر القديمة،(القاهرة:مطبعة دار الكتاب العربي،بلا.ت)،ج١٣،ص١.

[٢] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج٢،ص٤٠٤.

[٣] صالح، الشرق الأدنى القديم ،ج١،ص٢٨٠-٢٨١.

[٤] برن،تاريخ اليونان، ص١٦٥.

[5]) Olmstead,History Of Persian Empire,P.88.

الفرس اكتسبوا إلى جانبهم عواطف الجنود المرتزقة اليهود الذين كانوا في خدمة الفرعون المصري[١].فضلاً عن ذلك أن الخيانة ساعدت كثيراً الفرس في احتلال مصر، إذ هرب أحد قادة أحمس الثاني من الاغريق ويدعى فانيس وهو من مدينة هاليكارناسوس، وانضم إلى معسكر قمبيز، وأطلعه على الأسرار العسكرية للجيش المصري[٢].

تحرك الجيش الاخميني باتجاه مصر إلى الحدود المصرية ماراً بفلسطين، وأرسى أسطوله في ميناء عكا، وفي هذه الأثناء توفي أحمس الثاني، وتولى ابنه بسماتيك الثالث العرش، وكان الجيش الاخميني قد وصل إلى الحدود المصرية، وقد اتخذ من مدينة غزة قاعدة انطلاق باتجاه مصر. وعند بلوغه مدينة بلوزيوم (الفرما) اندحر الجيش المصري، وسقطت المدينة، وأعقبها اقتحام عين شمس ثم منف عام ٥٢٥ ق.م[٣]. ويخبرنا نص مصري موجود حالياً في الفاتيكان عن دخول قمبيز لمصر: "أتى إلى مصر الملك العظيم لكل البلاد الأجنبية قمبيز على حين كان معه غرباء البلاد الأجنبية كلها، عندما استولى على هذه الأرض جميعها أستوطنها هؤلاء الغرباء"[٤]. أما بسماتيك الثالث فقد عفا عنه قمبيز، غير أن الفرعون السابق حاول إثارة المصريين ضد الفرس، فاشتط قمبيز في معاملته حتى أدى به إلى الانتحار[٥].وقد عد حكم قمبيز لمصر هو بداية الأسرة السابعة والعشرين في مصر.

---

[١] حسن، مصر القديمة، ج١٣، ص٢.

[٢] المصدر نفسه، ج١٣، ص٢.

[٣] للمزيد من التفاصيل عن احتلال مصر من قبل قمبيز أنظر:

Olmstead,History Of Persian Empire,PP.88-89;Ghirshman, Iran,p137;Sykes, History Of Persia,Vol,1,P.158.

حسن، مصر القديمة، ج١٣، ص٢؛ عبد الحميد زايد، مصر الخالدة، "مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية"، (القاهرة: ١٩٦٦)، ص٩٣٧؛ عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ،ص٢٣٠.

[٤] حسن، مصر القديمة، ج١٣، ص٨.

[٥] زايد، مصر الخالدة، ص٩٣٧؛ صالح، الشرق الأدنى القديم ،ج١، ص٢٨٤-٢٨٥؛ عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ،ص٢٣١.

إن من الأمور الجديرة بالتنويه بها، أن عهد قمبيز في حقيقته عهد إخفاقات عديدة في الجانب العسكري، وان غزو مصر ما هو إلا تنفيذا لخطة أعدت من قبل المؤسس كورش، فالأحداث اللاحقة ستثبت فشل قمبيز العسكري في الامتداد الاخميني، وإن إخفاقه في ثلاث حملات عسكرية متتالية دليل واضح على عن عدم قدرة الأخير من مواصلة الأهداف التي وضعت لتكوين الإمبراطورية الاخمينية، فعهد قمبيز الذي سينتهي بكارثة كان كافياً لتحطيم الإمبراطورية.

اعد قمبيز الخطط لثلاث حملات حربية لمد السلطان الفارسي على قرطاجة التي كانت تسيطر على سواحل البحر المتوسط الغربية، وأخرى على واحة أمون الموغلة في بادية طرابلس للسيطرة على الطريق المؤدي إلى ليبيا، والثالثة ضد الحبشة[١].وقبل أن يشرع قمبيز بالتوجه نحو قرطاجة أقدم على إخضاع منطقة لوبيا وبرقة تمهيداً للتوجه نحوها[٢]،مع ذلك أن الحملة على قرطاجة لم تنفذ بسبب رفض الفينيقيون بالسماح لأسطولهم في غزو لأقربائهم القرطاجيين[٣].

كان الهدف الثاني لقمبيز هو واحة أمون (سيوه)، إذ تروي المصادر اليونانية أن قمبيز أعد جيشاً قوامه (٥٠,٠٠٠) مقاتل، وتحرك من طيبة في مصر عبر الصحراء، ووصل إلى الواحة الخارجية غير أن الحملة لم تنجح بسبب العواصف الرملية الكثيفة[٤].

كانت الحملة الثالثة وجهتها جنوباً، نحو بلاد النوبة[٥]،ويبدو أن قمبيز قد حاول في هذه الحملة المرة التأكد من سلامة موقفه في حالة التحرك باتجاه الجنوب، فأرسل جواسيسه إلى أثيوبيا، غير أن التقرير الذي رفع إليه كان غريباً، إذ جاء فيه أن الأثيوبيين غالباً ما يعمرون طويلاً، إذ تبلغ أعمارهم (١٢٠) سنة، وبعضهم أحياناً يتجاوزون هذا السن، وكانوا يأكلون اللحم المشوي، ويشربون

---

(١) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٤٠٥.

(٢) حسن،مصر القديمة،ج١٣،ص٢.

3) Ghirshman,Iran,p.137.

4) Ibid, P.137.

5)Ghirshman,Iran,p.137; Huart, Ancient Persia,P.48.

اللبن بكثرة. وكان رؤساء العاصمة يضعون في المساء لحوماً مشوية في مرج من المروج التي تقع خارج المدينة، ليأكلها أي شخص في اليوم التالي، وكان ملكهم أطول قامة من أي رجل من رجال المملكة. وأنه حتى الأسرى كانوا يوثقون في أغلال من ذهب. ولكن البرونز كان نادراً وقيماً عندهم، وكانت التوابيت تصنع من الزجاج، فيرى من خلالها جثث الموتى، وكان يحتفظ بهم في المنزل مدة عام، وتقدم طوال هذه الفترة القرابين من أجلهم ثم تقام لهم قبور حول المدينة[١].إن هذا التقرير لم يكن ذا فائدة كبيرة لقمبيز، ويكشف عن سوء جهاز استخباراته وضعف تنظيمه، إذ أنه لم يكن يكشف عن قوة الأثيوبيين العسكرية، كما أنه جاء ملئ بالمبالغات، وكل ما يمكن الاستفادة منه هو ثروة هذا الإقليم، ويبدو أن هذا الأمر دفع الأستاذ عبد العزيز صالح إلى القول أن قمبيز قاد حملة إلى نباتا (مملكة الأثيوبيين) طمعاً في ذهبها[٢].

تولى قمبيز القيادة بنفسه، وقام بتقوية المدن الواقعة على طريق الحملة، وأثناء تقدمه تشير الأخبار إلى أنه زار أسوان، واستناداً إلى رواية هيرودوت لم تكن الحملة التي جهزها قمبيز كاملة الاستعدادات، بل كانت تعاني من نقص في المؤن، فضلاً عن ذلك أن جيشه قابل في طريقه الحبشة مجموعة من الزنوج أكلي لحوم البشر[٣].ومع ذلك فإن البعض يشير إلى أن قمبيز لم ينفذ الحملة بسبب بلوغه أنباء الاضطرابات في إيران[٤].

قبل أن ننهي عهد قمبيز لابد من الإشارة إلى الإدارة في عهد قمبيز، فبعد غزو مصر، أضيفت ولاية جديدة إلى ولايات الإمبراطورية الاخمينية أطلق عليها أسم (Mudraya) وعاصمتها ممفيس، ووضعت الحاميات العسكرية في دفنة بشرق الدلتا، وفي ممفيس، والفنتين، اذ كانت يقيم إعداد كبيرة من المرتزقة اليهود[٥].ويدعي هيرودوت أن قمبيز قام بقتل العجل أبيس، وأمر بقتل الكهنة،

---

[١] زايد،مصر الخالدة،ص٩٣٨.

[٢] صالح، الشرق الادنى القديم،ج١،ص٢٨٥.

[٣] باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٢.

[٤] الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٠٣.

[٥] زايد، مصر الخالدة،ص٩٣٨.

وإخـراج جثـة أمـازيس، واسـتنزل اللعنـات عليهـا ثـم حرقهـا[١].غير أن مـا ذكـره هيرودوت لا ينطبق في الواقع مع الأحداث، ففي العـام السـادس من حكم قمبيز أي عـام ٥٢٤ ق.م حينما كان قمبيز في أثيوبيا مات العجل المقدس، وولـد العجل أبيس في عهـد قمبيز، وعـاش حتى بلغ العـام الرابع من حكم دارا الأول، كما مثل قمبيز في اللوحات المصرية على طريقة الفراعنة[٢].

أمـا فلسـطين فـلا نعـرف الكثير عنهـا في عهـد قمبيـز، إلا أن الثابـت أن قمبيـز استخدم القبائل العربية من اجل تجهيزه بالمؤن في الطريق الموصل بين فلسطين ومصر أثناء غزوه لمصر[٣].ويؤكد الأستاذ أولمستد أن الهجوم على مصر أوضح أن العـرب كانوا هـو القـوة الحقيقيـة في منطقـة واسـعة في فلسـطين، وشـرق الأردن، وصحراء النقب بما فيها غزة[٤].وفي أوائل الاحتلال الفارسي لفلسطين نعرف عن سـكنى الأدوميين في منـاطق عـدة من النقـب، وجنـوب هضبـة فلسـطين الـوسـطى حتى مدينة الخليل[٥].

في الخليج العربي نقـرأ في أول حكـم قمبيز عـن أسـم رجـل يـدعى دايـان-شـار-أوصور (Daian-Šar-Uṣur)وهو أسم أكدي نائب حـاكم أرض البحـر (Amil-Šanu-ša MatTam-Tim) وربمـا كـان حـاكم أرض البحـر فارسـياً أمـا نائبـه فمـن سكان المنطقة[٦].

لم تكن المعلومات المتوفرة عن نهاية عهد قمبيز تكفي للبت في الحقيقة التاريخيـة، فالمعلومـات تشـير إلى أن قمبيـز أقـدم علـى قتـل زوجتـه، وابنـه

---

(١) صالح، الشرق الادنى القديم، ج١ص٢٨٥،الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٠٣،

2) Olmstead,History Of Persian Empire,PP.89-90.

زايد،مصر الخالدة،ص٩٣٨-٩٣٩.

(٣)جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩)،ص١١١.

4) Olmstead,History Of Persian Empire,PP.88.

(٥) سامي سعيد الأحمد،فلسطين حتى التحرير العربي،(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٨)،ص٥٨.

6) Dougherty,The Sea land,PP.120-121.

الأحمد،تاريخ الخليج العربي،ص٣٠٩.

بريكسيبس بسهم من قوسه، ودفن أثنا عشر من أعيان الفرس أحياء، وقضى بالإعدام على كروسوس ثم ندم على فعله، وسر حين علم إن حكمه لم ينفذ، ثم عاقب الموظفين الذين تأخروا عن تنفيذه، كما قتل أخته روكسانا[١]،وهذه المعلومات تشير إلى أن هناك اضطراب في شخصية قمبيز وأحياناً يمكن وصفه بأنه مجنون، ومع ذلك لا يمكن التسليم بكل جزيئيات هذه الأخبار.

كانت الأوضاع في إيران سيئة، وكان قمبيز قد ترك مصر نحو سوريا ثم فلسطين، وهناك وصلته الأخبار أن أخيه بارديا قد اغتصب العرش، وإن كانت هناك معلومات تشير إلى أن قتل بارديا قد تم في أول عهد قمبيز[٢]،وإن هذه الأخبار تذكر أن مجوسي يدعى گوماتا قد انتحل شخصية بارديا، وأعلن الثورة مع عدم التأكيد على هذه المسألة، وهناك اعتراضات حقيقية حول الأمر غير أن قمبيز بكل الأحوال لم يتمكن من إخماد ثورة بارديا أو گوماتا، وإن التضارب في الأخبار حول شخصية بارديا أو گوماتا يجعل المسألة أكثر صعوبة، بيد أنه يمكن القول بشيء من الثقة أن قمبيز قد قتل أو انتحر في فلسطين والثورة ما زالت قائمة[٣].

---

[١] ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران،(القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٧)،ج٢،ص٤٠٦؛سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال ،ص٢٧٣.

[٢] تشير بعض الأخبار إن قمبيز قد قتل أخيه بارديا سنة ٥٢٦ ق.م. أنظر أبو مغلي،ايران،ص٩٣.

[٣] للمزيد من التفاصيل أنظر :

Ghirshman,Iran,p.138-139; Sykes, History Of Persia,Vol,1,P.159; Olmstead, History Of Persian Empire,PP107ff; Bausani, The Persians,P.19; Huart, Ancient Persia,PP.49.

زايد،مصر الخالدة، ص٩٤٣؛صالح ،الشرق الادنى القديم،ج١،ص٢٨٥؛ الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٠٤.

-التوسعات و إدارة الأقاليم وعهد دارا الأول " الكبير"(٥٢٢-٤٨٦ ق.م)(عهد الازدهار):

أن الفترة التي تضمنتها حكم دارا الكبير في أعوام حكمه الأولى، تعد غامضة جداً في تاريخ الإمبراطورية، وان إعادة تركيب الأحداث يحتاج إلى معرفة علاقة كل من برديا بگوماتا من جانب، وعلاقة دارا الكبير بالأحداث من جانب آخر. إن الكثير من الباحثين من أكد إن الكاهن المجوسي گوماتا قد انتحل شخصية برديا أو سميرديس الوارد في المصادر الكلاسيكية، وأعلن ثورته على قمبيز[١].ويؤكد الأستاذ باقر هذه الفرضية، إذ يذكر أن قمبيز أثناء وجوده في فلسطين قد وصلته أنباء ثورة تزعمها گوماتا المجوسي الذي كان يشبه برديا فادعى هذا العرش، وأعلن نفسه ملكا عام ٥٢٢ ق.م[٢].ويذكر الأستاذ برن إن ثورة قامت في أواخر عهد قمبيز تزعمها أخوه وسانده فيها كهنة المجوس، وان هناك رواية أخرى وردت في تاريخ رسمي متأخر، تقول إن الذي ثار على قمبيز هو شخص محتال أنتحل شخصية هذا الأخ الذي كان قمبيز قد قتله غيلة[٣].وينفرد الأستاذ ديورانت برأي غريب مفاده إن الثورة التي اندلعت في أواخر عهد قمبيز قد تزعمها أحد الرجال الدين المتعصبين من أتباع المذهب المجوسي القديم، وكان يعمل جاهداً للقضاء على الزرادشتية دين الدولة الفارسية الرسمي[٤].غير إن ذلك لا يمكن الأخذ به بسبب إن الزرادشتية لم تصبح دين رسمي للدولة ألا في عهد دارا الكبير، كما إن الكتابات المتوفرة عن ثورة گوماتا لا تصرح بوجود عامل ديني للثورة .

إن المصادر الكلاسيكية لم توضح لنا بصورة جدية من الذي قتله دارا الكبير، فهل هو فعلاً شخص مدعي اسمه گوماتا؟، أو انه قتل برديا ابن كورش الكبير وأخ الملك قمبيز؟، فأخبار هذه المصادر متضاربة بهذا الخصوص. فضلا

---

[1]) Ghirshman,Iran,P.138;Bausani, The Persians,P.19.

(٢) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٥٧٦؛ج٢،ص٤٠٦؛انظر أيضا: طه باقر وآخرون،تاريخ العراق القديم،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)،ج١،ص٢٥٩.

(٣) برن،تاريخ اليونان،ص١٦٥.

(٤) ديورانت،قصة الحضارة،ص٤٠٦.

عن ذلك، فلو راجعنا جميع المصادر الخاصة بمقتل برديا فأننا لا نجد إن أخاه قد قتله، ولا نستطيع أن نحدد كذلك الفترة التي قتل فيها. غير إن الشيء الذي يلفت الانتباه هو إن المصادر قد أكدت إن المدعي گوماتا المجوسي كان كثير الشبه من برديا، وبسبب هذا الشبه الموجود بين برديا وگوماتا المجوسي اعتقد عدد من المختصين بالتاريخ الاخميني، إن دارا قد ثار على برديا الحقيقي بعد أن أنكر شخصه، ووصفه بأنه المدعي گوماتا المجوسي، وبرر نكرانه لشخصية برديا حقيقة ادعائه بان گوماتا المجوسي يشبه برديا شبهاً كبيراً بحيث لا يمكن التمييز بينهما، وعليه فيظهر إن گوماتا المجوسي كان شخصية وهمية لا وجود لها وقد فرضت على برديا حتى يبرر دارا ثورته عليه، لان برديا وأخاه قمبيز كانا يتمتعان بجماهيرية عالية لكونهما ابني كورش الثاني مؤسس الإمبراطورية الاخمينية. لذلك بسبب ما تقدم يبدو إن الشخص الذي ثار على قمبيز أثناء وجوده في مصر هو أخاه برديا، وليس المدعو گوماتا المجوسي. ويبدو أيضا بأن استيلاء برديا على العرش الاخميني لم يأتِ من رغبة حقيقية في الثورة على أخيه، وإنما جاء من شعور بوجود مؤامرة داخلية استغلت غياب الملك قمبيز عن البلاد واستغلت كذلك فشل حملاته العسكرية، فاستبق برديا هذه المؤامرة باستيلائه على مقاليد الحكم. وقد يجوز كذلك إن برديا لم يثر على أخيه إطلاقا، وان أنباء ثورته التي وصلت إلى الملك قمبيز هي أخبار ملفقة، وتمثل حلقة من سلسلة المؤامرات التي وضعها دارا للوصول للحكم[1].ومع هذا يمكن الاعتراض على هذه الفرضية في النقطة الخاصة بان الثورة أصلا وأخبارها التي وصلت للملك قمبيز هي ملفقة من تدبير دارا الكبير، إذ إن هناك من النصوص البابلية التي تذكر بان برديا هو ملك بابل وملك البلدان[2]، مما يؤكد ثورة برديا، وهكذا يمكن إعادة ترتيب الأحداث خلال الأعوام (٥٢٤-٥٢٢ ق.م) بالشكل التالي :

١.تغطي الفترة من ٥٢٤-٥٢٢ ق.م، فترة العمليات العسكرية لقمبيز، وان فشل حملاته دفعت أخيه للثورة حفاظاً على حكم أسرة كورش الثاني .

---

(١) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٢-٥٣.

(٢) المصدر نفسه،ص٥٣.

٢.ثار برديا حاكم الأقاليم الشرقية عام ٥٢٢ ق.م على أخيه، وسانده بالثورة الكهنة المجوس، وربما كان گوماتا شخص حقيقي واحد أتباع برديا، وهذا يعني إن الأخير لم يُقتل في بداية عهد قمبيز.

يحدد بعض الباحثين فترة حكم برديا ما بين ١١-آذار إلى ٢٩ - أيلول من عام ٥٢٢ ق.م[١].وعلى كل حال أعلن برديا الثورة، أعقبها وفاه قمبيز، وكان الجيش الاخميني قد انحاز إلى جانب الأمراء السبعة الذين كانوا بقيادة دارا الكبير الذي ينتمي إلى فرع آخر من السلالة الاخمينية[٢]،وان كانت هذه المسألة برمتها عرضة للشك. أما برديا فقد أعلن منذ البداية سياسة سلمية أثناء توليه العرش، إذ أصدر مرسوماً ينص على إيقاف الحرب، وإيقاف التجنيد للحرب لمده ثلاث سنوات[٣]. بيد إن دارا الكبير وأعوانه سرعان ما تمكنوا من القضاء على حكم برديا مما سبب اندلاع ثورات الأقاليم في: ماركيانا، وسوسة، وبابل، وفارس، وميديا، وسورية، غير إن دارا تمكن بمدة، وجيزة إنهاء الاضطرابات[٤].لكن لم يكن إخماد الثورات كافيا لإعادة الهدوء للإمبراطورية فكان على دارا الكبير إن يتخذ عدة خطوات هي :

١.التقرب من البيت الحاكم السابق .

٢.نشر الوثائق السياسية الدعائية .

بالنسبة للجانب الأول فإن المصادر تشير إلى إن دارا الكبير تزوج من اتوسا (Atossa) ابنه كورش الثاني، وقام بتقريب إفراد عائلتها، إذ بعمله هذا قد جعل من أفراد البيت الحاكم السابق أتباعا وأعوانا[٥].أما الجانب الثاني فهو ربط نفسه في وثائقه بين فرعي عائلة قمبيز، إذ يخبرنا في كتاباته إن الملوك الذين سبقوه هم كآلاتي : تايسبس (جيشبش) -كورش الأول– قمبيز الأول –كورش الثاني– قمبيز الثاني من الفرع الأول ،وهو ينتمي إلى آريارامنس–ارسامس–

---

(١) المصدر نفسه،ص٥٣.

(٢) الأحمد واحمد،تاريخ الشرق القديم،ص٣٧٣.

(٣) برن،تاريخ اليونان،ص١٦٥.

4) Olmstead, History Of Persian Empire,PP.107ff.

(٥) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٤.

هستاسبس وأخيرا هو، من الفرع الثاني[١]. وجاء في إحدى وثائقه: "نحن من زمن سحيق نبلاء وان ثمان أشخاص من عائلتنا كانوا ملوكاً وان التاسع بينهم"[٢].كما عمد دارا الكبير إلى تسجيل انتصاراته في منحوتة ضخمة عند جبل بهستون، والمنحوتة عند سفح الجبل العظيم (بهستون) وهي على مسيرة يوم من شرق كرمنشاه قرب طريق خراسان[٣].غير إن السؤال المطروح ما هو مقدار الاعتماد على ما ورد على لسان دارا ولاسيما في منحوتة بهستون؟.

يرى بعض المؤرخين انه لا يمكننا الاعتماد على ما ورد في منحوتة بهستون كليا، إذ يبدو فيها واضحاً إن دارا قد وصف كل خصومه بالكذب، واعتبر نفسه الصادق الوحيد في الوقت الذي نجد فيه بان الملك دارا نفسه كان عارفاً بان الناس سوف لا يصدقون بما جاء في هذه الكتابات من أخبار بحيث ضمن كتاباته لعنه الإله اهورامزدا لكل من يشك في صحة الأخبار الواردة فيها .والحقيقة إن سبب اتهام دارا لخصومه بالكذب، وان لعنة اهورامزدا تحل في كل من يشك في صحة أقواله، راجع إلى كونه يعرف جيداً بأنه حكاية نسبه! وقصة گوماتا كانت تلفيقاً ضد الملك بارديا، وان الثورات التي اندلعت ضده كانت بسبب اعتدائه على حرمة البيت الحاكم الذي أسس الإمبراطورية الاخمينية[٤].وهنا لابد من التساؤل من هو دارا الكبير ؟ إن كتابة بهستون الثلاثية اللغة تؤكد إن دارا هو ابن هستاسبس[٥].ويرى الأستاذ غرشمان إن دارا هو ابن هستاسبس حاكم بلاد بارثيا[٦].ونحن ذكرنا إن دارا في كتاباته أكد على ثمانية ملوك سبقوه، ولو دققنا الجانب الثاني من فرعي الأسرة لوجدنا نسبه كآلاتي:

---

[1]) Ghirshman,Iran.P.140.

(٢) سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، (بغداد:مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨)، ص٣٥.

(٣) لي سترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة:بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد:بلا.مط، ١٩٥٤)، ص٢٨٣.، ص٢٢٢.

(٤) باقر وآخرون، تاريخ إيران القديم، ص٥٥.

(٥) مارغريت روتن، علوم البابليين، ترجمة:يوسف حبي، (بيروت:دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٠)، ص٣٢.

[6]) Ghirshman,Iran,p.139.

دارا-هستاسبس– ارسامس–آريارامنس–تايسبس–أخمينس. ألا إن البعض يشكك بالنسب، ويعتقد إن دارا لا يمت بصلة للبيت الحاكم، وانه اختلق هذا النسب، والاستناد في هذا الرأي يعود إلى فكرة اللوح الذهبي العائد للملك آريارامنس الذي تحوم الشكوك حول أصالته، وعليه يفترض أنصار هذه الفرضية إن الملك آريارامنس، وابنة ارسامس من ابتداع دارا، وان اللوح الذهبي المذكور هو من صنع دارا كذلك[1]. وبناءً على ذلك يمكن إعادة ترتيب الأحداث خلال عامي ٥٢٢-٥٢١ ق.م وبالشكل التالي:

١.اندلاع ثورة برديا عام ٥٢٢ ق.م، وانتحار قمبيز، وانحياز الجيش للنبلاء السبعة نتيجة دعاية دارا التي أكدت إن الثائر هو گوماتا المجوسي.

٢.انتصار دارا وأنصاره على برديا، وإعلان دارا نفسه ملكا على الإمبراطورية.

٣.زواجه من ابنة كورش لإسناد موقفه اتجاه النبلاء، وأعدائه الثائرين، ولتأكيد كون گوماتا هو الذي أعلن الثورة.

٤.اندلاع الثورات بوجه دارا لقتله برديا صاحب الحق الشرعي في الحكم، مما كان من دارا إلا أن يقاتل من اجل العرش.

كانت ابرز الأعمال التي كان على دارا الأول القيام بها في هذه الفترة الحرجة، هو إعادة تنظيم الإمبراطورية من جهة، وربط الولايات بشبكة مواصلات من جهة ثانية، والاستمرار في التوسع العسكري من جهة ثالثة. لقد علمت الثورات والاضطرابات العنيفة الملك دارا الأول دروساً عديدة في وجوب إعادة تنظيم الإمبراطورية، وتحوير سياسة التساهل التي سار عليها كورش، ووضع إدارة الإمبراطورية على أسس وطيدة. ومع ذلك فلم يركن دارا للعنف، وإنما استخدم أسلوب وسياسة جيدة وحازمة في ضبط الأقاليم التابعة التي سمح لها بالمحافظة على كيانها الثقافي في اللغة والنظم الخاصة بها[2].

اختلفت سياسة دارا اتجاه الأقاليم التابعة بالنسبة لحالة كل إقليم، ففي مصر بدأت الاضطرابات فيها بعد موت قمبيز، إذ قامت في مصر ثورة نزعت فيها عن نفسها نير الحكم الفارسي مؤقتا، ففي أثناء قيام ثورة بابل الأولى انتهزت

---

(1) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٤-٥٥.

(2) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٤٠٧-٤٠٨.

مصر الفرصة، وأعلنت ثورتها، وكان الستراب الفارسي اريااندس هو الذي كان قد أعاده دارا إلى الحكم لم يشاطر الثورة، بل كان يعمل بوصفه ممثلاً لقمعها من قبل دارا. فلدينا فقرة من المؤرخ بوليانوس كان يُعتقد من زمن طويل إنها تشير إلى اشتراك اريااندس في هذه الثورة. ولكن يجب أن نفهمها ألان على العكس من ذلك، إذ إن المصريين ثاروا استناداً إلى وثيقة تعرف باسم بوثيقة وزاحر رسن على دارا وعلى اريااندس الذي يشير إلى اضطرابات في مصر[1].أما دارا فقد تحرك في شتاء ٥١٩-٥١٨ ق.م على رأس جيشه، ودخل مصر ،وعمل على استمالة أهلها، بمنح كميات كبيرة من الذهب لكل من يكشف عجل أبيس الجديد، محل العجل الذي مات[2].وعمل دارا في اعقاب ذلك الى أعادة تنظيم الإدارة في مصر، وأصبحت تشكل الستراببية السادسة من ستراببيات الإمبراطورية، وفرضت جزية سنوية تقدر بـ (٧٠٠ طالنت) فضة، هذا فضلاً عن دخول مصايد الأسماك في بحيرة موريس، وكانت مصر زيادة على هذه الضرائب، تقوم بمد الجنود الفرس الذين كانوا معسكرين فيها بكل ما يلزمهم[3].ومن الناحية العسكرية كانت الحاميات الفارسية تمتد من بلدة ماريا الواقعة في الشمال قرب الإسكندرية، وحتى بلده الفنتين(أسوان الحالية) والشلال في الجنوب. وكانت أقوى حامية للفرس في بلدة منف ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز، وكانت الحامية تتألف من جنود فرس برتبة ضباط فضلاً عن المصريين والأجانب واليهود وغيرهم[4].

في فلسطين وعد دارا بإعادة بناء معبد القدس، وتم في عهده دمج فلسطين وسورية وقبرص في مقاطعة واحدة أطلق عليها عبر النهر . وقسمت فلسطين إلى عدة مناطق، وربما فصلت السامرة عن الجليل، وربما كان مقر حاكم الجليل الإداري في خاصور .ثم مقاطعة أدوم التي تمتد ما بين بيت زور وحتى بئر السبع، وربما كان مركزها في لاخيش. وكان في الوقت نفسه جشم العربي ملك القدريين مستقلاً يخشاه الفرس، يسيطر على منطقة تمتد من غزه حتى

---

(1)حسن،مصر القديمةج١٣،ص٨٩-٩٠.

(2) زايد،مصر الخالدة،ص٩٤٣.

(3) حسن،مصر القديمة،ج١٣،ص٤.

(4) المصدر نفسه،ج١٣،ص١٠٠.

اينيسوس ثم مقاطعة اشدود، وربما كانت يافا ملحقة بصيدا خلال هذه الفترة[١].وفي فترة حكم دارا نعرف عن اندماج في الجالية اليهودية هناك، إذ اختفى ذكر الأسباط العشرة الذين اختلطوا بسبطي يهوذا وبنيامين، وفي ذلك الحين سمي الإسرائيليون يهوداً، ودعيت بلادهم اليهودية[٢].

أما الخليج العربي فنعرف عن استغلال السلطة الفارسية لإقليم مكّان(عمان)من اجل الحصول على خشب السيسو[٣].وتؤكد كتابات دارا على سيطرته على إقليم ارض البحر. ونعرف عن إقامته لمستوطنات في الخليج اسكنها بأسرى يونانيين، ومن هذه المستوطنات (Ampe) كما أمر بإرسال حملة بحرية استكشافية عبر الخليج العربي إلى وادي نهر السند[٤].ويظهر من كتابات دارا إن بلاد العرب كانت تشمل لفظة ارض البحر أي إن اللفظتين كانتا مترادفتين خلال هذه الفترة[٥].وفي فينيقية قام دارا بجعلها الولاية الخامسة، إلا انه أبقى لها حكمها الذاتي تحت رقابة وزراء عسكريين من الفرس، لكي يضمنوا ولاءها واستمرارها في دفع الجزية[٦].وفي آسيا الصغرى أمر دارا بجعل الجزية المفروضة على المدن الأيونية سنوية، وكانت آسيا الصغرى القاعدة العسكرية لدارا في توجيه الحملات نحو تراقيا ومقدونيا[٧].

عمل دارا على تأسيس شبكة من المواصلات بين ولايات الإمبراطورية، إذ رأى انه من الضروري أن يربط الإمبراطورية بالطرق النهرية البرية، فقام بإرسال بحاراً من كاريا هو سكيلاكس برحلة استكشافية بحرية بدءً من أقصى ولاية في شرق الإمبراطورية إلى اقرب طريق مائي صالح للملاحة في حوض نهر السند

---

(١) الأحمد،فلسطين حتى التحرير العربي،ص٥٨.

(٢) شاهين مكاريوس،تاريخ الإسرائيليين،(القاهرة:مطبعة المقتطف،١٩٠٤)،ص٣٢.

(٣) الأحمد،تاريخ الخليج العربي،ص١٨.

(٤) المصدر نفسه،ص٣٠٩.

5) Dougherty, The Sealand,p.121.

(٦) محمد أبو المحاسن عصفور،المدن الفينيقية،(بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر،١٩٨١)،ص٤٦.

(٧) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٧٥-٣٧٦.

والمحيط الهندي ،كما أتم حفر القناة التي كان الفرعون نيخاو الثاني قد بدأها، وذلك في أقصى فرع النيل في الدلتا شرقاً إلى رأس خليج السويس[١].ولكي يتمكن دارا من السيطرة على الأقاليم، ويتيح أمام الحكم المركزي الحضور في كل المقاطعات القريبة منهما والبعيدة، عمد إلى فتح مجموعة من الطرق الرئيسة التي أصبح لها أهميتها الكبيرة في ربط أقسام العالم بعضها ببعض حتى بعد سقوط الدولة الاخمينية، وقد ساعدت هذه الطرق الجيدة والآمنة التجارة على الازدهار. ولا يزال ممكنا اقتفاء اثر الطريق الذي يخرج من سوسة إلى ساردیس، وعلى امتداد محطات الحماية، وفرق الخيالة النشطة الحكومية، وطول هذا الطريق نحو ٥٠٠ ميل، كما إن هناك طريق تجاري يربط بين سوسة وبرسيبولس، وأخر يربط بين سوسة واكبتانا[٢].

قام دارا من اجل التوسع في حدود الإمبراطورية بإرسال عدة حملات عسكرية، فأرسل حملة على قبائل الاسكيثيين وتعقبهم حتى بلاد سكيثيا (جنوب روسيا)[٣].كما أرسل حمله على الهند، واستولى على مدينة جاندارا التي كان الآريون يحكمونها[٤].أما جنوبا فقد خضعت الحبشة في عهد دارا الأول إلى النفوذ الاخميني[٥]،كما شهد عمد دارا أول صدام مسلح واسع مع بلاد اليونان في موقعة موقعة مراثون عام ٤٩٠ ق.م انتهى بهزيمة دار الأول[٦].

---

(١) أرنولد توينبي،تاريخ البشرية، ترجمة:نقولا زيادة،(بيروت:الدار الأهلية للنشر،١٩٨١)،ج١،ص١٩٠.

(٢) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٠٦-١٠٧.

(٣) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٤٠٨؛باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٥؛الأحمد واحمد،تاريخ الشرق القديم،ص٣٧٤؛أبو مغلي،ايران،ص٩٨-٩٩.

(٤) روبرت فيفر،"الإمبراطوريات الأولى في أفريقيا وآسيا"،ترجمة:مصطفى محمد الأمير،بحث ضمن كتاب موسوعة تاريخ العالم،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،بلا ت)،ص٩٨.

5) Ghirshman,Iran,p.153.

6) Joel Dorman Steele &Esther Steele, History Of Ancient Peoples,(New York,1881),P.126; William A. McDonald, Persian War, In: EI, Vol,14,P.211;C.W. Oman, A History Of Greece,(London, 1968),PP.177-179; Herman Bengtson, The Greek and The Persians,(London,1969),PP.44-46.

-عهد الملك احشويرش (خشايارشا) الأول (٤٨٦-٤٦٥ ق.م).

خلف دارا الأول في حكم الإمبراطورية الفارسية ابنه احشويرش الذي عينه دارا نفسه خلفاً له، ولا نعرف الكثير عن حياة هذا الملك وانجازاته، إذ انه قضى الشطر الأكبر من حكمه في حروبه مع بلاد اليونان، ولهذا لا نمتلك معلومات كافية عن أوضاع الولايات الفارسية في عهده إلا القليل. أما عن حياته الشخصية فمعلوماتنا عنها نزرة أيضا، إذ نعرف إن له إخوة من أبيه الذي تزوج من ابنة احد المقربين أليه المدعو گوبرياس، وكانوا اكبر من احشويرش، وكان اثنان من إخوته يتوليان القيادة في الجيش. وكانت والدة احشويرش هي اتوسسا ابنة كورش الكبير الذي تزوجها دارا[١].ونملك معلومات إن احشويرش تزوج امرأة تدعى وشتي لا نعرف عنها أية معلومات إلا ما ذكره العهد القديم. والمعلومات التي يوردها العهد القديم لا توضح لنا إلا حادثة تطليق احشويرش لزوجته الملكة وشتي، وهي قصة لا يمكن التسليم بها كحقيقة تاريخية، وتبقى شخصية وشتي غامضة في الكتابات[٢]. وربما جاء سياق هذه القصة ليبرر الكتبة اليهود زواج احشويرش من أستير اليهودية[٣].وإشارة العهد القديم غامضة حول كل من وشتي وأستير، ويكتفي بالقول إن احشويرش جعل أستير محل وشتي[٤].أما أستير نفسها فهي شخصية غامضة لا تقل غموضا عن وشتي، فهي حسب ادعاءات العهد القديم يتيمة لم يكن لها أب وأم[٥]،وقد رباها ابن عمها مردخاي بن يائير بن شمعي بن قيس، الذي نعرف انه من الأسرى اليهود الذين جلبوا في السبي[٦].ومع ذلك ربما كانت قصة زواج الملك الفارسي من امرأة يهودية محض اختلاق لا أكثر.

---

[1]) Huart, Ancient Persia,P.60;

برن،تاريخ اليونان،ص١٩١.

(٢) أستير،١: ١٠-٢٢.

(٣) أستير،٢: ٥-١٧.

(٤) أستير،٢: ١٧.

(٥) أستير،٢: ٧.

(٦) أستير،٢: ٥-٧.

كان احشويرش يمتلك شيئاً من الدراية السياسية والإدارية، وقبل توليه العرش كان حاكما على بابل طوال (١٢) عاماً في عهد أبيه[1].إلا انه نجده يؤكد في كتاباته على عنصره الفارسي، ويقول عن نفسه انه سيد الأقطار ابن الآريين[2]. وربما انعكس هذا التوجه على إدارته كما سنرى.

ابرز الأحداث في عهد احشويرش هو اندلاع الثورة المصرية التي يحدد الأستاذ عبد العزيز صالح تاريخ اندلاعها بحدود عام ٤٨٨ ق.م[٣]،في حين يحدد الأستاذ زايد تاريخ اندلاعها سنة ٤٨٦ ق.م[٤].وإن هدف الثورة هو التخلص من نير الحكم الفارسي، وكان عاملها المحرك هو فداحة الضرائب التي فرضها الفرس على مصر. لا نعرف الكثير عن سير الأحداث لهذه الثورة إلا أنها استمرت عامين، وتمكن الجيش الفارسي من إخمادها عام ٤٨٤ ق.م، وتم تعيين أخمينس اخو الملك احشويرش حاكما على مصر[٥]. لقد تغيرت سياسة احشويرش تجاه مصر بعد هذه الثورة، إذ منع المساعدات المالية التي كان يمنحها دارا للمعابد المصرية، واخذ الستراب أخمينس يطبق سياسة الاضطهاد ضد المصريين[٦].كما أعيد استغلال محاجر وادي الحمامات، وصودرت الكثير من أملاك المعابد، ونعرف عن ازدياد استيطان الجاليات اليهودية في مصر في عهد احشويرش، ونقرأ في الوثائق المصرية عن وجودهم في الفنتين. وكانت هذه الجالية مقسمة إلى وحدات عسكرية برئاسية ضابط فارسي أو بابلي[٧].

في فلسطين نعرف من العهد القديم إن احشويرش قام باضطهاد اليهود هناك[٨]،إلا انه غير سياسته اتجاههم بناء على تأثير من أستير اليهودية[١].لكن لا

---

1) Ghirshman,Iran,P.190.

2)Openhheim,Xerxes,P.316.

(٣) صالح،الشرق الادنى القديم،ج١،ص٢٨٧.

(٤) زايد،مصر الخالدة،ص٩٤٨.

(٥) حسن،مصر القديمة،ج١٣،ص١٠٠؛ زايد،مصر القديمة،ص٩٤٨-٩٤٩؛ صالح،الشرق الادنى القديم،ج١،ص٢٨٧.

(٦) حسن،مصر القديمة،ج١٣،ص١٠٨.

(٧) زايد،مصر الخالدة،ص٩٤٩-٩٥٠.

(٨) أستير،٣: ١٢-١٣.

لا نقرأ عن ذلك إلا في العهد القديم المشكوك في معلوماته بهذا الشأن. كما نعرف إن سكان فلسطين لم يكونوا راغبين في وجود اليهود الذين أعيدوا إلى فلسطين، ومن بناء الهيكل فكتبوا شكوى إلى الملك الاخميني بذلك[٢].ونعرف إن العرب الرحل في هذه الفترة من خلال الكتابات اليونانية وإنهم كانوا تابعين للفرس، إذ أشار اسخيليوس عن وجود ضابط عربي في جيش احشويرش، كما أشار هيرودوت إلى العرب في جيش احشويرش[٣].

كان احشويرش أخر الملوك الأقوياء في السلالة الاخمينية، ومع ذلك فانه صرف حيويته في حربه مع بلاد اليونان، إلا انه اندحر في الموقعة الشهيرة سلاميس عام ٤٨٠ق.م، وحقق الاغريق ثاني أضخم انتصار شهده القرن الخامس قبل الميلاد على الإمبراطورية الفارسية العظيمة[٤]،وكانت سنوات حكمه الأخيرة قد قضاها في حياة الدعة والملذات، وبدأت السلالة الحاكمة تنهار في معنوياتها، فالواقع إن الإمبراطورية التي وضع أسسها كورش، وأعادها دارا الأول لم تكن قد عاشت أكثر من قرنين، وبدأت إمارات الانهيار تظهر في أواخر حكم احشويرش حيث ساد الانحطاط، والعنف، والاغتيالات، ومؤامرات نساء القصر[٥].وقد انتهت حياة احشويرش بمقتله نتيجة مؤامرة دبرها مدير القصر ورئيس الحرس الملكي اردوان اتهم ابنه الأكبر بقتل أبيه فحكم عليه بالإعدام واعدم[٦].ويعلل أرسطو سبب اغتياله بقوله إن رئيس الحرس الملكي ويسميه

---

(١) أستير،٧: ١-١٠؛٨: ١-١٧.

(٢) عزرا،٤: ٦.

(٣) فيليب حتي،تاريخ العرب،(بيروت:دار غندور للطباعة والنشر،١٩٧٤)،ص٧٥-٧٦؛منذر عبد الكريم البكر،دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام،(البصرة:دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٩٣)،ص٥٠.

4) Oman, A History Of Greece,P.217;Bengtson, The Greek and The Persians,P.56ff,sykes, History Of Persia,Vol:1,P.202-205;Huart, Ancient Persia,P.62;Steele, History Of Ancient Peoples,PP.132-133.

٥) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٤١٠.

٦) أبو مغلي،ايران،ص١٠٤.

ارتبانس قتل احشويرش عندما خشي أن يوشي به بشأن إعدامه لوزير احشويرش المدعو داريوس[1].

-عهد ارتحشَشتا (اردشير) الأول (٤٦٥-٤٢٤ ق.م).

وصل ارتحشَشتا الأول للحكم بعد مقتل احشويرش سنة ٤٦٥ ق.م، ولا نعرف شيء عن الظروف التي أحاطت بالإمبراطورية من الناحية الداخلية، ومن هو المسئول عن مقتل احشويرش؟ كما لا نعرف علاقة ارتحشَشتا الأول بالمؤامرة وموقفه منها؟، وربما كان لارتحشَشتا الأول ضلع بالمؤامرة بدليل ثورة أخيه عليه فيشتاسب مدعيا أحقيته بالعرش، لكنه هزم مرتين سنة ٤٦٢ ق.م وانتهى أمره[2]،وعلى اثر ذلك أقدم ارتحشَشتا الأول على قتل جميع إخوته[3].

ابرز الأحداث في عهد ارتحشَشتا الأول هو اندلاع الثورة المصرية الثالثة عام ٤٦٠ ق.م بقيادة رجل يدعى اناروس. وقد أسس اناروس مملكة في الأراضي المصرية امتدت من منطقة ماريا إلى فاروس وجعل مدينة مريوط مركزاً لقيادته التي كانت بعيده بعض الشيء عن الحاميات الفارسية، وطبقاً لنص مصري نعرف منه إن ثورة ثانية ضد الاخمينيين يقودها رجل يدعى اميرتايوس وكان مركزه في سايس، وقد تمكن اميرتايوس بفضل قواته التي قادها من دحر الجيش الفارسي، وقتل قائده واجبر القوات الفارسية على التراجع نحو منف، وأقدم على عقد تحالف مع أثينا ضد الاخمينيين. نجح الثوار من استعادة اغلب الحصون التي كانت بيد الفرس، كما أقدم اناروس من إحكام الحصار على منف التي سقطت بيده بعد معركة قتل إثناءها اخمينس الحاكم الاخميني[4].لم تكن

---

[1]) أرسطو، السياسات، ترجمة:اوغسطينس بربارة البولسي، (بيروت:بلا.مط، ١٩٥٧)، ص٢٩٢.

[2]) أبو مغلي، ايران، ص١٠٤.

[3]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص٤١٠؛باقر وآخرون، تاريخ إيران القديم، ص٧٠.

[4]) زايد، مصر الخالدة، ص٩٥٠-٩٥١؛صالح، الشرق الادنى القديم، ج١، ص٤٨٨؛عصفور، معالم تاريخ الشرق الادنى القديم، ص٢٣٢؛باقر وآخرون، تاريخ إيران القديم، ص٧٠.

الإدارة الفارسية غافلة عن تطور الأحداث في مصر، فسارع الأسطول الفينيقي المساند للقوات الاخمينية بقطع الطريق على السفن الاغريقية في النيل، وفرض الحصار عليها عام ٤٥٧ ق.م، وبعد حصار طويل اقتحم الفرس مواقع السفن الاغريقية عام ٤٥٥ ق.م، وسرعان ما تم سحق قوات اناروس، والقي القبض عليه وإعدامه. بيد إن اميرتايوس استمر في ثورته في منطقة البو في مستنقعات الدلتا. وأعاد تحالفه مع أثينا، إلا إن الأخيرة كانت تعاني من العديد من المشاكل، وفي عام ٤٤٩ ق.م عقدت مع الفرس معاهدة كالياس[١].

في فلسطين نعرف من خلال العهد القديم إن أهالي فلسطين كانوا رافضين للوجود اليهودي هناك والدعم الفارسي له، فأرسلوا شكوى بذلك للملك ارتحشستا[٢].ونتيجة لذلك أمر الملك الفارسي بإيقاف العمل في أورشليم حتى تصل أوامر من عنده، ويذكر العهد القديم إن العمل توقف حتى العام الثاني من عهد داريوس (الثاني)[٣].ومع ذلك فيعود العهد القديم ويذكر ان ارتحشستا الأول تبنى مشروعا بإعادة اليهود المسبيين بقيادة عزرا عام ٤٥٨ ق.م وأرسل أوامر بدعم الجالية اليهودية[٤].ومما تجدر الإشارة إليه ان أخبار العهد القديم متضاربة، فبينما نجد في الإصحاح الرابع من سفر عزرا ان ارتحشستا أمر بإيقاف العمل في أورشليم، نجده في الإصحاح السادس يقول ان العمل استمر طيلة عهد كورش، وداريوس ا(الأول)، وارتحشستا، وكمل العمل في ٣-آذار-٤١٨ ق.م، أي في السنة السادسة من عهد داريوس الثاني[٥].ويعتقد الأستاذ باقر ان بناء الهيكل تم عام ٥١٥ ق.م أي في عهد داريوس الأول[٦].إلا ان ذلك لا يمكن

---

[١]) حسن، مصر الخالدة، ج١٣، ص١١٢-١١٣؛ صالح، الشرق الادنى القديم، ج١، ص٢٨٨؛ برن، تاريخ اليونان، ص٢٦١؛ زايد، مصر الخالدة، ص٩٥١؛ بتري، مدخل الى تاريخ الاغريق، ص٣٢؛ عصفور، معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ،ص٢٣٢.

[٢]) عزرا، ٤: ٧-١٣.

[٣]) عزرا، ٤: ١٧-٢٤.

[٤]) عزرا، ٧: ١-٢٨.

[٥]) عزرا، ٦: ١٤-١٥.

[٦]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص٣٠٠.

إقراره، إذ يذكر عزرا ان العمل أنجز حسب أوامر كورش، وداريوس وارتحششتا. ومن الطبيعي ان يكون المقصود بهم كورش الكبير، وداريوس الأول، وارتحششتا الأول. ثم يقول ان البناء أنجز في ٣-آذار من السنة السادسة من حكم داريوس، فمن غير المعقول ان يتم انجاز الهيكل في عام ٥١٥ ق.م والعهد القديم يذكر ان إيقاف العمل في الهيكل تم في عهد ارتحششتا الأول. فالمنطقي ان العمل توقف في عهد ارتحششتا الأول ثم استؤنف في عهد دارا الثاني، ويعود العهد القديم ويذكر ان أورشليم حتى العام العشرين من حكم ارتحششتا أي عام ٤٤٥ ق.م كانت ما تزال مهدمة[١].ونعرف ان ارتحششتا أمر نحميا بالذهاب إلى أورشليم لإعادة بنائها[٢].ويذكر مكاريوس ان عزرا كان والياً على فلسطين حتى عام ٤٤٥ ق.م[٣]،وهذا يعني ان خروج نحميا هو نتيجة لاختفاء عزرا من مسرح الأحداث التاريخية، ولكن إذا كان سفر عزرا يذكر ان بناء أورشليم تم في السنة السادسة من حكم داريوس، إذا كيف يمكن ان نفسر تحركات عزرا ثم نحميا؟ يمكن القول بهذا الصدد ان عزرا خرج إلى أورشليم عام ٤٥٨ ق.م، الامر الذي أدى إلى سخط أهالي فلسطين فكتبوا إلى ارتحششتا يدعون إلى إيقاف العمل في الهيكل، وان الأحداث التي تخص هذه الفترة تغطي السنوات من (٤٥٨-٤٤٥)، ويمكن الاستنتاج أيضا ان نحميا حاول إقناع ارتحششتا الأول بمشروعه عام ٤٤٥ ق.م، ومن الإشارة التي تذكر ان العمل في أورشليم توقف في عهد ارتحششتا الأول ولم يعد البناء في المدينة إلا في السنة الثانية من عهد داريوس الثاني يمكن التوصل إلى حقيقة ان نحميا لم ينجح كل النجاح، وان العمل في أورشليم لم يستؤنف إلا في سنة ٤٢٢، وأكمل عام ٤١٨ ق.م. وقبل ختام الموضوع لابد من التحدث عن تحركات نحميا ابتداءً من عام ٤٤٥ ق.م، إذ نعرف ان الملك ارتحششتا الأول زوده بكتاب إلى ولاة عبر النهر ليسهل مهمته[٤].كما أعطى أمرا باستخدام الأخشاب التابعة للمخازن الملكية من اجل استكمال العمل في الهيكل وسور

---

١) نحميا،١: ٣.

٢) نحميا،٢: ١-٨.

٣) مكاريوس،تاريخ الاسرائيليين،ص٣٢.

٤) نحميا،٢: ٧.

المدنية[١]،غير ان وصول نحميا أثار سكان المدنية[٢].ويبدو ان اليهود لم يعبهوا بتهديدات القبائل هناك، فتألفت قوة بقيادة سنبلط الحوراني، وطوبيا العموني، ومعهم القبائل العربية، والعمونيون، والاشدوديون، من اجل إيقاف العمل في أسوار المدينة بالقوة[٣]،ومع ذلك فيخبرنا نحميا ان العمل استمر في الأسوار وأنجز خلال (٥٢) يوماً[٤].لا يمكن الأخذ بأخبار عزرا أو نحميا بشيء من الثقة، فالأخبار المتضاربة يجعل من الصعب التأكد من الحقائق بشكل مضبوط، وبشكل عام ان تحركات اليهود لم يكن مرغوب بها لدى القبائل العربية هناك. ولم يكن اليهود في فلسطين على وفاق تام في عهد ارتحشستا، فجماعة عزرا ونحميا نتيجة إصرارهم على بقاء العنصر اليهودي نقياً لم ترق إجراءاتهم ليهود السامرة الأمر الذي أدى إلى انفصال الفئتين، وقام يهود السامرة ببناء هيكلهم الخاص في جبل جرزيم عوضاً عن هيكل المعبد اليهودي عام ٤٣٢ ق.م[٥].

-عهد دارا الثاني (٤٢٤-٤٠٤ ق.م).

بعد وفاه ارتحشستا الأول سنة ٤٢٤ ق.م وصل للحكم احشويرش الثاني، إلا إننا لا نمتلك معلومات كافيه عن هذا الملك نظراً لقصر المدة التي حكم بها، إذ تولى العرش لمدة (٤٥) يوماً، وسرعان ما اغتاله أخوه سغديانس، ثم قام داريوس بن ارتحشستا بقتل سغديانس وتولى العرش باسم داريوس الثاني[٦].

الثاني[٦].

كان داريوس قبل اعتلائه العرش منفياً في بابل هو وزوجته بريزاد(بريستس)، التي كانت أخته في الوقت نفسه[٧].

---

[١] نحميا،٢: ٨.

[٢] نحميا،٢: ١٠.

[٣] نحميا،٤: ٧.

[٤] نحميا،٦: ١٥.

[٥] سامي سعيد الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،(بغداد:مطبعة علاء،١٩٧٩)،ص٢٤٠.

[٦] أبو مغلي،ايران،ص١٠٥.

[٧] باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ج١،ص٧١؛أبو مغلي،ايران،ص١٠٥.

أهم الأحداث في عهد دارا الثاني هي ثورة المصرية الرابعة، ففي عام ٤٢٠ ق.م عين دارا الثاني هيدارنس رئيساً للجيش في أسوان، وقد رقي إلى وظيفة محافظ للإقليم .ولما عاد الستراب ارسامس إلى العاصمة الفارسية عام ٤١٠.ق.م وجد هيدارنس الفرصة السانحة للثورة، وعاونه الكهنة المعبد، والجنود المصريون، وقام المصريون بهدم معبد اليهود هدماً تاماً، وكسروا حجارته واحرقوا البوابة وسقفه، واخذوا أثاثه الذهبي والفضي غنيمة لهم[1].في الوقت نفسه كانت الثورة المصرية التي اندلعت في عهد ارتحششتا الأول مازالت قائمة، ففي عام ٤١٠ق.م تمكن أمون حور الثاني(اميرتايوس).من إشعال نار الثورة في مصر، وامتد لهيبها إلى الصعيد عام ٤٠٥ق.م، وقد تمكن أمون حور بعد عام واحد من طرد الحاميات الفارسية، وإعلان استقلال مصر مكونا الأسرة الثامنة والعشرين من الأسر الحاكمة في مصر[2].ولكن هل توقيت ثورة أمون حور الثاني مع تمرد هيدارنس على السلطة الفارسية هو محض الصدفة المجردة أم ان هناك علاقة بين الاثنين؟ ومهما يكن من أمر فأن علاقة كل من هيدارنس بأمون حور الثاني مازالت مجهولة.

في فلسطين استؤنف العمل في الهيكل بأمر من دارا الثاني سنة ٤٢٢ق.م[3]،وأنجز بناءه في ٣أذار ٤١٨ق.م[4].وفي أسيا الصغرى ، ثار والي ليديا بيسوتنس، وكادت ثورته تحقق أهدافها لولا المرتزقة اليونانيين في جيشه الذين خذلوه نتيجة تقديم دارا الأموال لهم، فاضطر بيسوتنس إلى التسليم فعين دارا في مكانه تيسافرنيس[5].وان ولاية ليديا كانت جزء من المنطقة التي يحكمها كورش ابن دارا الثاني الأصغر، وكانت إدارته تشمل: ليديا، وفيريجيا الكبرى،

---

[1]) زايد،مصر الخالدة،ص٩٥١.

[2]) صالح،الشرق الادنى القديم،ج١،ص٢٨٩؛يذكر الأستاذ زايد ان الثورة المصرية اندلعت عام ٤٠٥ قبل الميلاد.انظر:زايد،مصر الخالدة،ص٩٥٣.

[3]) عزرا،٤: ٢٤.

[4]) عزرا،٦: ١٥.

[5]) أبو مغلي،ايران،ص١٠٥.

وكبدوكيا، ومركز إدارته هو سهل كاستولس[1].ونعرف انه خلال الحروب البيلوبونيزية عقدت فارس معاهده مع إسبارطة عام ٤١٢ ق.م، اعترفت بها الأخيرة بحق فارس في استرجاع الأراضي التي تسيطر عليها أثينا في أسيا الصغرى، والجزر الأيونية، وتعهدت فارس بتزويد أسطول إسبارطة بما يحتاجه خلال عملياته العسكرية في البحار ضد أثينا. وبعد هزيمة أثينا استرجعت فارس ممتلكاتها المفقودة عدا أبيدوس التي احتفظت بها إسبارطة لموقعها الاستراتيجي[٢].

عم الفساد الإداري، والمؤامرات في عهد دارا الثاني، وبذرت الأموال الفارسية من اجل التدخل في الحروب الأثينية-الإسبارطية، وعمت الفوضى الولايات الفارسية، ولاسيما بلاد ليديا ومصر، ونتيجة للتدخل الفارسي هزمت أثينا أمام إسبارطة[٣].كما أخذت هيبة الحكم تتلاشى وانتهى عهد دارا الثاني بوفاته في بابل عام ٤٠٤ ق.م، والاضطرابات مازالت مشتعلة في أنحاء الإمبراطورية[٤].

-عهد ارتحشتا الثاني (٤٠٤ – ٣٥٩ ق.م).

خلف دارا الثاني ابنه ارتحشتا الثاني وقد حكم فترة طويلة امتدت زهاء نصف قرن واجه خلالها العديد من المشاكل وكانت الإمبراطورية في طريقها للانحلال[٥].

ان أولى المشاكل التي واجهها ارتحشتا الثاني هو خطر تمرد أخيه كورش الصغير الذي ذكرنا انه كان حاكما لأسيا الصغرى في عهد أبيه، ويرى الأستاذ باقر ان كورش حاول اغتيال أخيه ارتحشتا الثاني في يوم تتويجه في

---

[1]) Xenophon, The Persian Expedition,P.17,53.

[٢]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٧٨.

[٣]) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٤١١.

[٤]) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٧١.

[٥]) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٥٨١.

معبد بزركادة[١].إلا ان زينفون يذكر ان ارتحشـتا اعتقل كورش بعد ان اتهمه بمحاولـة اغتيـال، وكان تيسـافرنيس هـو المحـرض على اعتقـال كـورش[٢].وقـد اعتقل ارتحشـتا أخيه بتهمة التآمر عليه لولا تدخل أمه برسيتس التي تمكنت من إقناع الملك بالعفو عن أخيه، وإعادته إلى سترابية أسيا الصغرى. كان كورش يسعى للاستحواذ على السلطة وكانت بريستس تقوم بإسناده رغبه منها في إيصاله للحكم، وما ان عاد كورش إلى ولاية أسيا الصغرى حتى اخذ يعد العدة لإعلان العصيان مدعيا بأحقيته في الحكم، واستخدام عشرة آلاف مرتزق اغريقي سار بهم من سارديس واتجه نحو الجنوب الشرقي إلى أعالي نهر مياندر(يوك مندرس في أسيا الصغرى) حيث التحقت به في فيريجيا جيوش قائده الاغريقي مينون من تساليا. وفي سيلانياي التحقت به جيش قائد اغريقي أخر (كيلرخوس).وسار الجميع إلى بيسديا ثم شمالاً إلى بلتاي وكيرامون اكورا ثم شرقاً إلى مدينة سهل كايستر. وسلمته خلال رحلته الملكة ايبياكسا زوجة سينيسيس الرابع ملك كليكيا أموالا طائلة سلم جزء منها إلى جنوده، ثم عرج إلى قونية وليكاونيا وتيانا. أما مينون فقد سار مع قواته بطريق أخر، واصطدم بقوات سينيسيس الذي كان مخلصا لارتحشـتا، وربما خطط معه لضرب جيش كورش الصغير، ومنعه من عبور جبال طوروس، وتمكن مينون من دحرها .وعبرت جيوش كورش منطقة طوروس بسهولة، والتفت بعدها بوحدات مينون، وأطبق الجميع على مدينة وقصر ملك كيليكية ونهبوها، وعقد سينيسيس اتفاقية مع كورش تعهد بموجبها بمده بالمال والرجال. ثم سار كورش بجيوشه خلال سورية، فالعراق على طول الفرات سنة ٤٠١ ق.م، ووصل إلى موضع كوناكسا التي جرت بها معركة أسفرت عن مقتل كورش، وتراجع القوات اليونانية عن طريق دجلة، وشمال العراق ووصلوا إلى البحر الأسود[٣].

أثناء الحرب الأهلية التي اندلعت بين الأخوين ارتحشـتا وكورش، أعلنت المدن الأيونية في أسيا الصغرى الثورة ضد الحاكم الفارسي تيسافرنيس،

---

[١]) المصدر نفسه،ج٢،ص٤١٢.

[2]) Xenophon,The Persian Expedition,P.17.

[3]) Ibid,P.17-51.

غير انه هاجم كايم التي طلبت العون من إسبارطة، وفعلاً أرسلت إسبارطة جيشا إلى طروادة الذي عين عليه الحاكم الفارسي فارنابازوس قائداً محليا اسمه زينس من أهالي داردانوس، وعند وفاته خلفته زوجته مانيا التي أقنعت الحاكم الفارسي بقدرتها على إدارة المقاطعة بكل حزم وكفاءة، وراحت هذه ضحية حيث قتلها وابنها وزوج ابنتها، ميدياس الذي رفض فارنابازوس الاعتراف به، وارجع له ما أرسله إليه من هدايا. وبسط الجيش الإسبارطي المتقدم سيطرته على طروادة، وأيده ميدياس ثم على اتارينوس، وتقدم إلى كاريا، وهنا عقدت الهدنة بين إسبارطة وفارس[1]. وفي عام ٣٩٥ق.م شنت إسبارطة بقيادة ملكها اغيسيلوس الحرب على آسيا الصغرى ضد الحاكم للفارسي تسيافرنيس، ودحر قواته في باكتولوس قرب ساردیس، وعين الملك ارتحششتا ثيثروستيس كحاكم جديد الذي قدم إلى إسبارطة شروطاً للصالح تنص على اعتراف فارس بالحاكم الذاتي للمدن الاغريقية في آسيا الصغرى، وان يدفعوا الجزية التي كانوا يقدمونها بالأصل فقط .وطلب اغيسيلوس هدنة أمدها ستة أشهر لاستشارة حكومته حول الشروط، ويظهر ان حكومة إسبارطة لم توافق بالشروط لان القتال استمر، وتقدم اغيسيلوس في فيريجيا، وأيده اوتيس أمير بافلاغونيا، ونبيل فارس يدعى سبيثريداتس أقنعه الزعماء الإسبارطيون على الثورة ضد فارس، ويبدو ان انشقاقاً تم بين الحلفاء أدى إلى انفصال اغسيلوس عن اوتيس، وسبيثريداتيس، بسبب الغنائم، وكانت القوات الإسبارطية قد وصلت مدينة داسكيليوان، إلا ان صلحاً وقع بين حاكمها فارنابازوس وملك إسبارطة ،بيد ان تعاون فارنابازوس لاحقا مع كونون الأثيني أدى إلى طرد الحاميات الإسبارطية في آسيا الصغرى، وعادت الأخيرة تحت السيادة الفارسية. ولكن في عام ٣٩٢ ق.م هاجمت إسبارطة بقيادة شيبرون، آسيا الصغرى، وحصل على تأييد مدينة افسوس، ومغنيسيا، وبراييني، لها وخسرت بذلك أثينا ممتلكاتها في آسيا الصغرى حتى عام ٣٨٩ ق.م عندما قامت أثينا يقودها ثراسيبولس بإعادة سيطرتها على البوسفور، وبيزنطة، وخالقيدون، وكلازوميناي. غير ان اتفاق

---

[1]) الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم ،ص٣٧٩.

السلام الذي عقد عام ٣٨٧ق.م بين الأطراف المتصارعة صارت بموجبه جميع مدن آسيا الصغرى الأيونية، وجزرها تابعة إلى فارس، وتتمتع بالحكم الذاتي[١].أما في مصر فقد كان ارتحشتا الثاني يسعى لأعادتها إلى حظيرة الإمبراطورية لان انفصال الولاية اضر كثيراً بواردات الدولة الاخمينية من الحبوب[٢].واستغل الاخمينيون اضطراب الوضع في مصر نتيجة لتغير نظام الحكم بقيادة السلالة التاسعة والعشرين، وقاموا بناءً على إشارة زنيفون بتحشيد قوات كبيره في ولاية فينقيا التي من دون شك هدفها مصر[٣].في الوقت نفسه كانت سوبد في شرق الدلتا ما تزال بيد الاخمينيين، فتقدم الفرعون الجديد اخوريس نحوها، وتمكن من دحر القوات الفارسية بعد سنوات حرب استمرت من (٣٨٥-٣٨٢ ق.م)، أعقبها انسحاب القوات الفارسية[٤].وتشير الدلائل على امتداد النفوذ المصري في عهد هذا الفرعون إلى فلسطين وجنوبي فينيقية[٥]، إلا ان ذلك لم يستمر طويلاً نتيجة اضطراب الأوضاع في داخل مصر[٦].

-عهد ارتحشتا الثالث(٣٥٩-٣٣٨ق.م).

خلف ارتحشتا الثاني في الحكم ابنه ارتحشتا الثالث الذي اشتهر بالقسوة والشدة اتجاه رعاياه، وأول عمل قام به هو قتل جميع إخوته[٧].وقد كانت الأوضاع داخل الدولة الاخمينية في عهد ارتحشتا الثالث في حاله يرثى لها، إذ ان الفساد الإداري الذي بدأ يدب في أوصال الدولة منذ عهد احشويرش

---

[١]) المصدر نفسه،ص٣٧٩-٣٨٠.

[٢]) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٧٣.

[٣]) زايد،مصر الخالدة،ص٩٥٥.

[٤]) المصدر نفسه،ص٩٦٥.

[٥]) المصدر نفسه،ص٩٥٦.

[٦]) عصفور،معالم تاريخ الشرق الادنى القديم،ص٢٣٤-٢٣٥.

[٧]) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ص٥٨١؛ج٢،ص٤١٥؛الأحمد وأحمد،تاريخ الشرق القديم،ص٣٧٦.

الأول، أدى إلى تدهور الإدارة، وكذلك فإن كثرة الثورات في الولايات لاسيما مصر قد أنهك الدولة، ولكن يبدو ان عهد ارتحشِشتا الذي كان يمثل بداية الطريق نحو استعادة الدولة الاخمينية زمام الأمور، غير ان الوجه الآخر للوضع كان يمثل صحوة الموت بالنسبة للإمبراطورية .

اخذ ارتحشِشتا الثالث يستعد من اجل إعادة السيطرة على مصر، وجهز حمله عام ٣٥٠ ق.م إلا إنها فشلت[١].فما كان من ارتحشِشتا الثالث إلا ان جهز حمله ثانية معظمها من قوات المرتزقة الاغريق، وتولى قيادتها بنفسه. وقد وصلت القوات الاخمينية مصر، وبعد معركة عنيفة تم اختراق دفاعات مدينة بلوزيوم، وهرب الملك المصري نحو أثيوبيا، وتم استعادة مصر عام ٣٤٣ ق.م[٢].وباحتلال الملك ألاخميني لولاية مصر استطاع ارتحشِشتا ان يعيد للإمبراطورية الاخمينية هيبتها ومكانتها بين دول المنطقة، واثبت بذلك مقدرته العالية في الحكم. ومن ابرز نتائج انتصاره في مصر وجود صدى عميق في الولايات الاخمينية، اذ أخذت تلك الولايات تعود للطاعة ماعدا ولاية البنجاب، وولايات بحر قزوين التي أفلحت في المحافظة على استقلالها[٣].أما سوريا فقد شهدت ازدهاراً خلال هذه الفترة، إذ ازدهرت مدينة دمشق وكانت من أهم المدن السورية. كما ازدهرت المدن الفينيقية مثل: أرواد، وجبيل، وصيدا، وصور، وقد سمح لكل منها بالاستقلال الذاتي في دولتها الصغيرة. وقد اتحدت هذه الدويلات في القرن الرابع قبل الميلاد، وكونت اتحاداً جعل مركزها في مدينة جديدة هي طرابلس التي يعني اسمها المدن الثلاث، ومنشأ هذه التسمية ان كلا من المدن الثلاث: صور، وصيدا، وأرواد، كان لها مستوطن يمثلها في طرابلس قبل ان يتكون هذا الاتحاد الجديد، واتحدت أجزاء المدينة في السنة الأولى من حكم ارتحشِشتا الثالث فأصبحت عاصمة لمملكة فينيقية موحدة، اذ يجتمع فيها المجلس المشترك في كل عام، ويشترك فيه نحو ٣٠٠ ممثل[٤].إلا ان ذلك الازدهار

---

[١]) زايد،مصر الخالدة،ص٩٦٣؛صالح،الشرق الادنى القديم،ج١،ص٢٩٤.

[٢]) زايد،مصر الخالدة،ص٩٦٥-٩٦٦.

[٣]) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٧٥؛أبو مغلي،ايران،ص١٠٨.

[٤]) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٠٩.

لم يمنع المدن الفينيقية من الثورة بسبب تعسف الموظفين الفرس، غير ان ارتحششتا اعد حمله كبرى من بابل عام ٣٥١ ق.م نحو صيدا التي دمرت تدميراً كاملاً، فأعلنت المدن الفينيقية الاستسلام[١]. لم يستمر عهد ارتحششتا طويلاً، إذ سرعان ما اغتيل على يد القائد باكوس عام ٣٣٨ق.م، فكان ذلك إيذاناً بانهيار الإمبراطورية الاخمينية، ووصل ارسيس الابن الصغير للملك ارتحششتا الثالث للحكم، واعتلى العرش بتدبير من باكوس، الذي قام بسم والده، ولا نعرف الكثير من الأخبار عن هذا الملك الذي حكم ثلاث سنوات، إذ اغتيل من قبل باكوس في الأسلوب نفسه الذي استخدمه مع والده. وان مقتل ارسيس فسح المجال للملك دارا الثالث الذي لا يعود إلى البيت الحاكم مباشرة بان يعتلي العرش من بعد ارسيس. والحقيقة لا توجد لدينا معلومات كافية عن فترة حكم هذا الملك، ولكننا نستطيع ان نتصور بأنه خاضعاً لسيطرة باكوس، بيد انه سرعان ما تخلص من الأخير[٢].ولكن لا نعلم الكثير عن شؤون الولايات الاخمينية في هذه الفترة، ومن المؤكد ان الأوضاع في مصر كانت سيئة كما يرد في بردية تعود لعهد البطالسة باسم أخبار الأيام الديموطيقية. اذ اندلعت الثورة في الدلتا بقيادة أحد أمرائها ويدعى خباش أو خبا باش اعترف به كهنة منف ملكاً، ووجد في السرابيوم لوحه مؤرخة بالسنة الثانية من حكمه، كما وجدت باسمه بعض الآثار الأخرى من بينها تمثال يعرف باسم تمثال الوالي[٣].أما في فلسطين فيذكر المؤرخ جوزيفوس (٣٨-١٠٠م) ان بدء انفصال السامريين عن اليهود عندما طرد الكاهن منشي من القدس لزواجه من ابنه سنبلاط حاكم السامرة، ورفضه طلاقها، فحصل سنبلاط على موافقة دارا لبناء معبد على جبل جرزيم قرب نابلس نفذه له بعد ذلك الاسكندر المقدوني بعد احتلاله فلسطين[٤].لقد

---

[١]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج٢،ص٣١٠؛زايد، مصر الخالدة ،ص٩٦٣؛عفيف بطرس،موسوعة المدن والقرى اللبنانية،(بيروت:مؤسسة الأرز،١٩٧٢)،ج١،ص٢٩-٣٠.

[٢]) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٧٥؛عصفور، ،ص٢٣٥.

[٣]) عصفور، معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ،ص٢٣٦.

[٤]) الأحمد،فلسطين حتى التحرير العربي،ص٥٩

أخذت علامات الانهيار تظهر ولم يستطع دار الثالث من إنقاذ الإمبراطورية التي تهاوت بسرعة أمام اكتساح الاسكندر لولايات الإمبراطورية عام ٣٣١ ق.م.

الفصل الخامس

أوضاع بلاد وادي الرافدين السياسية والإدارية في العصر الاخميني

٥٣٩-٣٣١ق.م

-احتلال بابل عام ٥٣٩ ق.م.

لم يكن سقوط بابل عام ٥٣٩ ق.م من الأمور التي لا تثير انتباه الباحث فقط، وإنما تثير فيه جملة تساؤلات، فهذه المدينة الحصينة ذات القوة العسكرية العظيمة، والإمبراطورية الكبيرة تسقط بصورة مفاجئة ! من غير مقدمات، فبابل التي بنى استحكاماتها ملوكها الأقوياء من الصعب على أية قوة عسكرية اقتحامها الأبعد فترة حصار طويلة. وإذا كانت أشور قد سقطت قبل أعوام من انهيار بابل فلابد للمرء إن يذكر إن حصار نينوى استمر ثلاثة أشهر متواصلة لعبت العوامل الطبيعية دورها في انهيار المدينة. إذا كيف تكون بابل قد سقطت ؟ وما هي العوامل التي أدت إلى سقوطها ؟ وما أهمية ذلك في التاريخ؟.

إن دراسة الإحداث التي قادت إلى احتلال بابل عام ٥٣٩ ق.م نجد إلى هذا الانهيار لم يكن نتيجة الغزو الخارجي المحض، ولا نتيجة عبقرية كورش بحد ذاته كما يصفه الأستاذ برن (بالنابغة)[١].إنما كان نتيجة لتراكمات عدة أضعفت البنية الداخلية للبلاد وقادتها إلى حافة الانهيار، وهذا ما أكد عليه الأستاذ توينبي بأن تفسير انهيار الحضارة بغزو خارجي هو ليس تفسيراً منطقياً، وان الحضارة تنهار قبل أن تطأها أقدام الغزاة[٢]. إذن مما هو سبب انهيار بابل ؟ وما هي هذه المقدمات ؟

١.العوامل الاقتصادية.

-المعبد.

برز المعبد خلال العصر البابلي الحديث[٣]،مرة ثانية كمؤسسة اقتصادية كبيرة لها أثرها الفاعل في المجتمع، يمتلك المقاطعات الزراعية

---

[١]) اندرو روبرت برن،تاريخ اليونان،ترجمة:محمد توفيق حسين،(بغداد:مطبعة التعليم العالي،١٩٨٩)،ص١٤٣.

[٢]) احمد محمد صبحي،في فلسفة التاريخ،(الإسكندرية:مؤسسة الثقافية الجامعية،بلا.ت)،ص٢٧١ .

[٣]لعب المعبد دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية في بلاد وادي الرافدين بالرغم من تقلص نفوذه في ظل الحكومات القوية لاسيما في العصرين البابلي القديم، والآشوري الحديث، ولكن في

الضخمة ويمارس تجارة واسعة[1].إذ لم تقتصر أهمية المعبد في العهد البابلي الحديث على الأمور الدينية بل شملت كذلك الأمور الاقتصادية للمجتمع البابلي[2] .وقد ازدهرت المعابد في هذه الفترة وازداد ثرائها، حيث تمكن الكهنة من توحيد أنفسهم اجتماعيا واقتصاديا، ليكونوا شريحة تكاد تكون مستقلة عن الحكومة المركزية[3].

كانت سلطة الملك المركزية في العهد البابلي الحديث اقل بكثير من سلطة المعبد، وان تاريخ بلاد بابل خلال السنوات التي أعقبت القرن السابع كان في بعض أوجهه صراعا للاستحواذ على السلطة بين السلالة الحاكمة ومؤسسات المعبد انتهى أخيرا بانتصار مؤسسات المعبد[4].

تشير الوثائق الاقتصادية الكثيرة التي وجدت في معابد هذا العصر مثل منطقة المعابد في الوركاء إلى ازدياد أملاك المعبد واتساع نشاطه التجاري في داخل البلاد وخارجها وأصبح معبد أي-أننا مركزا اقتصاديا واجتماعيا مستقلا عن الحكومة تقريبا[5] .إذ ترينا أرشيفات المعبد انه كان يستحوذ على قطاعات كبيرة تؤجر بعضها للمزا عين ويتولى رجاله الإشراف على بقيتها[6].وغدا كأنه

العصر البابلي الحديث عاد المعبد ليمارس دوره ثانية بشكل عدة بعض الباحثين شبيها بعصر فجر السلالات. انظر: حياة إبراهيم محمد، نبوخذنصر الثاني ٦٠٤-٥٦٢ ق.م،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣)،ص٩٠.

(١) سامي سعيد الأحمد،المعتقدات الدينية في العراق القديم،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٨)،ص ١٨.

(٢) طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٦)،ج١،ص٥٥٨ .

(٣) كريستوفر لو كاس،حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم،ترجمة:يوسف عبد المسيح ثروة،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٠)،ص٨٤ .

٤) هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان إبراهيم،(بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٧٩)،ص٣٠٠.

(٥) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج١،ص٥٥٩.

(٦) رو، جورج رو،العراق القديم،ترجمة:حسين علوان حسين،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٤)،ص٥٣٥ .

يمتلك معظم أراضي بابل إذ امتدت أملاكه من مدينة أور، في الجنوب إلى مشارف مدينة بابل في الشمال(١).

كان المعبد يستحوذ على أراضي واسعة عن طريق الشراء أو مصادرتها تسوية لالتزامات مالية أو كهدايا خاصة أو منح ملكية، وقد استحوذ المعبد على مزيد من الأملاك عن طريق تنازل بعض مالكي الأراضي عن أراضيهم مقابل حصولهم على الحماية والأمن وإعفائهم من بعض الالتزامات(٢).وكان يقف على رأس الجهاز الإداري للمعبد ثلاثة إداريين هم: الشتاممو(Šatammu)،(وهو لقب لعله يعني حارس المنطقة) والـ(qipu)(الناظر) والكاتب. وان جميع النشاطات المتنوعة التي كانت الشتاممو ورفاقه مسئولين عنها يمكن إيجازها بأنها شملت: تأجير الأراضي، ومقاطعات المعبد الواسعة، وتحديد الحقوق والواجبات ذات العلاقة بالقنوات، والإشراف العام على تخمين وجمع ونقل واستخدام وتوزيع إنتاج الأراضي والقنوات، وحفظ السجلات والحسابات المتعلقة بذلك. فضلا عن تنظيم علاقات الموظفين والمستخدمين، والأشراف على النشاطات التي لها علاقة بالعبادة (٣).

كانت البضائع التي تنتج في مقاطعات المعبد تجلب أولا إلى المستودعات في الوركاء ومهما كانت وجهتها النهائية. وكانت شبكة القنوات قد جعلت من النقل أمرا سهلا لأي صنف من أصناف البضائع، وهناك رسالة تعطي تعليمات لإرسال شحنة من الأغنام حيث يأمر الكاتب ولعله شتاممو معبد إي –أننا:" إذا كانت الأرض ملائمة دعمهم يأتون على الأقدام وألا فدعهم يأتون بالسفينة "(٤).وربما

1(H.W.F.Saggs,"Two Administrative Officials of Erech in the Sixth Century B.C" Sumer , XV ,1959 ,p.29 .

(٢) حياة إبراهيم، نبوخذنصر الثاني ،ص٩١ .

3) Saggs , Two Administrative Officials of Erech,p.29.

ساكز عظمة بابل،ص٣٠١-٣٠٢؛رو، العراق القديم ،ص٥٣٥؛هديب حياوي عبد الكريم غزالة،الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي لملك نبونائيد في قيادتها،(رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد كلية الآداب، ١٩٨٩)،ص١١١ .

(٤)ساكز، عظمة بابل ،ص٣٠٢.

كانت السفن المستخدمة لذلك ضمن ممتلكات المعبد في معظم الحالات ولو إنها كانت تستأجر بالتأكيد من أصحاب السفن أحيانا[١].

أصبح رجال الدين مزارعين، وأصحاب مشاغل، وصيارفة على نطاق واسع، كما اصحبوا كتاب عقود، يوقعون ويشهدون على صحة العقود المبرمة، ويكتبون الوصايا، ويستمعون إلى الدعاوى القانونية، ويصدرون الأحكام عليها، ويترأسون المرافعات، ويحتفظون بالسجلات الرسمية، ويسجلون الصفقات التجارية العامة والخاصة[٢]،وهناك نص من مدينة نفر يصور مدى الثراء الكبير الذي بلغته المعابد، ولو انه يعود لبداية العصر البابلي الحديث (تاريخ النص في حدود ٦٣٠ ق.م)،وهو عبارة عن قرض من المعبد مقداره (٣٠) طالنت من الفضة، وهو مبلغ كبير جدا[٣].

قام المعبد باستئجار العمال والعبيد، وحرث الحقول، وحصد وكري الأنهار وحفرها، في الأراضي الزراعية العائدة له[٤]،كما كان للمعبد ضريبة يفرضها تعرف بالكارو (Karu) تعطى مقابل مرور السفن عبر القنوات التابعة له[٥]،كما كان للمعبد كما يبدو امتيازا خاصا لعبور القنوات الملكية، وكان بإمكان الشتاممو تزويد السفينة بإشارة تدعى خوتارو (hutaru) التي لا نعرف طبيعتها بالضبط، تحصل السفينة بموجبها حق العبور الحر دون رسوم كما يتبين من الرسالة التالية: "رسالة أدنا وشمش-اريبا إلى الشتاممو ، سيدنا إننا نصلي يوميا إلى بيل، ونابو، وسيدة أوروك، ونانا من اجل حياة ونفس وسعادة وطول أيام سيدنا. جلبنا (٢٠٠) كور من التمر من القنال المسمى نان-ابلي، وقد أوقفنا من قبل سيد الميناء من بيت-كيسر لتأتي رسالة خطية من سيدي إلى نونا (nuna) سيد الميناء ليسمح لنا بعبور الميناء ...انه يتحقق علينا كل يوم نصف شاقل أجرة السفينة، وشاقل من الفضة أجرة الرجال المؤجرين، ليعرف سيدنا

---

[١] المصدر نفسه،ص٣٠٢-٣٠٣.

[٢] لوكاس،حضارة الرقم الطينية،ص٨٤-٨٥ .

[٣] الأحمد،المعتقدات الدينية،ص١٨.

[٤] رو،العراق القديم،ص٥٣٥؛باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٥٥٩.

[٥] حياة إبراهيم، نبوخذنصر الثاني ،ص٩١ .

إننا حجزنا في الميناء منذ العشرين على أن يأتي مع رسالة سيدي خوتارو وتبقى على السفينة"[١].

كان معبد إي-أننا مركزا تجاريا نشطا، وكان جزء كبيرا من البضائع التي تجمع هناك وتذهب ثانية إلى أجزاء أخرى من بلاد بابل وحتى إلى خارج البلاد، وهناك بعض الرسائل توفر عدد من الإشارات إلى التجارة حيث كانت تستبدل منتجات ومقاطعات المعبد بصورة رئيسة ببضائع تجارية: كالفخار، والشب، والسمسم، والمعادن، والخشب والقماش[٢].وكانت الموارد المالية للمعبد تشمل: غلة الأرض، وأرباح التجارة، وريع الحقول والبيوت، والضرائب الدينية المفروضة على المواطنين فضلا عن قسم من النذور والقرابين، التي كان تقديمها مسالة طواعية من الناحية النظرية وان كانت إلزامية عمليا[٣].

أدت الاحتكارات المعبدية للاقتصاد إلى تضاؤل واردات الملك وحكومته إلى درجة لا تتماشى مع متطلبات الدولة على الإنفاق على المشاريع وعلى رأسها نفقات الجيش الذي أصبح منذ عهد نبوخذنصر جيشا نظاميا قائما يتطلب الإنفاق لأعالته وتجهيزه، فلم تسد الثروة الزراعية تلك الحاجة بالنظر إلى مزاحمة المعبد في امتلاك الأراضي الزراعية الواسعة، ولهذا فقد أدت الاحتكارات المعبدية للشؤون الاقتصادية إلى أزمة حادة في البلاد[٤].

كان المعبد واحتكاراته من أولى العوامل التي مهدت على المدى البعيد إلى أضعاف البنية الداخلية للسلطة الحاكمة، وأدت إلى تضارب مصالح الملك من جهة، مع مصالح المعبد من جهة ثانية الأمر الذي حتم على الملك محاولة إصلاح الإدارة، والتدخل في شؤون المعبد مما اكسب ذلك بعدا جديدا تحول إلى نزاع سافر بين الملك والكهنة.

---

[١] ساكز،عظمة بابل،ص٣٠٣ .

[٢] المصدر نفسه،ص٣٠٣؛انظر كذلك،ص٣٣٤ .

[٣] رو،العراق القديم،ص٥٣٦.

[٤] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٥٦٠؛باقر وآخرون،تاريخ العراق القديم،ج١،ص٢٥٣.

-سوء ألا وضاع الاقتصادية والاجتماعية.

كان للمعبد أثره الاقتصادي في داخل بلاد بابل الذي اتسم بالاحتكارات للأمور الاقتصادية، رافق ذلك عوامل عديدة أدت إلى حدوث الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عانت منها بلاد بابل قبل احتلالها. فالمنافسة الاقتصادية أدت إلى إغلاق طرق تجارية قديمة بوجه بابل، وأدى إلى ارتفاع الأسعار نتيجة سوء الوضع الداخلي وبالتالي نقل هذا الوضع تأثيره على المواطن البابلي مما ترتب عليه أسوء النتائج كما سنرى .

كان الموقع الجغرافي للعراق جعله منذ القدم في حالة اتصال تجاري مباشر حيث كان ملتقى الطرق التجاري للاتصال بين البحر المتوسط والمحيط الهندي والشرق الأقصى والهند، بالطرق البرية ثم عن طريق الخليج العربي إلى شبه القارة الهندية [١]،ولعبت هذه الطرق أثرها البالغ في ازدهار التجارة العراقة القديمة وازدهار الحضارة، فضلا عن أراضيه الخصبة الصالحة للزراعة، ولكن يمكن التساؤل ما الذي حدث في نهاية قرن السابع قبل الميلاد وأوائل القرن السادس قبل الميلاد، والذي نقل بابل إلى حالة تدهور ؟

كان ملوك بابل لاسيما نبوخذنصر قد أنفقوا مبالغ طائلة على إعادة بناء العاصمة بابل وغيرها من المدن، ولم تكن النشاطات التنقيبية لنابونائيد نفسها اقل تكلفة من سابقتها[٢]، كما إن بلاد بابل كانت تعمل منذ عهد نبوخذنصر على أيجاد جيش جاهز للمعارك يبقى عدة سنوات أحيانا كما هو الحال في حصار صور الذي استمر دون نجاح ثلاثة عشر سنة [٣]، إلا ان ذلك كان أمراً اعتياديا بالنسبة لملوك العراق القديم، فالأشوريين في عهدهم الإمبراطوري شغلوا معظم سنوات حكمهم في منجزاتهم العسكرية، والمشاريع العمرانية، وان هذين الأمرين لم يؤديا إلى انهيار أشور فجأة كما حدث في بابل؟.

---

[١] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٢٢ .

[٢] المعروف ان الملك نبونائيد كان مولعا بالآثار القديمة وأخبار الماضي واستخراج النصوص القديمة المطمورة مما جعل الباحثين ينعتونه بأول آثاري.انظر:المصدر نفسه،ج١،ص٥٥٣.

[٣] ساكز،عظمة بابل،ص٣٠٦؛رو،العراق القديم،ص٥٣٧ .

ان هذه العوامل ممكن ان تؤدي إلى انهيار بابل إذا كانت الأوضاع خارج بلاد بابل سيئة.

كان لأثر المعبد الذي ذكرناه سابقا سبب في قلة الواردات الحكومية من جانب، وكانت بابل تعاني من أزمة اقتصادية حادة من جراء تغير الخارطة السياسية المحيطة بها، وتأثيرها على الطرق التجارية. فالميديين الذين ظهروا في بلاد إيران، وبعد بروز دولتهم في أعقاب سقوط الإمبراطورية الأشورية، حرمت بلاد بابل من موارد تجارية مهمة من الأقاليم الشمالية الشرقية، ثم الفرس الاخمينين الذين كانت قوتهم تنمو بسرعة قد سيطروا على الطرق التجارية إلى شمال والشمال الشرقي بابل[1].من جانب أخر كانت الأقاليم الغربية رغم خضوعها لبابل مصدر أعباء على المملكة، فعلى الرغم من بقاء سورية وفلسطين بأيدي البابليين إلا ان التمردات القائمة باستمرار فيها جعلت تلك البقاع البعيدة مصدرا للأعباء الثقيلة أكثر من كونها مصدرا للعون والرفاهية. ومما زاد من تردي الأمور فقدان المدن الفينيقية الكثير من مقومات رخائها وثروتها بعد ان أصبح القرن السادس قبل الميلاد العصر الذهبي للتوسع الاستيطان والبحري للإغريق، مما أدى إلى انتقال تمركز الموانئ التجارية الرئيسية لشرق المتوسط من الساحل اللبناني إلى الموانئ اليونانية، والأيونية، والليدية، والى كيلكيا ومصر[2].ان كل هذه الأسباب الاقتصادية سواء الداخلية منها والخارجية أدت إلى حدوث حالة من الركود الاقتصادي، والتضخم المالي، لعدم قدرة الموارد الزراعية على سد نفقات الدولة المتزايدة والتي تتطلب الموازنة بين الواردات والمصروفات، وان تضخم الإنفاق، وشحة الموارد المالية، للملكة أدى إلى استنزاف الخزينة الملكية وهذا يعلل لنا الازدياد الحاصل في أسعار الأراضي والسلع المختلفة[3]،وعلى ضوء ذلك يمكن تفسير الازدياد في الأسعار ما بين بداية العهد البابلي الحديث ونهايته ارتفاعا فاحشا، ويمكن تتبع ذلك في الوثائق الاقتصادية الكثيرة التي جاءتنا من هذا العهد مثل: سجلات البيع، والشراء،

---

[1] ساكز، المصدر نفسه، ص٣٠٦؛باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج١،ص٥٦٠ .

[2] رو، العراق القديم، ص٥٣٧-٥٣٨.

[3] رو، العراق القديم، ص٥٣٨ ؛غزالة، الدولة البابلية الحديثة ،ص١٣٣.

والأجـور، والقـروض، كمـا ارتفعـت أسـعار المـواد الغذائيـة، والحاجـات اليوميـة الأخرى، ويصعب التأكد هل واكبت زيادة الأسعار ارتفاع الأجور على ان انطباع العام إنها لم تماشيها في الارتفاع[١].إذ تكشف لنا صفقات البيع والإيجار عن زيادة الأسعار، فالأمة التي كانت تكلف (٤٠شاقلا) من الفضة حوالي عام ٦٠٠ ق.م، أصبح سعرها (٥٠) شاقلا بعد ذلك التاريخ بخمسين عاما. وكان بالإمكان في عهد نبوخذنصر شراء (٢-٤) قا من الأراضي المزروعة بشاقل واحد، غير ان قوته الشرائية اقتصرت في عهد نابونائيد على (١-٢) قا فقط، وكان معدل الأجر الشهري للعامل غير الماهر يساوي تقريبا الشاقل الواحد أي ما يكفي بشلين من الحنطة أو ٣ بشلات من التمور، هذا ما كان يكفيه بالكاد لإطعام أفراد عائلته[٢].كذلك فان الأسعار في هذه الفترة قد ارتفعت بنسبة ٥٠% بين عامي ٥٦٠ و٥٥٠ ق .م، بل ارتفعت الأسعار ما بين ٥٦٠ و ٤٨٥ ق. م بنسبة ٢٠٠%، ويمكن ملاحظة النتائج في الوثائق التجارية[٣].ان ارتفاع الأسعار، وقلة الأجور أدى إلى التجاء الناس للقروض من المعابد وغيرها من البيوت المالية، وكانت الأرباح عالية ما بين ٢٠-٣٣٠%[٤]. وكثرت نتيجة ذلك المصارف، والبيوت المالية الخاصة مستغلة حاجة الناس إلى النقد، وزاد ازدهار العمليات المصرفية استعمال الأوزان القياسية من الفضة أساسا للتعامل التجاري[٥].

ان سوء الأوضاع الاقتصادية، وارتفاع الأسعار، وازدياد نسبة الفوائد، اضطر بعض المقترضين إلى بيع أملاكهم، بل إنهم باعوا أولادهم سدادا

---

[١] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج١،ص٥٦٠-٥٦١.

[٢] رو،العراق القديم،ص٥٣٨.

([5])Jean Oates,Babylon (London ,1979),p.133;

ساكز،عظمة بابل،ص١٧٧-١٧٨.

([٤])الحقيقة ان نسبة العائدة لم تختلف كثيرا عما سبق، فمنذ العهد البابلي القديم كانت نسبة الفائدة على الفضة ٢٠% وعلى الشعير ½ ٣٣ %،انظر: فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٧٩)،ص١٣٣،١٠١.إلا ان هذه الأزمة لم تبرز لان الاقتصاد كان مستتب، وكانت الأجور لها القدر على مواكبة الأسعار.

[٥]باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج١،ص٥٦١ .

لديونه[١]،وان هناك من الوثائق ما يشير إلى سوء الوضع داخل بلاد بابل، اذ ظهرت المجاعة قبيل الغزو الفارسي، ولم يكن بوسع نابونائيد إلا نسبتها إلى عدم تقوى الناس على الرغم من ان إرجاعها إلى الوضع الاقتصادي العام هو أكثر منطقية[٢]، وبشكل عام كانت تواجه بلاد بابل عام ٥٤٦ ق. م بوادر خطر المجاعة[٣].ومن دراسة الوثائق العائدة لهذا العصر يمكن معرفة تردي الوضع الاجتماعي، إذ نقرأ في إحدى الوثائق من الوركاء عن أبوين ضحيا بأطفالهم وذلك بتقديمهم نذوراً إلى المعبد في سبيل إنقاذ حياتهم أثناء المجاعة[٤].كما ظهرت في هذه الفترة طبقة من العبيد تعرف بالشيركو الذين هم من الأطفال الذين يودعون في المعابد خوفا عليهم من الجوع والفاقة[٥]،وفي نص يعود إلى عهد الملك نابونائيد نعرف ان إحدى الأمهات قد نذرت طفليها الصغيرين لخدمة المعبد لكي يبقى هذان الطفلان حيان بعد ان توفي والدهما ولم يبق لهم معيل لإعالتهم[٦].فضلا عن ذلك ان انسحاب القوة العاملة من الأعمال المنتجة إلى الأعمال غير المنتجة في بناء المعابد والحروب ساهم في تدهور البلاد[٧] .كما ان استخدام نابونائيد للمجندين البابليين من اجل إعادة ترميم مدينة حران كان له تأثير كبير على تشجيع العصيان بين سكان بابل، ويشير إلى ذلك نابونائيد نفسه:" ... أبناء بابل، وبورسبا، ونفر، وأوروك، ولارسا، الكهنة، وشعب مدن بلاد أكد، أهانوا قدسيته العظيمة، وأرادوا شيئا جعلوه شرا. ولم يعرفوا غضب ملك الآلهة، والألم الذي أصاب ناننا، لقد نسوا واجبهم، وكل ما نطقوا به فكانت

---

[١].غزالة، الدولة البابلية الحديثة ،ص١٣٤ .

[٢]ساكز،عظمة بابل،ص١٧٧.

[3]A. T. Olmstead, History Of Persian Empire,(Chicago,1948),p.45.

[٤] ليو اوبنهام،بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : سعدي فيضي عبد الرزاق،(بغداد،دار الحرية للطباعة،١٩٨١م)،ص١٣٢.

[٥] للمزيد من التفاصيل عن الشيركو انظر :

R.Dougherty,"The Širkutu of Babylon Deities"In,YOSR,Vol:V, No.2,(Newhaven ,1923).

[٦] غزالة، الدولة البابلية الحديثة ،ص١١٤.

[٧] ساكز،عظمة بابل،ص١٧٨.

الخيانـة بـدل الإخـلاص، ومثـل كلـب قـاموا بـافتراس بعضـهم الـبعض، والحمى والمجاعـة جعلوهـا بينهم تنتشـر فأهلكت شـعب الأرض"[١].ومما زاد تفـاقم الأزمـة الاقتصـادية ان بابل كانت تمثل المحـور الاقتصـادي لـبلاد وادي الرافـدين بكونها مركزا تجاريا رئيسا لتجمع المنتجات التي كانت تأتي إليها من بقية المناطق، وتدخل في مخازنها ثم تـوزع للقـوت اليـومي على المقاطعـات التي لا تسـتطيع الاعتمـاد على نفسها لسد حاجتها الغذائية[٢].ان هذه الأدلة تخالف ما تبناه الأسـتاذ الأحمد من رأي من ان الجندي البابلي أثناء هجوم كورش على العراق لم تكن تعوزه المعنوية العاليـة[٣]،بل على العكس ان سـوء الـوضع الاقتصادي، وارتفـاع الأسـعار، وسـوء الحالـة السـكانية، وانتشـار المجاعـة، كلهـا عوامـل أثـرت في الجنـدي البـابلي، وحطمت معنوياتـه، كما أخـالف الأسـتاذ اولمسـتد في رأيـه، إذ يعتقـد ان السـكان نتيجة للظروف السيئة كانوا مستعدين للترحاب بأي منقذ أجنبي[٤]،إذ ان سكان سكان بابل لم يكونوا قد استقبلوا كورش كفاتح بملء إرادتهم.

٢.العوامل الدينية.

-التغيرات الدينية:

كانت بلاد بابل في أواسـط القـرن السـادس قبـل الميلاد تحتـاج لوحـدة سياسـية أكثر من احتياجها لتعـدد الآراء والاختلاف في وجهات النظر التي قـادت بالتالي إلى العداء السافر والتفرق والانهيار. اذ حاول الملك نابونائيد بتزايد الخطر الفارسي إيجاد وحدة سياسية تقف وتصمد بوجه الاندفاع الفارسي، فعمل على جعـل المعتقـد الـديني تبريـرا سياسـيا لتحركاتـه التي خلقـت حولـه أجـواء مـن عـدم الثقة والشك والريبة من قبل كهنة مردوك، بالمقابل تكللت خطوات نابونائيد في إيجـاد قـوة جديـدة مـن اجـل إسـناده في صـراعه المقبـل مـع الفـرس بقليـل مـن النجاح.

---

[١] ساكز،عظمة بابل،ص١٧٧؛غزالة، الدولة البابلية الحديثة ،ص١٧٢ –١٧٣.

[2] Saggs, Two Administrative Officials of Erech,p.34.

[٣] الأحمد،الصراع،ص٨٠.

[4] Olmstead, History Of Persian Empire,p.49.

اظهر نابونائيد ولاء متزايدا للإله سين وفضله على الإله مردوك الإله القومي لمدينة بابل[١]،وان بعض الكتابات العائدة لنابونائيد توحي بان الإله سين قد ارتقى في عهده إلى منزلة أعلى من منزلة الإله الوطني مردوك، وان معابد اله القمر المنتشرة في طول البلاد وعرضها كانت تحظى باهتمام خاص، اذ لم يكتف نابونائيد بترميم زقورة أور وعدة معابد أخرى منها على نحو فخم، بل وقد عمد إلى إعادة بناء معبد سين في حران المسمى (إي–خول–خول) الذي كان قد خربه الميديون خلال حربهم ضد الأشوريين[٢].

ان هذا التغيير الديني يثير عدة تساؤلات، بماذا يمكن ان نفسر تحركات نابونائيد الدينية؟ ولماذا اختار الإله سين بدلا من مردوك كاله أعلى للمملكة ؟ هل كانت تحركات نابونائيد بتأثير عامل تربيته الدينية ؟ أم كانت هناك أبعاد سياسية واقتصادية في تبنيه التغيرات الجديدة؟ لم يكن الإله سين غريبا عن الديانة العراقية القديمة غير انه لم يرتق الى مستوى أعلى للبابليين لوجود إلههم القومي مردوك إذاً ماذا يمكن ان نقوله في تقويم تصرفات نابونائيد؟

كان (نابونائيد ابن نابو –بلاطسو –اقبي) احد وجهاء مدينة حران، وأمه (ادد-گوبي) الكاهنة العليا في معبد اله القمر في حران، وربما كانت من أسرة أشورية ارستقراطية[٣].وهو أمر عدة بعض الباحثين له أثره الكبير في شخصه نابونائيد، فالأستاذ باقر يعد اختيار نابونائيد للإله سين ناشئ من أسباب عائلية قوميه، إذ جدته لأبيه، وكذلك أباه وأمه كانوا من كهنة هذا الإله في حران[٤].ويعتقد الأستاذ عامر سليمان ان لـ(ادد –گوبي) تأثيرها الكبير ولاسيما من ناحية الأفكار الدينية

---

[١] غزالة، الدولة البابلية الحديثة ،ص١٧٣.

[٢] رو،العراق القديم،ص٥١١ .

3) Robert William Rogers, A History of Babylonia and Assyria(New York,1902),Vol,vol:2,p.359; Olmstead, History Of Persian Empire,p.37;Oates ,Babylon ,p.132.

رو،العراق القديم،ص٥١١؛باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج١،ص٥٥٢ –٥٥٣.

[٤] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج١،ص٥٥٣.

على نابونائيد[1].أما الأستاذ رو فيعتقد ان نابونائيد ورث عن أمه الاهتمام الشديد والدائب في الشؤون الدينية، والعبادة الخاصة شبه الوحدانية للإله الذي خدمته أمه طوال حياتها[2]، وان ادد- كوبي نفسها تحدثنا عن تأثير الإله سين على أسرتها فهي تقول: "أنا ادد-گوبي أم نابونائيد ملك بابل، ونصيرة الآلهة سين، ونينگال، وسادرونونا، إنهم آلهتي، وأنا معهم لقد كنت ألوذ بهم دائما منذ طفولتي...لقد كنت أتردد على المعبد القدسي العظيم للإله سين ملك جميع الآلهة في السماء، وفي العالم السفلي...كان يعطف على كل أعمالي الورعة الصادقة، ويصغي إلى صلواتي، ويتقبل نذوري...ونظر إلى نابونائيد، ولدي الوحيد للملوكية، وائتمنه على حكم بلاد سومر وأكد، وجميع البلدان من حدود مصر على البحر العلوي إلى البحر السفلي، وحينئذ رفعت يدي إلى الإله سين بخشوع وإيمان، وقلت لأنك سميت نابونائيد ولدي الحبيب الذي أنجبته للملوكية، ورفعت مركزه، فاني أتوسل إليك ان تجعل كل الآلهة الأخرى وفقا لأوامرك السامية يقفون إلى جانبه ويمكنونه من أعدائه ..."[3].غير ان ذلك لا يمكن التسليم به كسبب للتغيرات الدينية التي بدأها نابونائيد، واقترح الأستاذ ساكز ان هذه التغيرات كانت نتاج أفكار دينية جديدة، إذ كان للميديين واليهود أفكار دينية خلقية جديدة تنم عن السخرية من الوثنية المشركة القديمة. وهناك اقتراح معقول بان نابونائيد حاول ان يجعل من الإله القديم سين اله أعلى للإمبراطورية لمعرفته بعدم دقة دين الشرك القديم غير انه يجب عدم تضخيم ذلك وجعله حركة إلى جانب التوحيد، اذ لا يوجد هناك أي اثر لذلك، بل إنها

---

[1] عامر سليمان،العراق في التاريخ القديم:موجز التاريخ الحضاري،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٣)،ج٢، ص٤٤.

[2] رو،العراق القديم،ص٥١٠.

[3] حول ترجمة هذا النص انظر:

A. Leo Oppenheim ,"The Family of Nabonidus",In:ANET,pp.311-312.

نائل حنون،عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٦)،ص٢٦٨-٢٧١.

كانت محاولة لإيجاد قوة دينية موحدة لجميع الرعايا في الإمبراطورية[١].بلا شك يشير الأستاذ ساكز إلى زرادشت النبي الميدي الشهير، والأنبياء العبريين، ولكن بالنسبة للشق الأول من الاقتراح فيمكن رفضه على أساس ان من المحتمل ان زرادشت عاش في عصر لاحق لعهد الملك البابلي نابونائيد، وربما كان زرادشت معاصر لداريوس الكبير. من جانب أخر ان هناك شكوك حقيقية من ان الأقوال المنسوبة للأنبياء العبريين لا يمكن ان تكون من نتاج القرن السادس قبل الميلاد،وهناك احتمالات إنها كتبت بعد هذا القرن بكثير.

من جانب أخر هناك أسباب عدة تدفع نابونائيد لتبني هذا الاتجاه، اذ كان للعامل الاقتصادي أثره في توجهات نابونائيد الدينية، فاختيار الإله سين كاله أعلى للإمبراطورية هو نتاج بشكل مباشر لوجود مدينة حران وأهميتها أكثر من كونها تأثيرات عائلية أو أفكار جديدة. ان كلمة حران هي أصلا من الكلمة الاكدية (Ḫarranum) والتي تعني الطريق[٢]،وان معنى الكلمة ذات دلالة بأهمية هذه المدينة التجارية. وان هذه التسمية قد أطلقت على المكان لأنه كان محل التقاء الطرق التجارية القادمة من وادي الرافدين، ومن مصر، والجزيرة العربية، وفلسطين من جهة أخرى. وهذا الموقع يعطي للمدينة أهمية استثنائية بالنسبة لبلاد بابل لاسيما ان البلاد كانت تمر بضائقة اقتصادية مما تطلب إيجاد مراكز جديدة لها للسيطرة على الطرق التجارية[٣].ولكن لماذا لم يختار نابونائيد الإله مردوك اله بابل ليكون الإله الأعلى الذي يتوحد تحت ثناياه سكان الإمبراطورية؟ لم يكن الإله مردوك الإله البابلي الأعلى، وهو اله الشمس السومري القديم بمظاهرة الأرضية، وذو العلاقة بمدينة بابل، أي مكان في مجمع آلهة العرب والآراميين[٤].في حين كان الإله سين يتميز بعدة ميزات فهو الذي يؤثر

---

[١] ساكز،عظمة بابل،ص١٧٥-١٧٦.

[٢] عامر سليمان،اللغة الاكدية "البابلية–الأشورية:تاريخها،تدوينها،وقواعدها،(الموصل:دار الكتب والنشر ،١٩٩١)،ص٢٠٤.

[٣] ساكز،عظمة بابل،ص١٧٦؛باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٥٥٤؛غزالة، الدولة البابلية الحديثة،ص١٧٤.

[٤] ساكز، عظمة بابل،ص١٧٦.

على الحياة باعتباره اله الكلمة، والخضرة[١]،ويرتبط بالمزارعين فهو سيد الشهر الذي ينظم أيام الشهر والسنة[٢].وهو يرتبط أيضا بقبائل القاطنة في حران(الآراميين) الذي هو معبودهم الرئيس[٣].ومن هذا المنطلق نعرف لماذا كان على نابونائيد ان يجعل الإله سين هو الإله الأعلى للإمبراطورية، وان مردوك بحد ذاته لا يحل المشكلة الاقتصادية التي تعاني منها بابل، لأنه بعيد عن أفكار الآراميين في حران في حين كان الإله سين غير غريب عن العقيدة البابلية، وانه يؤدي غرضين، ففي الوقت الذي هو اله منطقة زراعية في وادي الرافدين، ويرتبط بالتقويم، والخضرة، والنماء، اله منطقة تجارية.

طرح احد الباحثين فرضية لا يمكن التغاضي عنها في هذا المضمار، إذ يشير الأستاذ فوزي رشيد، ان نابونائيد قد اضطر إلى اتخاذ الدين كأساس لسياسته، إذ ان نابونائيد عندما شعر بتعاظم خطر كورش تجاه الدولة الكلدية عمل على توحيد القبائل الآرامية في منطقة الفرات الأوسط، التي كانت حران مركزا لتجمعها، وكذلك توحيد القبائل العربية التي كانت متواجدة حوالي تيماء. وقد قضى الملك نابونائيد من اجل هذه المهمة بعيدا عن عاصمته بابل مدة عشر سنوات متنقلا ما بين حران وتيماء. وهذه القبائل الآرامية والعربية كانت تقدس الإله سين، وعلى ما يبدو إنها كانت قد فرضت على الملك نابونائيد كشرط لتحالفها معه، ان يحترم معبودها، ولذلك اضطر إلى إدخال طقوس الإله سين إلى مدينة بابل، ولذلك قام ببناء معبدين للإله المذكور الأول في مدينة حران، والثاني في مدينة بابل[٤].من جانب أخر لم يهتم نابونائيد فقط بالإله سين في حران، وإنما بالإله الذي كان يعبد زمن السومريين في مدينة أور، وسبب اهتمام الملك بمعبد الإله سين في أور يعود إلى عاملين، الأول: هو ان الإله سين المعروف

---

[١] الأحمد،المعتقدات الدينية،ص٢٥ .

[٢] عبد الرضا الطعان،الفكر السياسي في العراق القديم،(بيروت:دار الخلود ، ١٩٨١)،ص٣٨١.

[٣] فوزي رشيد،السياسة والدين في العراق القديم،(بغداد:دار الحرية للطباعة ،١٩٨٣)،ص٦٩.

[٤] رشيد،السياسة والدين،ص٥٦.

بالسومرية واننار الذي عبد خلال الألف الثالث قبل الميلاد في أور، يمثل الأصل الذي اعتمد عليه عبادة القبائل الآرامية والعربية التي حالفها الملك نابونائيد، والثاني أراد ان يكسب ود السومريين وان يذكرهم أيضا بما قام به العيلاميون القدماء عندما هدموا مدينة أور في حدود ٢٠٠٠ق.م وعاثوا بأهلها فسادا[١].

الواضح ان نابونائيد عند ما حاول إيجاد الوحدة السياسية تحت الإطار الديني[٢]،اصطدم بتيار معارض قوي داخل بابل يتمثل في الكهنة: "كهنة معبد مردوك"، الذي اثر مستقبلا في حسم الصراع العسكري مع كورش لصالح الأخير، كما ان محاولات نابونائيد إصلاح معبد (إي –خول –خول) في حران رغم الأزمة الاقتصادية، أثارت معارضة السكان كما رأينا، ومع ذلك فان نابونائيد كان بمحاولته هذه حاول إيجاد جبهة موحدة تستطيع الصمود بوجه كورش، ولم يكن التغير الديني إلا هدفا سياسيا –اقتصاديا .

-الصراع بين الملك والكهنة:

كان الصراع الذي دار بين الملك والكهنة في حقيقته سببا ناتجا من قوة المعبد وأثره في الأوضاع الاقتصادية وما ترتب عليه من محاولة نابونائيد إدخال الإصلاحات داخل البنية المعبدية، ومحاولته تحجيم دور المعبد، فضلا عن التغيرات الدينية الجديدة التي جعلت من كهنة مردوك يقفون موقفا عدائيا واضحا من نابونائيد الأمر الذي ادخل الصراع بين الملك والكهنة طورا جديدا أدت به إلى ان يكون سببا معقدا ساهم بشكل واضح في سقوط بابل.

كان المعبد كما ذكرنا عصب الحياة الاقتصادية في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وذكرنا ان إدارة المعبد كانت بيد موظفين هما: "الشتامو"(Šatammu) و(ريش–شاري–بيل–بيقيتي (reš-šarri-bel-piqitti) أو ما يسمى قيبو (qipu)[٣].وكان هو الموظف ذا علاقة مباشرة بالملك، ولهذا

---

[١] المصدر نفسه،ص٥٧-٥٨.

[٢] يعتقد البعض ان البلاد كانت بحاجة إلى مثل هذا التوحيد بعد ان لاح الخطر الفارسي في الأفق،انظر:غزالة، الدولة البابلية الحديثة،ص١٨٦.

[3]Saggs, Two Administrative Officials of Erech,p.29.

يمكن القول انه موظفا ملكيا اختير لتمثيل الملك بالنيابة عن في المعبد[١]. ويبدو من الوثائق ان ألـ(qipu) قد تناقصت أهميته، وانه كان قد ابعد عن أية مساهمة حقيقة في السيطرة على شؤون المعبد، ولذا كان الملك بحاجة إلى اتخاذ الإجراءات لتقوية تأثير ممثله المتضائل في إدارة المعبد[٢].وأدى تضاؤل النفوذ الحكومي في المعبد إلى قلة الواردات الحكومية من أرباح المعبد الطائلة التي لم تكن تزيد عن ٢٠%[٣].ونتيجة للنفوذ الواسع للمعبد حاول نابونائيد اتخاذ عدة إجراءات من اجل الموازنة المطلوبة في إدارة المعبد. اذ أراد نابونائيد التدخل في شؤون المعبد، وإخضاع نشاطاته الاقتصادية للإشراف الملكي[٤]، لذلك أقدم نابونائيد في عام ٥٥٣م على تعيين موظفين ملكيين هما: "سيد التعيينات الملكي"، و"الموظف الملكي على خزانة الملك"، بحجة حماية مصالح الملك داخل المعبد، وفي الواقع لموازنة قوة الشتاممو[٥].ومن المعروف حقا ان نابونائيد عين تابعة الخاص شتاممو في مدينة بابل وهو أمر لم يكن مرغوب فيه، وقد ساعد على سقوطه فيما بعد كما يفهم من النص الفارسي عن نابونائيد الذي يروي أحداث هده من وجهة نظر منافسيه: " زيريا ،الشتاممو، انحنى أمامه، ريموت الزازكو انحنى أمامه، ثبتوا تعليمات الملك وجعلوا حكمه الملك قائمة ... اقسموا، نحن نعرف ما يقوله الملك فقط"[٦].

زود نابونائيد مندوبيه الذين عينهما في معبد إي-أننا للإشراف على صفقات هذا المعبد، وتامين جباية منتظمة لضريبة العشر الملكية، وبالتأكيد كان هذا الإجراء هو الذي أوغر صدور الكهنة عليه[٧].

---

(1)Ibid ,p.31.

(٢) ساكز،عظمة بابل،ص٣٠١.

(٣) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٥٥٩.

(٤) رو،العراق القديم،ص٥٣٧.

(٥) ساكز،عظمة بابل،ص٣٠٢؛رو، العراق القديم،ص٥٣٧؛حياة إبراهيم،نبوخذنصر الثاني،ص٩٢.

(6)Leo Oppenheim,"Nabonidus and the Clergy of Babylon", IN:ANET ,p.314;
ساكز،عظمة بابل،ص٣٠٢؛الطعان،الفكر السياسي في العراق القديم،ص٤٧٠.

(٧) رو،العراق القديم،ص٥٣٧.

كان الشتاممو، والسيد الملكي للتعيينات يهتمان بصورة أساسية بنفس النوع من الأمور، اذ كان الأول يعمل في مركز المعبد، في حين كان الثاني يعمل إلى درجة كبيرة في المدن والمستوطنات على مقاطعات المعبد خارج الوركاء، وهذا لا يخالف الفكرة القائلة ان الموظف الملكي للتعيينات أشبه بالمفتش الذي كان يراقب مصالح الملك، وان غيابه عن الوركاء لم يكن يضر بمصالح الملك داخل المعبد نفسه طالما كانت محافظته من قبل الموظف الملكي على الخزانة، والذي يبدو انه كان كما يستدل من لقبه مقيما دائميا هناك. وقد كشفت المراسلات بين الشتاممو، والموظف الملكي قد عملا بصورة عامة سوية مع اختلافات بسيطة، ولو ان احدهما كان يعلق على عمل الأخر[1].وبذلك كانت محاولة تدخل الملك نابونائيد في شؤون المعبد أثارت حفيظة الكهنة وجعلتهم ينظمون إلى خندق أعداء الملك. من جانب أخر كانت هناك أسباب أخرى للصراع الذي دار بين الملك والكهنة، إذ ان محاولة نابونائيد إجراء تغيرات في إكليل اله الشمس في سيبار أدى إلى صدام باتجاه معاكس شديد ليس من جانب رجال الدين فقط بل من قبل التابعين إلى جمعية أهالي سيبار[2].

كان الملك في بلاد بابل ظل إلى النهاية خاضعا لرغبة الإله، ولذلك لم يكن بمقدوره ان يستحوذ على أراضي المعبد، ويجعلها أملاكا ملكية دائمة. وكان على الملك في بلاد بابل ان يضع الشارات الملكية بخضوع تام أمام الإله سنويا، وان يخضع لإهانة شخصية على يد الكاهن الأعلى، ويعلن عن حسن نواياه، وحينئذ فقط يستعيد سلطاته الملكية[3]. وان هناك نصا مطولا يكشف بشكل مثير الصراع بين الملك والكهنة، ويبرر موقف رجال المعبد من إجراءات الملك والاتهامات التي وجهوها إليه، وبالرغم من وجود النواقص في النص إلا انه يعطي انطباعا خاصا:"....... القانون، والأمر الذي ما صدر من قبله ....لكنه أباد الناس من خلاله، وقتل النبلاء في الحرب، ...... السفن التجارية، حاصر الطريق ......للزراع جعل مخازن الغلة تندر..... ليس هناك ... في البلاد ..... الحاصدون لا

---

(1) ساكز،عظمة بابل،ص٣٠٣-٣٠٤.

(2) اوبنهايم، بلاد ما بين النهرين،ص٢٣١.

(3) ساكز،عظمة بابل،ص٣٠١.

يغنــون أغنيــة الالــو Alulu .....انــه لــم يســور المنطقــة الزراعيــة ....لقد صادر عقاراتهم، وبدد ممتلكاتهم،.......لقد خرب كل شيء تماما ......وضع الفصائل العسكرية في المكان المظلم المجهول ...... أصبح ضيقا صغيرا ...وجهوهم تغيرت فصارت عدائية ...... لم يعودوا يقومون بالاستعراض في الشارع البري .... لا ترى السعادة بعد ذلك .... هم يأتون في كدر. نابونائيد أصبح إلهه الحامي عدوا له، وهو الذي كان محبوب الآلهة وأثيرها الأول، صار ألان سوء الطالع والبلايا ملازمان له، قام بعمل غير مقدس ... الضد من إرادة الآلهة..... أتى بفكرة كريهة، أقام تمثال لإله لم يشهده احد في هذه البلاد من قبل، ادخله المعبد ووضعه فوق منصة الشرف .... أطلق عليه اسم ناننا (Nanna) لقد زين .... من حجر اللازولي وكلل بالتاج ..... ظهر بمظهر يشبه خسوف القمر ......إيماءة يده مثل إيماءة الإله لوگال شو-دو (Lugal-Šu-Du) .... شعر رأسه يصل إلى منصة الشرف، أمامه وضع العاصفة ابوبو (abubu) والتنين، والثور البري، وعندما أكرمه ظهر وكأنه أصبح مثل ...شيطان كلل بالتاج ..... العائد له ... أصبح..... وجهة انقلب عدائيا ..... شكله أصبح .... اسمه گال(Gal) ... عند أقدامه ....شكله حتى ان أيا موممو ما كان قد صوره بعد، ولا حتى الحكيم ادابا (Adapa) قد عرف اسمه. قال نابونائيد سأبني معبدا له، وأشيد قاعدته المقدسة، سأضع له بلاطته الأولى، وأشيد أسسه الراسخة، سأجعله على صورة معبد إي–كور (E-Kur) سأطلق عليه اسم أي – خول –خول (E-ḫul-ḫul) لقادم الأيام، عندما أنجز تماما ما كنت قد خططت له، سأقوده من يده، وانصبه على قاعدته، وحينما أكون قد فعلت هذا، أكون قد نلت مرامي. سأبطل المسرات كافة، وسأصدر أوامري بإلغاء بهجة أعياد رأس السنة الجديدة، لكنه حينما صنع بلاطته الأولى، وضعها خارج المخطط، وامتد بعيدا بالأسس، وعلى القمة صنع حاشيتها اللامعة بواسطة زخرفة على الجدار المصنوعة من الحبس والإسفلت. أقام الثور البري، في مقدمته على غرار معبد

ايساگيلا، لكنه بعد ان بلغ هدفه ،بعمل تام المكر، أقام فعلا غير مقدس وذلك حينما بدأت السنة الثالثة على وشك الحلول"[١].

ان هذه النص يوضح بشكل كبير طبيعة الصراع الذي بدأه الكهنة، وان أي ادعاءات بأن نابونائيد قد جاء ببدعة فإنها كاذبة، فلم يكن الإله سين مجهول بالنسبة للكهنة المعارضين، وحتى معبده اي-خول-خول. وأخيرا يكشف لنا النص كيف ان كهنة مردوك قد اخذوا يرون الفرق بين ملكهم وبين كورش، متهمين نابونائيد باتهامات عدة: "بينما صارت انتصارات كورش ملك العالم حقيقة واقعة، وقدم له ملوك الأقطار كافة فرض الطاعة والولاء، كان نابونائيد قد كتب فوق لوحة الحجري أنا صنعت ... قوسا لقدمي .... وقهرت كل أقطاره، صادرت ممتلكاته وجلبتها لمكان إقامتي، انه هو من وقف مع المجموعة ليمجد نفسه ويقول: أنا ارغب، اعلم، أرى ما هو مخفي حتى ان كنت لا اعرف كيف اكتب بالقلم المعدني فأنا أرى سر الأشياء، أنا ملم بالحكمة الفائقة ذات السياق (sar.^{d}A.num.^{d}En.lil.la)التي انتهجا ادابا فوق ذلك، استمر أيضا في خرق الشعائر والطقوس، وأربك تنبؤات فحص الكبد"[٢].وبهذا يتضح جليا مدى العداء السافر الذي شنه الكهنة على نابونائيد الأمر الذي كان له أثره السيئ على مستقبل البلاد .ومع ذلك ان هذه الادعاءات تجعل المؤرخ يعتقد ان نابونائيد قد شن حربا لا هوادة فيها ضد العبادات القديمة مفضلا الإله سين، وان هذه التغيرات الدينية أدت إلى انحطاط منزلةالإله القومي مردوك؟ إلا ان هناك نص يعود للملك نابونائيد يبين عدم إهماله شؤون الإله الأعلى مردوك فهو يقول: "أنا الملك الذي انصب اهتمامي يوميا ومن دون انقطاع على المحافظة على معبدي ايساگيلا، وايزيدا، قد غلفت بالفضة البراقة مقابض الأبواب الخشبية لكل غرف معبد اله العالم العلوي والسلفي حتى غرفة الطقوس السرية لمردوك وصاربنيتو محبوبة مردوك التي تثبت أسس عرشي في الحكم وتقويه"[٣].كما

(1)Oppenheim, Nabonidus and the Clergy of Babylon,pp.312-313.

(2)Oppenheim ,Ibid,p.314.

(3)Leo Oppenheim ,"Nabonidus Rise to power",In:ANET,p.310.

يخبرنا نابونائيد انه كان يزور معابد الإله سين وشمش، وعشتار[١]،بالرغم من ادعاء خصوم نابونائيد بأنه انتهك حرمه معبد ايساگيلا[٢].وهذا يعني ان الصراع الذي دار بين الملك والكهنة تركز بشكل أساس حول التدخل الاقتصادي من جانب الملك بشؤون المعبد، وجاء العامل الديني ليجعل منه الكهنة المبرر لشن الهجوم على الملك وسياسته.

٣.العوامل السياسية:

-غياب الملك البابلي:

ان من الأمور التي أثيرت حول الملك نابونائيد وغدا من قبل بعض الباحثين شخصية غريبة الأطوار هو غيابه عن العاصمة بابل لمدة عشرة سنوات في تيماء، هذا الغياب الذي كان له البعد الاستراتيجي لدى نابونائيد، زاد من تفاقم الوضع في بابل، وسمح لخصوم الملك بشن دعاية واسعة النطاق ضده. ان سوء الوضع الاقتصادي في بابل، ومحاولة نابونائيد إيجاد وسائل عديدة لحل الأزمة كانت وراء إقدام نابونائيد للذهاب إلى تيماء. والحقيقة كانت استجابة نابونائيد للوضع في بلاد بابل محاولة رائعة لنقل مركز ثقل الإمبراطورية إلى الغرب، وضمان الطرق التجارية في جنوب الجزيرة العربية[٣]. إذ ان إيجاد طريق تجاري جديد نحو شبه الجزيرة العربية هي محاول جدية لحل الأزمة، فبعد ان انقطعت الطرق التجارية القديمة المارة ببلاد عيلام، وإيران، وسوريا، اتجهت أنظاره نحو تيماء[٤].

كانت تيماء (Tema)تقع في وسط سهل خصب ذات مناخ صحي، وعندها تلتقي الطرق التجارية القادمة من مأرب، ومعين، ونجران، ويثرب، وديران، والحجر (مدائن صالح)، ومنها يذهب فرع للعراق من تيماء نفسها، والثاني إلى بطرا عاصمة الأنباط، ثم الطريق القادم من الجرعاء(جرها) على

---

1) Ibid,p.311.

2) Oppenheim,Nabonidus and the Clergy of Babylon,p.314.

(٣) ساكز،عظمة بابل،ص١٧٨.

(٤) سليمان،العراق في التاريخ القديم،ج٢،ص٢٤٢.

الخليج العربي ماراً بالإحساء، فالهفوف، ثم بريدة الحالية، فالأهمية الاقتصادية لهذه المدينة لابد وان كانت سببا هاما في ذهاب نابونائيد إلى تيماء[1]،إذ كان الهدف الأساس لنابونائيد هو يعمل جاهدا على تامين طريق تجارة التوابل الممتد من اليمن إلى مصر وفلسطين مارا بشبه الجزيرة العربية[2]. فضلا عن ذلك فان خلاف نابونائيد مع الكهنة واتهامهم له بأنه فضل عبادة الإله سين على عبادة مردوك الإله القومي للبلاد عاملا لذهابه إلى تيماء[3].وان هناك إشارة لدى احد الباحثين تجعل احتمال كون نابونائيد ترك بابل نتيجة انتشار الملاريا فيها[4]، وهو امر لا يمكن ان نتأكد منه من أي مصدر معاصر، ورجح الأستاذ رو ان سبب عدم عودة نابونائيد إلى بابل من تيماء ربما لعشر سنوات، يمكن ان يعود إلى افتراض انه منع من العودة إليها من قبل أعدائه أنفسهم[5].كما ان تيماء من جانب أخر مركزا من مراكز عبادة الإله القمر، وربما أدرك نابونائيد ان الإله القمر (التائيري) الذي يعبده العرب في تيماء وقتذاك هو وجه أخر من أوجه الإله سين البابلي، وربما يكون هذا الوجه للإله القمر هو الذي أشار إليه الناسخ في أخبار نابونائيد الشعرية. واعتقد البعض ان نابونائيد ربما فكر في الحصول على مساعدات العرب في المناطق العربية التي مر بها مثل: تيماء، وفدك (الحائط)، وخيبر، لمواجهة خطر كورش الفارسي المتزايد[6].في حين اعتقد آخر ان ان نابونائيد أراد يجعل من الإله سين قاسما مشتركا ليوحد بين القبائل الآرامية الساكنة في حران، وبين القبائل العربية الساكنة في شبه الجزيرة العربية[7].ونقرأ العربية[7].ونقرأ في إحدى الوثائق بان الملك نابونائيد توجه عام ٥٤٩ ق. م إلى

---

[1] سامي سعيد الأحمد،سلالة بابل الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م)،بحث ضمن:كتاب العراق في التاريخ،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٣)،ص١٧٤.

[2] رو،العراق القديم،ص٥١٦.

[3] غزالة،الدولة البابلية الحديثة،ص١٨٦ .

[4] فيليب حتي،تاريخ العرب،(بيروت:دار غندور للطباعة والنشر،١٩٧٤)،ص٦٩.

[5] رو،العراق القديم،ص٥١٦.

[6] الأحمد،سلالة بابل الحديثة،ص١٧٤ –١٧٥.

[7] غزالة، الدولة البابلية الحديثة،ص١٨٦.

سوريا وجمع جيشه في ارض خاتي(سوريا) ،ودخل الصحراء العربية ليحاصر ادوممو (Adummu)(الجوف)على بعد ٢٨٠ ميلا شرق العقبة، وقد وصل إلى واحة تيماء حيث وقتل ملكها، واتخذها عاصمة لمدة عشر سنوات[(١)].ونقرأ في نص يخص رحلة نابونائيد إلى تيماء: "اصطحب معه فصائل قوات أكد، تحول إلى منطقة تيماء في عمق الغرب، سالكا بحملته طريقا مؤديا إلى إقليم بعيد. وعندما وصل إلى هناك قتل أمير تيماء في المعركة، وقتل الناس الساكنين في الحي، وفي أنحاء البلدة، وهو نفسه أقام في تيماء، اذ بقيت قوات جيش أكد، جعل المدينة جميلة وبنى قصره هناك، بنى الجدران كذلك على غرار مقره(Šu-anna)"[(٢)].والحقيقة ان تيماء كانت تمثل العاصمة الحقيقة للإمبراطورية البابلية لأنها كانت مقرا لنابونائيد طوال العشر سنوات التي سبقت سقوط بابل[(٣)].وتشير وثيقة بابلية ان نابونائيد كان خلال سنوات (٧-٩-١٠-١١) في تيماء، وكان ابنه بيل –شار –اوصور (Bel-Šar-Uṣur) في بابل[(٤)]،وان الرسائل المتعددة، والوثائق الاقتصادية العائدة لهذه الفترة في بابل والمنسوبة إلى ولي العهد تؤكد انه رئيس السلطات العليا[(٥)].

كانت لتحركات الملك البابلي أثرها المهم داخل بل، إذ تعلق وثيقة الإخبار البابلية الخاصة بنابونائيد على الأحداث، ففي السنة السابعة نذكر الوثيقة: "الملك بقي في تيماء (Tema)،بقي ولي العهد ومواطنوه وجيشه في أكد، لم يأت

---

[1]) Oppenheim,Text from the Accession year of Nabonidus,p.305;A.k.Grayson,Assyrian and Babylonian Chronicles, (NewYork,1975),p.106; Oates,Babylon,p.133

ساكز ،عظمة بابل،ص١٧٨؛رو،العراق القديم،ص٥١٥؛غزالة، الدولة البابلية الحديثة،ص١٨١.

[2]) Oppenheim ,Nabonidus and the Clergy,p.313.

[3]) Dougherty,The Sea land,p.119.

[4]) Oppenheim,Text from the Accession year of Nabonidus,p.306;

الأحمد،سلالة بابل الحديثة،ص١٧٤؛حتي،تاريخ العرب،ص٦٩.

[٥]) سامي سعيد الأحمد،"الإدارة ونظام الحكم "،بحث ضمن كتاب: حضارة العراق،(بغداد:دار العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٢،ص١٩.

الملك إلى بابل من اجل احتفالات شهر نيسان ،لم يذهب بحضر الإله نابو إلى بابل ،ولم يخرج الإله بيل من معبد ايساگيلا ، والغي مهرجان السنة الجديدة"[١].وقد أدى غياب الملك البابلي عن بابل إلى تزايد النفوذ السياسي داخل البلاد للكهنة. ان هذا الأمر قد أثار حفيظة السكان والكهنة على نابونائيد، وزاد من تفاقم الوضع داخل البلاد، فغياب نابونائيد عن بابل أدى إلى ترك خصومه ينشرون الدعايات المضادة الأمر الذي أدى إلى إضعاف موقفه داخل البلاد، واخذ الكثير يروج دعايات لكورش باعتباره المنقذ كما سنرى لاحقا.

-اليهود:

ان دراسة أسباب احتلال بابل من قبل الاخمينيين، فيها الكثير من الملابسات والجوانب الغامضة، فإن كل ما قيل من أسباب بكل الأحوال لا يؤدي إلى انهيارها المفاجئ، فهذه الأسباب وان خلخلت الوضع الداخلي فانه من الناحية العسكرية كان كورش يحتاج إلى وقت كبير للإجهاز على المدينة، ولعل تجربة كورش أمام أسوار ساريس، وحصاره لها لمدة أسبوعين يثبت مصداق قولنا. وان المتفحص لأحداث سقوط بابل يجد ان المدينة سقطت بيد الغزاة بكل سهولة، وان المدينة كما نعرف حصينة فكيف تمكنت الفرس من دخولها ؟ الإجابة على مثل هذا السؤال لا يبعدنا كثيرا عن الإشارة بأصابع الاتهام على الفئة المستفيدة من احتلال بابل وهم اليهود، وان كانت تحركات اليهود سرية، وان إثبات تهمة التورط في الخيانة يحتاج إلى براهين عدة.

كان اليهود يشكلون جالية مهمة في بابل في أعقاب السبي البابلي[٢]،وان هناك من الأدلة التي قد تثبت التعاون اليهودي الفارسي ودوره في سقوط بابل. اذ كان وضع اليهود في بابل جيدا، وكان زعماء اليهود طليقين نوعا ما، ربما كان السبب في حرية تصرفهم ثم تمكنهم فيما بعد من مراسلة الفرس ومساعدتهم، ولعل إحدى إشارات العهد القديم يعطينا انطباعا عن أوضاع اليهود: "في السنة

---

[1]) Oppenheim,Text from the Accession year of Nabonidus,p.306;Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles,p.106.

[٢] حول السبي البابلي انظر:حياة إبراهيم،نبوخذنصر الثاني،ص٧٩-٨٧.

السابعة والثلاثين السبي يهوياكين ملك يهوذا، في الشهر الثاني عشر، في السابع والعشرين من الشهر، رفع أويل –مردوك ملك بابل في سنة تملكه رأس يهوياكين ملك يهوذا من السجن، وكلمه بخير، وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل، وغير ثياب سجنه وكان يأكل دائما الخبز أمامه كل أيام حياته، ووظيفته وظيفة دائمة تعطى له من عند الملك، أمر كل يوم بيومه كل أيام حياته"[1]. الا ان هذا النص لا يثبت أي شيء يخص الخيانة، بل بالعكس قد يعطي انطباع ان اليهود غير مستفيدين في كل الاحوال من سقوط المملكة البابلية الحديثة، غير ان ادلة يمكن ان تساق هنا لأثبات تهمة الخيانة بشكل ما، اذ ان هناك من الإشارات التي وردت في العهد القديم تسجل مدى النقمة التي يبديها اليهود من بابل وأشور، وتقدم دليلا على مثل هذا التعاون، وان المتذكر للعنات اشعيا سيجد مدى السخط الذي يكنه اليهود للأشوريين والبابليين فهو يقول: "قد حلف رب الجنود قائلا: انه كما قصدت يصير، وكما نويت يثبت ان أحطم أشور في ارضي، وأدوسه على جبلي، فيزول عنهم نيره، ويزول عن كتفهم حمل"[2].ونلمس هذه الروح العدائية في قول اشعيا عن بابل: "قد جثا بيل، انحنى نبو. صارت تماثيلهما على الحيوانات والبهائم. محمولاتكم محملة حملا للمعيي. د انحنت. جثت معا . لم تقدر أن تنجي الحمل، وهي نفسها قد مضت في السبي"[3].ويذكر اشعيا بنفس الأسلوب خطابا موجها لليهود بان الرب لم يكتب السلام الأشرار البابليين: "اخرجوا من بابل من ارض الكلدانيين، بصوت الترنم، اخبروا نادوا بهذا، شيعوه إلى أقصى الأرض. قولوا قد فدى الرب عبده يعقوب. ولم يعطشوا في القفار التي سيرهم فيها. أجرى لهم من الصخر ماء، وشق الصخر، ففاضت المياه لا سلام :قال الرب للأشرار"[4].ولعل احد نصوص ناحوم يعيد على أذهاننا الكثير من التصورات حول موقف اليهود المعادي للعراقيين القدماء: "ويل لمدينة الدماء، كلها ملائنة كذبا، وخطفا، لا يزول الافتراس، صوت

---

[1] الملوك الثاني،٢٥: ٢٧-٣٠.

[2] اشعيا،١٤ : ٢٤ –٢٥.

[3] اشعيا،٤٦: ١-٢.

[4] اشعيا،٤٨: ٢٠-٢٢.

السوط، وصوت رعشة البكر، وخيل تخب، ومركبات تقفز، وفرسان تنهض، ولهيب السيف، وبريق الرمح، وكثرة الجرحى، ووفرة القتلى، لانهاية للجثث، يعثرون بجثثهم من اجل زنى الزانية الحسنة الجمال، صاحبة السحر، البائعة أمما بزناها، وقبائل بسحرها، هأنذا عليك يقول رب الجنود، فاكشف أذيالك إلى فوق وجهك، واري الأمم عورتك، والممالك خزيك. واطرح عليك أوساخا، وأهينك، وأجعلك عبرة، ويكون كل من يراك يهرب منك، ويقول ضربت نينوى من يرثى لها ..."[١].

ان هناك أدلة توراتية أخرى يمكن إدراجها من اجل التدليل على دور اليهود في احتلال بابل، فكورش بعد دخوله بابل، وعلى حد مزاعم العهد القديم صرح بان اله اليهود هو الذي ساعده من اجل السيطرة على ممالك الأرض: "هكذا قال كورش ملك فارس: ان الرب اله السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض، وهو أوصاني ان ابني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا"[٢].وهكذا لم يكن أمام اعتراف كورش باله اليهود إلا ان يقابله اعتراف آخر من قبل اليهود: "هكذا قال الرب لمسيحه كورش: الذي أمسكت بيمينه، لأدوس أمامه أمما، وأحقا ملوك، لأفتح المصراعين، والأبواب لا تغلق، أنا أسير قدامك، والهضاب أمهد، اكسر مصراعي النحاس، ومغاليق الحديد اقصف، وأعطيك ذخائر الظلمة، وكنوز المخابئ، لكي تعرف إني أنا الرب الذي يدعوك باسمك اله إسرائيل"[٣].وان هذا النص وحده يمكن ان يكشف لنا ما فعله اليهود في بابل فهو يقول انه يمهد الهضاب، ويكسر مصاريع الأبواب، ولعل هذا ما حدث في بابل عندما مهد اليهود للفرس بدخول المدينة. ويذكر الأستاذ توينبي ان الجماعة اليهودية في بابل كانوا حلفاء طبيعيين للفرس ذلك بأن هؤلاء اليهود المنفيين لم يسامحوا البابليين لأنهم اجلوهم عن بلادهم، ومن ثم كانوا أقلية محلية محبة للفرس، وبهذا كانت لهم قيمة بالنسبة للفرس في بابل حيث لم تكن الغالبية الوطنية من السكان تتقبل الفرس، وقد سمح كورش لأي عدد من هؤلاء اليهود الراغبين في العودة إلى

---

[١] ناحوم٣: ١-٧.

[٢] أخبار الأيام الثاني٣٦: ٢٣؛عزرا ١: ٢.

[٣] اشعيا ١:٤٥-٣.

فلسطين ان يفعلوا ذلك، وان يعيدوا بناء الهيكل[١].بينما ينفي الأستاذ غنيمة ان سبب عطف كورش على اليهود هو نتيجة مساعدته في فتح بابل إذ يقول: "ان هذه الآراء تحتاج إلى تمحيص، ويرتاب في صحتها، ولاسيما ان كورش اظهر مثل هذه المروءة لجميع شعوب بابل، لا بل جامل جميع الأقوام الذين عطف عليهم حتى إنهم دعوه أباهم "[٢].ويبدو ان الأستاذ گرشمان قد تبنى رأياً مشابهاً، فهو يقول واصفاً كورش بأنه من الملوك القلائل اكتسبوا أثناء حياتهم سمعة نبيلة، فهو رئيس عظيم، وقائداً جيداً، وعطوفاً، لا يفكر في القوة مع الأقاليم المفتوحة ذا طابع منفرد، اعترف بديانات الدول المختلفة، وتمكن من إنقاذ الأمم من العبودية مانحاً لها الحرية، فسماه الفرس " الأب "وعده اليهود المسيح المنقذ[٣].إلا ان هذه الآراء ليست هي الحقيقة التاريخية، فهناك أدلة تثبت ان كورش كان قد ميز اليهود بالمعاملة دون غيرهم من شعوب الأقاليم المحتلة، وسلك هذا السلوك الملوك من بعده، إذ نعرف من تزايد تأثير اليهود في البلاط الأخميني، وإدخالهم في الإدارة، فنحميا كان ساقياً للملك ارتحششتا الأول[٤]،كما ان احشويرش كان متزوجاً من استير اليهودية كما نعرف، وكان دانيال احد وزراء داريوس[٥]،وان تعاون اليهود فيما بعد مع قمبيز في احتلال مصر يرجح المسألة في كون اليهود لعبوا نفس الدور في بابل قبل أعوام من احتلال مصر[٦]،وان سخط المصريين على اليهود وتدميرهم لمعبدهم في مصر عام (٤١٠ ق.م) يدل على دورهم الفاعل في احتلال مصر[٧]،فضلاً عن ذلك فقد عمل اليهود بشتى الوسائل من

---

[١] توينبي،تاريخ البشرية،ج١،ص١٨٨.

[٢] يوسف رزق الله غنيمة،نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق،(بغداد:مطبعة الفرات ،١٩٢٤)،ص٦٢.

3) Ghirshman,Iran,p.133.

[٤] نحميا،١: ١١.

[٥] دانيال،٦ : ٢.

[٦] عبد صالح،الشرق الادنى القديم،(القاهرة: المديرية العامة لشؤون المطابع الاميرية،١٩٦٧)،ج١،ص٢٨٤.

[٧] عبد الحميد زايد،مصر الخالدة،(القاهرة،بلا.مط،١٩٦٦)،ص٩٥١.

اجل إضعاف بابل، إذ كان لهم دوراً كبيراً في مضاعفة الأسعار، ورفع نسبة الفوائد على القروض مستغلين سوء الوضع الاقتصادي حتى أصبح اليهود يقرضون بفائدة تصل إلى (١٠٠%)[١]،ويبدو ان كورش أدرك بأنه سيحقق هدفه في احتلال بابل إذا ما استغل اليهود الموجودين في بابل، وكهنتها ضد طقوس الإله سين التي ادخلها الملك نابونائيد[٢].

-الدعاية السياسية :

لم يكن أمام كورش بعد ان تمكن من محالفة اليهود إلا ان يبدأ لأعداد العدة لاحتلال بابل، ولكن كان عليه قبل ان يحسم الأمر عسكرياً ان يمهد ذلك بحرب دعائية واسعة ضد الملك البابلي.

كانت الأوضاع قبيل عام (٥٣٩ ق.م) ممهدة لكورش فالسخط الشعبي، والكهنوت ضد نابونائيد نتيجة التغيرات الدينية التي نفذها، وغيابه عن العاصمة الذي ساهم في تعطيل الاحتفالات الدينية المهمة كان على أشده[٣]،مما زاد من الفجوة التي بينه وبين الكهنة ، فضلاً عن التردي الكبير في الوضع الاقتصادي، إذ ان بروز قوة الدولة الفارسية حرم بابل من موارد وتجارات المنطقة الشرقية، وان دخول أسيا الصغرى تحت سلطة كورش قطع التجارية الشمالية، ولهذا لم يكن أمام كورش إتماما لخطته في تضيق الخناق على بابل إلا توسع الفجوة بين الملك والقوى الساخطة عليه عن طريق شن حرب دعائية أدى فيها اليهود دورا واضحا.

اتهم كورش الملك نابونائيد بالكفر والسخافة، وتعقيد طقوس الأرباب، بل وبفساد الذوق حتى اختيار تمثال معبوده الذي بدا وجهه فيه قائما كهيئة القمر في المحاق، واتهمه بأنه تسبب في قتل نبلاءه، وتعطيل طرق التجارة

---

[١] عامر سليمان،النظم المالية والاقتصادية:الأصالة والتأثير،بحث ضمن كتاب: العراق في موكب الحضارة الأصالة والتأثير،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٨)،ج١،ص٣٩٦.

[٢] رشيد،السياسة والدين،ص٦٠.

[3]) Olmstead, History Of Persian Empire,p.38.

لمشروعاته التوسعية الفاشلة، حتى غضب عليه كل الأرباب والناس[١].ويدعى كورش ان: "الإله مردوك عاقب نابونائيد لأنه لا يخاف الآلهة"[٢].وان الإله مردوك وقف ضد نابونائيد[٣].ونفسه كورش بعد هذه الحرب الدعائية نجده بعد دخوله بابل يصف نفسه:" السيد الذي أعاد بقدرته الموتى إلى الحياة، وانعم عليهم بالعناية والحماية"[٤].ويقصد بالموتى هنا البابليين الذين خلصهم من حكم نابونائيد حيث كانوا خلاله موتى. كما ان تحركات كورش العسكرية أعطت انطباعات جديدة لدى سكان بابل، إذ ان تصرفه تجاه كروسوس الذي أحسن إليه، واحترمه، وسلوكه اتجاه حكام أسيا الصغرى الإغريق، أضفت إليه صفة الاعتدال، والتسامح الديني[٥]،إذ ان سياسة كورش كانت تقوم على خطب ود رعاياه الجدد، وليس تخويفهم، وإرعابهم من اجل فرض طاعته عليهم، وكان يحلو له إظهار نفسه بمظهر المحرر لتلك البلدان، كما كان يعامل أسراه برحمة، ويحترم بل يشجع العبادات والتقاليد المحلية، وهكذا اكتسب شهرة عريضة في جميع أنحاء الشرق الأدنى .ووجد هناك نفر من أهل بابل ممن كان يتوهم بأنه لن يخسر سوى القليل بتحوله إلى احد رعايا هذا الملك الطيب[٦].ولعب اليهود في هذا المجال دورهم، إذ نعتوا بناء على الدعايات الفارسية نابونائيد بأنه ملك بابل المجنون[٧]،وان قصة أصابع اليد التي شاهدها بيل–شار–اوصور ملك بابل في التوراة[٨]،هي واحدة من سلسلة الدعايات التي شنها اليهود داخل بابل، وان ما

---

[١] صالح،الشرق الادنى القديم،ج١،ص٥٦١.

[٢] جورج بوييه ،المسؤولية الجزائية في الآداب الأشورية والبابلية ،ترجمة : سليم الصويص،(بغداد:شركة المطابع النموذجية،١٩٨١)،ص١١١.

[3] Dougerty,Nabonidus and Belshazzar,p.175f;Dougherty,The Sea land ,p.50.

[٤] نائل حنون،عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٦)،،ص١٣١.

[٥] ساكز،عظمة بابل،ص١٨٠.

[٦] رو،العراق القديم،ص٥١٦–٥١٧ .

[٧] غزالة، الدولة البابلية الحديثة،ص١٩٩.

[٨] تذكر الرواية التوارتية ان أصابع يد إنسان ظهرت فجأة عندما كان بليشصر غارقا في مجونه، وكتبت على حائط الملك.انظر دانيال،٥: ٥.

قاله دانيال بان الله قد أحصى ملكوتك، أي بيلشصر، وأنهاه هو محاولة لبث روح اليأس داخل المدينة، وان تأويل لما شاهده بيلشصر هو جزء من دور اليهود في الدعاية لكورش: "فرس قسمت مملكتك، وأعطيت لمادي وفارس"[1].وان تعبير التوراة عن حالة بيلشصر النفسية عندما شاهد أصابع اليد لدليل على محاولة اليهود زعزعة الوضع الداخلي في بابل: "حينئذ تغيرت هيئة الملك، وأفزعته أفكاره، وانحلت خرز حقويه، واصطكت ركبتاه"[2].حتى وان كان ما ذكره العهد القديم حول ما أصاب الملك البابلي من فزع، وكذلك تأويلات دانيال هو من نسج خيال كتبه التوراة، فإن ذلك يمكن ان يقدم دليلا على محاولات اليهود لبث روح التراخي والشك في قدرات البابليين على الصمود. فلو سلمنا جدلا بان كل هذه التأويلات لم يكن لها نصيب من الصحة، غير ان اليهود لابد وان كانوا يبثون دعايات مشابهة لها بين السكان لكي يتمكنوا من زعزعة الثقة بقوتهم، وإنهم غير قادرين على صد العدو المرتقب، وان ذلك لا يمكن ان يتم بمعزل عن معرفة كورش، بل العكس كان ذلك جزء من خطة مسبقة تم بها إثارة الشك وعدم الثقة تمهيدا لتحقيق الانتصار.

-التحرك الاخميني وسقوط بابل:

١.استعدادات نابونائيد العسكرية:

كان نابونائيد قد عاد إلى بابل نتيجة لتزايد الخطر الفارسي، وكذلك بسبب ان السلطة المركزية الكبيرة في عهد نبوخذنصر أخذت تتحطم بشكل كبير تحت حكم بيل-شار-اوصور[3]،وهو في بابل بدء يعد العدة من اجل التصدي للخطر الفارسي، غير إننا لا نمتلك الكثير من المعلومات عن إجراءات نابونائيد العسكرية التي تركزت في توحيد القبائل الآرامية والعربية ما بين حران وتيماء، وان محاولته هذه كان سيكتب لها النجاح لولا المعارضة التي أعلنها الكهنة نتيجة لمحاولة نابونائيد تفضيل سين على الإله مردوك كما رأينا .

---

[1] دانيال،٥: ٢٧.

[2] دانيال،٥: ٦.

3) Olmstead, History Of Persian Empire,p.45.

حاول نابونائيد بوسائل عدة اتخاذ إجراءات كفيلة من شانها الدفاع عن البلاد، إذ لم تكن تحركات كورش الاخميني خافية عن أنظار نابونائيد، فوثيقة الأخبار تؤكد ان نابونائيد كان يعرف الكثير عن تحركات كورش، فما ان وصلت أخبار سقوط ميديا بيد كورش عام ٥٥٠ ق.م[١]،حتى نجده يتحسب للخطر، إذ يذكر ان الإلهين مردوك وسين اخبراه في الحلم عن مجيء كورش[٢].

كان الملك البابلي كان على حلف مع كورش كما نعرف ضد الملك الميدي، بيد انه ترك حليفه السابق وكون مع مصر وإسبارطة حلف مضاد لكورش[٣]،إذن ما هو الذي دفع الملك البابلي إلى سحب تأييده لكورش؟

قام كورش أثناء حملته على مملكة ليديا، بقيادة جيشه بامتداد الطريق المحاذي لسلسلة جبال طوروس خلال سهل الجزيرة، وبعد ان عبر نهر دجلة جنوب نينوى، وزحف غربا بطريق حران، قام باحتلال كيلكية التي كانت تابعة وقتذاك لبابل كاسرا بذلك وثاق الحلف المعقود مع نابونائيد، مما دفع البابليين إلى الانحياز إلى جانب مملكة ليديا مع المصريين حلفائها التقليدين[٤]،كما ان كورش أثناء تحركه قد سيطر على المدينة الاستراتيجية حران[٥].

حاول نابونائيد ان يعطي لتحركاته طابعا دينيا، فقام أثناء الهجوم الفارسي بجمع كل تماثيل الآلهة في عاصمته، تماثيل أعظم الآلهة قدسية، ولا ريب انه أثار سخط الكهنة[٦]،وان من وجهة النظر الدينية ان الآلهة لم تساعد نابونائيد لأنها قد هجرت الملك المدنس! ولم يعد أمره مطاعا[١].

---

1) Oppenheim,Text from the Accession year of Nabonidus,p.305.

(٢) مارغريت روتن،علوم البابليين،ترجمة:يوسف حبي،(بغداد:دار الرشيد للنشر،١٩٨٠)،ص٥٩.

3) Olmstead, History Of Persian Empire,p.45.

(٤) رو،العراق القديم،ص٥١٥.

5) Ghirshman,Iran,p.130.

6) Olmstead, History Of Persian Empire,P.49.

تشير كتابات نابونائيد إلى انه أعاد تعمير السور الداخلي لمدينة بابل، وربما قد عمر السور بأكمله أو معظمه[٢]،ولكن لا نعرف ان كان نابونائيد قد باشر بتعمير السور مع اقتراب الخطر الفارسي. ونقرأ في إحدى النصوص ان الحاميات البابلية كانت منتشرة في كافة أنحاء البلاد: " لقد أودع المعسكر لابنه الأكبر، وضع الفرق في كل مكان من البلاد تحت إمرته"[٣].ويتحدث هيرودوت عن أعمال تحصينات قامت الملكة نيتوكريس وهو الاسم الاغريقي لادد–گوبي الذي يذكر إنها أم ليبنيتوس(نابونائيد)،وربما كانت هذه الأخبار التي نسبها هيرودوت لنيتوكريس هي صدى الأعمال نابونائيد الدفاعية، فهو يقول ان هذه الملكة بذلت جهودا كبيرة لتعزيز الدفاع عن إمبراطوريتها، فأول عمل قامت به هو إنها أمرت بتحويل مجرى الفرات فبعد ان كان النهر يجري بشكل مستقيم نحو بابل، فإنها بواسطة الحفر التي أجرتها أصبح النهر متعرجا بحيث يرى ثلاث مرات أمام إحدى القرى في بلاد أشور، والتي تدعى(Arderica)، كذلك أقامت هذه الملكة سدا على امتداد كل جانب من جوانب النهر في غاية السعة والامتداد، كما إنها حفرت بحيرة قرب بابل عند مجرى النهر بلغت سعتها حدا كبيرا، وطول محيطها ٤٢٠ فرلونج[٤]،وهو رقم مبالغ فيه كثيرا، واستخدمت التراب المستخرج من حفر البحيرة وبنت به سدا على مجرى النهر، ويذكر هيرودوت إنها بعد ان أنجزت ذلك جلبت نيتوكريس الحجارة ورصفت بها أطراف الحوض. ونتيجة لذلك غدا النهر متعرجا وتم حفر البحيرة، وأصبح جريان النهر بطيء وبذلك اصح النهر دائريا وبحيث يغدو من الضروري في نهاية الرحلة الاقتراب من البحيرة والقيام وبدورة

جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩)،ص٢٤؛الطعان،الفكر السياسي في العراق القديم،ص٣٩٣.

1) Olmstead, History Of Persian Empire,p.38.

[٢] غزالة،الدولة البابلية الحديثة،ص١٩٦.

3) Oppenheim ,Nabonidus and the Clergy,p.313.

[٤] الفرلونج(Furlong):يساوي ١٧،٢٠١ وبذلك يساوي محيط البحيرة (٩١٤،٨٤٤) انظر:فواد جميل، هيرودوتس في العراق،(بغداد:مطبعة الحكمة،١٩٦٢)،ص٢.

طويلة فيها، وكان هدف نيتوكريس حسب ادعاءات هيرودوت هو قطع كل اتصال محتمل بين البابليين والميديين الذي ربما قصد بهم هنا الفرس[١].ولكن لا نعرف مدى مصداقية هيرودوت، وهل هذه الإنجازات يمكن ان ننسبها إلى نابونائيد ،غير ان المصادر المسمارية لم تذكر لنا شيئا عن هذه الأعمال.

٢.التحرك الاخميني واحتلال بابل:

بدأت بوادر الخطر الفارسي على العراق في وقت مبكر، حتى قبل سقوط دولة ليديا ، إذ قام كورش عام ٥٤٧ ق.م بعبور نهر دجلة من الجهة الجنوبية لمدينة اربيل، ويذكر الأستاذ هديب ان كورش قتل حاكم المدينة المحلي المنصب من قبل نابونائيد، وبذلك فرض سيطرته على الأنهار العليا لدجلة[٢].غير ان وثيقة الأخبار لا تؤيد ذلك الافتراض، إذ تذكر أحداث العام التاسع: "استدعى كورش في شهر نيسان جيشه، وعبر نهر دجلة أسفل مدينة اربيلا"[٣]،ولا تذكر الوثيقة شيء عن مقتل الحاكم المحلي. ربما كان تحرك الجيش الفارسي نحو اربيل قد تم عند نقطة قرب مخمور الحالية، ولم تكن هدفه، وإنما كانت نقطة مروره إلى أسيا الصغرى.وربما أيضا كان يهدف إلى جس نبض القوات البابلية ومدى استعداداتها. ويعتقد الأستاذ الأحمد ان رد فعل البابليين كان سريعا، إذ نعرف عن تجمع للجيوش البابلية بأمر من بيل– شار–اوصور عام ٥٤٧ ق. م قرب مدينة كوراشو (قرب اليوسفية) تحسبا من تطور الأحداث[٤].إلا ان وثيقة الأخبار لا تؤيد ذلك، إذ نقرا ان أم الملك نابونائيد قد توفيت في ٥ نيسان في دور كوراشو وتقول الوثيقة: "أقام ولي العهد وجيشه مناحة رسمية في الصباح الباكر

---

1) Herodotus, The Histories of Herodotus, Translated Harry Carter (London,1962), I: 185.

(٢) غزالة،الدولة البابلية الحديثة،ص١٩٠.

3) Oppenheim ,Text from The Accession year of Nabonidus,p.306; Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles,p.104.

(٤) الأحمد،الصراع،ص٧٩.

لأيام ثلاثة"[١]،وبذلك ان تجمع الجيوش البابلية عند منطقة كوراشو ليست لها علاقة بالتحركات الاخمينية. ونقرا في أخبار سنة ٥٤٦ ق.م انه في ٢١ سيمانو (Simanu)،(حزيران)،ان العيلاميين كانوا في أكد، وان حاكما اخذ يحكم الوركاء[٢]،وان وجود نقص في وثيقة الأخبار البابلية الخاصة بأحداث عام ٥٤٥ ق.م تجعل تحركات كورش في هذه السنة غامضة، إذ تذكر:" ... دجلة ... في شهر آذار عشتار الوركاء ... الـ.... بلاد البحر ... حيث قام جيش بالهجوم .... "[٣].ويعتقد الأستاذ الأحمد بناء على ما ورد في أخبار عام ٥٤٦ ق.م ان حاكما فارسيا من قادة كورش قد دخل البلاد وصار حاكما في الوركاء[٤].فإذا صحت هذه الحقيقة فان بابل قد أصبحت في فكي كماشة. غير إننا لا نعرف معنى هذه الحقيقة بالضبط فهل ان القائد ترك ملكه ولجأ عند الملك البابلي؟ ولكن لا يمكن لنابونائيد ان يعينه حاكما على أية مدينة، أو ان قوة فارسية انتهزت فرصة غياب نابونائيد في تيماء فاخترقت الحدود لفترة من الزمن إلى الوركاء؟[٥].غير ان الوركاء بقيت بيد نابونائيد رغم الغارة العيلامية[٦]،ويبدو من أحداث عام ٥٤٥ ق.م هجوما قد تم على بلاد بابل لا نعرف تفاصيله، ويبدو ان كورش أثناء تحركاته قد تمكن من السيطرة على بلاد أشور، ويرجح معظم الباحثين من ان كورش توجه إلى بلاد أشور عن طريق همدان–كرمانشاه-اربيل، وهو الطريق التاريخي المؤدي إلى حران، واغلب الظن ان كورش قد وصل اربيل وانحدر بعدها إلى مدينة بابل متبعا الطريق ما بين مرتفعات حمرين ونهر دجلة، وعبرت جيوشه ذلك النهر عند

---

1) Oppenheim , Text from The Accession year of Nabonidus, p.306; Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles,p.104.

2) Ibid ,p.306.

3) Ibid,p.306.

(٤) الأحمد، الصراع، ص٧٩ .

(٥) المصدر نفسه، ص٨٠.

(٦) ساكز، عظمة بابل، ص١٨٠.

مدينة اوبس[١].وقد تمكن كورش في هذه الأثناء من الحصول على ولاء حاكم گوتو المدعو گوبارو[٢]،.ويبدو ان گوتو اخذت تعني في هذه الفترة في المصادر البابلية عيلام[٣].

هاجم كورش العراق معتديا في تشرين الأول ٥٣٩ ق.م حيث اصطدم بالجيش البابلي عند مدينة اوبس، وتخبرنا وثيقة الأخبار البابلية عن اضطراب الأوضاع في بلاد بابل أثناء الهجوم على اوبس: "في شهر تشرين الأول عندما هاجم كورش جيش أكد في اوبس على نهر دجلة، ثار السكان في أكد، ولكن نابونائيد نزل تقتيلا بالسكان كيفما اتفق"[٤].لا نعرف حقيقة هذه الإشارة هل ان سكان أكد ثاروا على نابونائيد مستغلين هجوم كورش؟ أم ان لكورش عملاء داخل بابل أشعلوا نار الثورة باتفاق مع كورش على ان تكون ثورتهم متزامنة مع هجوم الأخير على البلاد؟ غير ان الوثيقة تؤكد ان نابونائيد قمع الثورة[٥].كان الجيش البابلي يقوده بيل–شار–اوصور الذي خرج إلى اوبس، وفي معركة بين الطرفين حقوق كورش أول انتصار على القوات البابلية[٦]،ويخبرنا بيروسوس ان الجيش

---

[١] جابر خليل إبراهيم،"منطقة الموصل في فترة الاحتلال الأجنبي:الاخميني والسلوقي والفرثي،بحث ضمن موسوعة الموصل الحضارية،(الموصل :دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٩١)،ج١،ص١٢٩.

2) Rogers, A History of Babylonia and Assyria,Vol:2,p.378; Olmstead, History Of Persian Empire,p.4 ;Sir Percy Sykes, History Of Persia,(New York,1958),Vol,1,p.151; Clemnt Huart, Ancient Persia & Iranian Civilization, (London,1972),p.41.

3) Olmstead, History Of Persian Empire,p.45.

4) Oppenheim, Text from the Accession year of Nabonidus, p.306.

[٥] يرجح الأستاذ الأحمد الرأي الثاني.انظر:سامي سعيد الأحمد،"التحديات في العصرين البابلي البابلي الحديث والمتأخر"،بحث ضمن كتاب: العراق في مواجهة التحديات،(بغداد،دار الحرية للطباعة،١٩٨٨)،ج١،ص٩٢.

6) Leonard W. King, A History Of Babylon, (London,1919),p.283.

البابلي قد تقابل في شهر أب من عام ٥٣٩ ق.م مع الجيش الاخميني عند مدينة اوبس الواقعة على نهر دجلة، وقتل خلال المعركة بيل–شار–اوصور[١].

عهد كورش إلى گوبارو قيادة الجيش الفارسي المتجه إلى سيبار، والتي كان بها نابونائيد كما يتضح من وثيقة الأخبار: "في اليوم الرابع عشر احتلت سيبار من دون قتال، وفر نبونائيد"[٢]. وهكذا سقطت سيبار في ١٤تشرين الأول ٥٣٩ ق.م، وربما كان نابونائيد قد فكر بالانسحاب والتحصن في بابل عندما رأى عدم قدرته على مقاومة العدو في سيبار، وان احتلال سيبار كان مهما لما لها من أهمية كبيرة لكونها خط الدفاع عن بابل[٣].

تقدمت الجيوش الفارسية نحو بابل، وتذكر وثيقة الأخبار البابلية انه: "في اليوم السادس عشر دخل گوبارو حاكم گوتيوم(Gutium)، وجيش كورش إلى بابل من دون قتال"[٤].وبأي حال سقطت بابل بعد يومين من سقوط مدينة سيبار إلا ان ذلك يثير التساؤلات فالمسافة بين المدينتين حوالي ٩٠كم، وقطع هذه المسافة في تلك العصور يتطلب أكثر من يومين فكيف يكون الفرق بين الاحتلال سيبار وبابل يومان فقط؟ فمن المعقول الافتراض بان الجيش المعادي المتقدم لابد وان حصل على معونة ودعم من عناصر محلية، ومنهم يهود الأسر البابلي فمدينة بابل حصينة، وليس من السهل على أي عدو دخولها[٥].

---

[١] طه باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)،ص٤٩ .

[2] Oppenheim ,Text from the Accession year of Nabonidus, p.306; Grayson , Assyrian and Babylonian Chronicles,p.109.

انظر كذلك:

L. Delaport, Mesopotamia, Translated: V. Gordon Childe,(London, 1925),p.59; Olmstead, History Of Persian Empire,P.50; E. Hareinck, Babylonian under Achemenide Rule, In: Mesopotamia and Iran In the Persian period: Conquest and Imperialism ,(London ,1997),p.26.

[٣] الأحمد ،الصراع،ص٨٠.

[4] Oppenheim ,Text from the Accession year of Nabonidus,p.306; Grayson ,Assyrian and Babylonian Chronicles,p.109.

[٥] الأحمد،الصراع،ص٨١ .

سقطت بابل من غير مقاومة تذكر باستثناء الإشارات التي أوردها هيرودوت التي نستشف منها عن وجود مقاومة، فهو يذكر ان كورش قد وصل إلى نهر جنديس (ربما نهر ديالى)،الذي ينبع من جبال(Matieni)(موقعه غير معروف حاليا) ،ويجري عبر ارض الدردانيين (Dardeans) الذي يصب في نهر دجلة، وقد صعب على كورش عبوره، لهذا فانه اجل هجومه على بابل، وقسم جيشه إلى قسمين، ووضع علامات لـ (١٨٠) قناة على كل جانبي نهر جنديس ثم أمر جنوده بان يقوموا بالحفر بعض منهم على هذا الجانب، والأخر في الجانب الثاني من النهر وهكذا فرق مياه النهر إلى ٣٦٠ قناة بعدها عبر النهر، وسار إلى بابل[١].أما البابليون فقد عسكروا خارج الأسوار في انتظار قدوم كورش، وقد جرت معركة على مسافة قريبة من المدينة دحر فيها البابليون، فارتدوا إلى ما وراء خطوطهم الدفاعية[٢].

كان البابليون قد أغلقوا أسوار المدينة، وخزنوا المواد الغذائية التي تكفيهم لسنين عديدة. فقام كورش بعدها بعدة إجراءات من اجل اقتحام المدينة، ووضع جزء من قواته في النقطة التي يدخل منها النهر إلى مدينة، ووضع الجزء الأخر المكان الذي يخرج منه النهر، واصدر أوامره لقواته بان يسيروا نحو المدينة عند ما يصبح النهر ضحلا، وانسحب هو وقسم من قواته إلى المكان الذي حفرت فيه نيتوكريس حوض النهر، وكرر ما قامت به الملكة من عمل فقد حول مجرى النهر (الفرات) إلى الحوض، وكان الحوض أشبه ما يكون بالمستنقع ينساب إليه ماء النهر الذي انخفضت مياهه ألان، والذي لم يتعد عمقه ركبة رجل، وبهذه الوسيلة استطاعوا دخول المدينة. أما البابليون فقد أغلقوا جميع الشوارع المطلة على النهر، وارتقوا أسوارهم وبذلك وضعوا العدو في مصيدة، لكن الفرس باغتوا البابليين، واستولوا على مدينتهم، ولما كانت المدينة كبيرة فان سكان المدينة في داخلها لا يعرفون ان الأجزاء الخارجية قد سقطت، وكان السكان يحتفلون بإحدى أعيادهم، وهكذا تم استيلاء الفرس بابل[٣].ومع ذلك فأننا لا

---

1) Herodotus, The Histories of Herodotus,I:189-190.

2) Ibid,I:190.

3) Ibid,I:190-191.

يمكن ان نأخذ بكل تفاصيل ما ذكره هيرودوت لأنه لا يتطابق مع المعلومات التي تقدمها وثيقة الأخبار البابلية.

لم يكن نابونائيد يعرف ان بابل قد سقطت فبعد انسحابه من سيبار عاد إلى بابل، وتذكر وثيقة الأخبار: "عندما عاد نابونائيد إلى بابل، بعد الحرب تم اعتقاله فيها"[١].على أي حال لم يكن كورش هو الذي دخل بابل إنما گوبارو كما ذكرنا، أما نابونائيد فيذكر بيروسوس ان نابونائيد قد نفي إلى كرمان[٢].غير ان گرشمان يفترض ان الملك البابلي قد اخذ أسيرا بيد ان كورش عامله برحمة كبيرة[٣].وينفرد دانيال بمعلومات أخرى عن احتلال بابل، فهو يذكر ان بابل سقطت بيد داريوس المادي وكان عمره (٦٢) عاما[٤].ويعود دانيال يقول ان داريوس هذا هو ابن احشويرش من نسل الماديين الذي ملك مملكة الكلدانيين[٥].ولا نعرف من أين استقى دانيال معلوماته، ويبدو ان الأحداث قد اختلطت عليه بشكل كبير. أما كورش فلم يدخل بابل مباشرة وإنما دخلها في يوم ١٣تشرين الثاني٥٣٩ ق.م، كما يرد في وثيقة الأخبار[٦].

-الإدارة الاخمينية في وادي الرافدين

لم يكن احتلال بابل عام ٥٣٩ق.م حدثاً اعتيادياً في تاريخ الشرق الأدنى القديم، إذ ان احتلالها ولد فراغاً سياسياً كبيراً، فلم تكن بابل مثل دولة ليديا المتأغرقة وليدة الظروف السياسية، كذلك لم تكن مثل دولة الميديين والفرس

---

1) Oppenheim ,Text from the Accession year of Nabonidus,p.306.

2) Huart, Ancient Persia & Iranian Civilization,p.42.

3) Ghrishman,Iran,p.131-132.

(٤) دانيال،٥: ٣١.

(٥) دانيال، ٩: ١.

6) Oppenheim ,Text from the Accession year of Nabonidus,p.306.

انظر كذلك:

Olmstead, History Of Persian Empire,P.50; Hareinck, Babylonian under Achemenide Rule,P.26;

أنفسهم التي كانت وليدة للتكتلات القبلية للقبائل الميدية أو الفارسية، وإنما كانت دولة بابل الأخيرة هي نتاج الموروث الحضاري الطويل عبر ثلاثة آلاف سنة من تاريخ وادي الرافدين، تكاملت فيها التجارب، والقيم الحضارية. وأن احتلال بابل كان بداية لعصر مظلم طويل أستمر من (٥٣٩ق.م.-٦٣٧م) عندما تحرر العراق من السيطرة الفارسية الساسانية. وقد ظلت ذكرى احتلال بابل ماثلة حتى عصور متأخرة، وكان فالقديس أوغسطين يعبر عن سقوط روما بقوله "بابل الثانية"[١].

على أية حال كان سقوط بابل قد طوى صفحة مهمة من تاريخ العراق القديم، وحول بابل من مملكة مترامية الأطراف قوية إلى مجرد ولاية أخمينية من ولايات كورش الكبير .

أطلق على بلاد الرافدين عدة مسميات عبر تاريخه الطويل، فالمعروف أن القسم الجنوبي من السهل الرسوبي يعرف ببلاد سومر، أما القسم الأوسط من السهل فيعرف ببلاد أكد، وجاءت في الكتابات الاكدية التسمية على هيئة مات شومريم (بلاد السومريين)(Mat Šumeriam) ومات أكديم (بلاد الأكديين)(Mat Akkadiam)، ولا توجد حدود طبيعية واضحة بين ما كان يسمى بلاد أكد وبلاد سومر، بيد أنه يمكن القول بوجه عام ان القسم الأوسط من السهل الرسوبي أي من حدود بغداد، حتى جنوب مدينة الحلة كان بلاد أكد، وإلى الجنوب من ذلك بلاد سومر[٢].وقد ورد مصطلح بلاد سومر وأكد في نص كورش الاخميني[٣].أما في العصر الاخميني فقد كان العراق ضمن ولاية عبر ناري (Ibir-nari)[٤].

كانت بابل وأشور تؤلف ولاية اخمينية واحدة وهي الولاية التاسعة من ولايات الإمبراطورية، وكانت تدار من قبل حكام اخمينيين طوال الفترة التي استغرقها تاريخ الإمبراطورية الفارسية، باستثناء بعض الفترات القصيرة التي

---

(١) عبد القادر اليوسف، العصور الوسطى الأوربية، (بيروت:بلا.مط، ١٩٦٧)، ص١٣ .

(٢) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جـ١، ص١١.

3) Oppenheim,Cyrus, In: ANET,(Pernston,1966),P.316.

(٤) الأحمد، العراق القديم، جـ١ ، ص١٣٨.

استقلت فيها بلاد بابل عن الحكومة المركزية نتيجة الثورات الوطنية التي قامت في بلاد بابل. ويبدو ان الولاية قد فصلت إلى ولايتين فيما بعد وهما ولاية بابل وأشور[١]،وألحقت ببلاد أشور، سوريا، وفلسطين، وقبرص[٢].

اتبع الفرس في إدارة ولاية بابل نظاماً إداريا موحداً ودقيقاً، اعتمد أساساً المبادئ التي وضعها الملوك الأشوريين في القرن الثامن والسابع قبل الميلاد في إدارة الأقاليم والمقاطعات الأشورية مع تطوير وتغيير بعض الأساليب الإدارية بما يتلاءم والظروف التي تمر بها الإمبراطورية الاخمينية، فكان يحكم كل ولاية حاكم فارسي عام يعينه الملك ويلقب ستراب ينتخب غالباً من بين أفراد الأسرة المالكة أو الطبقة النبيلة، وكان مسئولا مباشراً أمام الملك[٣].

كانت بابل ذات فائدة كبيرة للفرس فهي أهراء للحبوب، ودار صناعة للإمبراطورية الفارسية، فضلا عن ذلك كانت العقدة الرئيسية لشبكة الموصلات البرية الداخلية للإمبراطورية[٤].ويذكر هيرودوت ان من بين الولايات الفارسية أفضلها ولاية بابل[٥].

تذكر وثيقة الأخبار ان گوبارو دخل بابل في(١٦ تشرين الأول ٥٣٩ ق. م) بدون قتال، أعقبها اعتقال نبونائيد. وقد اتخذ گوبارو عدة إجراءات وقتية قبل قدوم كورش إلى بابل منها ما نصت عليه وثيقة الأخبار: "حتى نهاية الشهر مكث حاملو الدروع الگوتيون في ايساگيلا، ولم يحمل أحد منهم السلاح في ايساگيلا ومنشأته، ولم يفوتوا الفرصة السانحة للاحتفال"[٦].وبعد دخول كورش بابل أعلن حالة السلام فالوثيقة تذكر: "دخل كورش بابل في اليوم الثالث عشر من شهر اراخشامنو، وبسطت أمامه أغصان خضراءنوقد فرضت حالة السلام على

---

[١] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،جـ٢،ص٤٣٦؛طه باقر وآخرون،تاريخ العراق القديم،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)،ج١،ص٢٦٢.

[٢] إبراهيم، منطقة الموصل في فترة الاحتلال الأجنبي،ص١٣٠.

[٣] باقر وآخرون،تاريخ العراق القديم،ج١،ص٢٦٢-٢٦٣.

[٤] توينبي،تاريخ البشرية،جا،ص١٩٠.

[٥] التكريتي،العراق في تاريخ هيرودوت،ص١٩.

6) Oppenheim,Text from the Accession year of Nabonides, p.306.

المدينة. وأرسل كورش تحياته إلى بابل كلها"[١].في حين نجد ان بيروسوس يذكر ان كورش أصدر أوامره بهدم السور الخارجي لمدينة بابل[٢].إلا ان ذلك لا يمكن ان نقره لعدم وروده في المصادر البابلية المعاصرة للإحداث.

تضاربت الأخبار في إجراءات كورش في بابل، إذ يعتقد البعض ان كورش لم يسمح بعد دخوله بابل بنهب المدينة وسلبها، أو ان يفسد مؤسساتها الدينية أو إداراتها المدنية[٣].إذ لم يجري تدمير المدينة مثلما كانت قد دمرت نينوى من قبل، بل عوملت بابل بكل احترام، فمنذ اليوم الأول للاحتلال الفارسي بذل المحتلون قصارى جهدهم لتجنب كل ما من شأنه الإساءة إلى البابليين، وإثارة الحساسيات بأي شكل من الأشكال. وبذلت جهود كبيرة لإعادة توطين أهلها في مساكنهم ولفرض القانون والنظام في أرجاء البلاد[٤].وأراد كورش بهذا العمل إرضاء السكان، وطبقة الكهنة ليكسبهم إلى صفه ضد أي شعور قومي ينبع فجأة من بين صفوف السكان[٥].ولكن مع ذلك نقرأ في حولية بابلية ان كورش أحرق أهل أكد بالنار[٦].كان أول تصريح لكورش في بابل هو إعلانه عن شخصيته الملكية، إذ يذكر:" أنا ابن كمبوزيا الملك العظيم، ملك انشان، حفيد كورش الملك العظيم، ملك انشان، سليل جيشبش الملك العظيم، ملك انشان، من أسرة مارست الملكية دائماً"[٧].ويبدو ان هدف التصريح هو أن كورش أراد أن

---

1) Oppenheim,Text from the Accession year of Nabonides, p.306; Grayson ,Assyrian and Babylonian Chronicles,p.110.

(٢) الجاف، حسن الجاف،الوجيز في تاريخ إيران،(بغداد:مكتب القدس للطباعة،٢٠٠١)،جـ١،ص٤٩.

(٣) ساكز،عظمة بابل،ص١٨١-١٨٢.

(٤) رو،العراق القديم،ص٥١٨.

(٥) مؤيد سعيد، "العراق خلال عصور الاحتلال" ،بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ،(بغداد-التاريخ،(بغداد-دار الحرية للطباعة ،١٩٨٣)،ص٢٤٠.

6) Olmstead, History Of Persian Empire,P.50.

7) Oppenheim,Cyrus,p.316.

أن يثبت للبابليين أنه سليل أسرة ملكية نبيلة وليس مجرد فاتح مغامر. هذا وقد اتخذ كورش لقب ملك سومر وأكد، وملك الجهات الأربعة[١].

حاول كورش كأول إجراء سياسي اتخذه أن يبين للسكان أن الإله مردوك هو الذي اختاره لحكم البلاد بقوله: "مردوك ألقى ببصره على كل البلاد، وبعد أن رآها جيداً راح يبحث عن ملك عادل قريب إلى قلبه يستطيع أن يقوده بيده"[٢].ويقول كورش أيضاً: "لقد نظر الإله مردوك نظرة فرح إلى أعماله الخيرة، وقلبه العادل، وأمره بأن يذهب إلى مدينته بابل ....وكصديق، ورفيق مشى إلى جانبه"[٣].ويضيف كورش قائلاً: "كل الآلهة الذين أعدتهم إلى مذابحهم يومياً، أمام بعل (مردوك) ونابو مدوا يد عون لي بالعمر الطويل، وليتهم يحدثون الآلهة مردوك، سيدي عن كورش...وعن ولده قمبيز"[٤].وفي نص يقول كورش أن مردوك ونبو يحبان حكمه[٥].ويتضح من نص بابلي أن كورش أعلن حالة السلام، السلام، وعمل على تقديم القرابين للآلهة البابلية:"......لسكنة بابل أعلن كورش حالة السلام...أبعد القوات العسكرية من معبد أي–كور، نحر الذبائح الكبيرة بالبلطة، ونحر عدداً من الخراف، وأمر بزيادة العطايا المنتظمة لسيد السادة، ابتهل، وصلى على الدوام للآلهة، تمدد ساجداً على وجهه ليفعل...ما هو عزيز على قلبه"[٦].ويدعي كورش في نصوصه بأنه رجل السلام. ثم أمر كورش بإعادة آلهة سومر وأكد التي كان نبونائيد قد نقلها إلى بابل أثناء الحرب إلى مقراتها حتى الآلهة الأشورية التي أسرها الميديون لدى اجتياحهم أرضها أعيدت إلى معابدها بعد ان أعيد بناؤها[٧].ويدعي كورش ان السكان قد استقبلوه بالترحاب[١]،إذ

---

(٥) إبراهيم، منطقة الموصل في فترة الاحتلال الأجنبي،ص١٢٩.

٢) الطعان،الفكر السياسي في العراق القديم،ص٥٣٧ .

٣) مارغريت روتن،تاريخ بابل،ترجمة:زينة عازرا وميشال أبي فاضل،(بيروت:منشورات عويدات،١٩٧٥)،ص١٧١.

(٤) المصدر نفسه،ص١٧٢.

5) Oppenheim ,Cyrus ,p.316.

6) Oppenheim ,Nabonidus and Clergy,p.314-315.

7) Ghirshman,Iran ,p.132.

نقرأ:" انحنى له كل شعب بابل فضلا عن كل بلاد سومر وأكد بأمرائها وحكامها ولثموا قدمه سعيدين باستلامه الملكية، وبوجوه مشرقة بالسعادة حيوه كسيد، استطاعوا بعونه الانتقال من الموت إلى الحياة، اذ جنبهم الأذى والكارثة جميعاً فعبدوا اسمه"[٢].ويبدو ان البابليين تقبلوا كورش لكي تنجو مدينتهم من الخراب والدمار[٣].

بالرغم من ادعاء كورش في كتاباته بأنه قد عامل سكان العراق جيداً، وخلع عنهم طوق الذل، فلدينا أدلة توضح مضايقات حكومته الفارسية للمواطنين بغية ابتزاز أموالهم[٤].وهذا يناقض الرأي القائل أن العديد من البابليين قد بدا لهم أن احتلال الفرس لبلادهم ليس أكثر من مجرد استبدال سلالة حاكمة بأخرى[٥]. فلو كان الأمر كذلك لما اخذ كورش يحاول ان يبرر في حكمه لبابل بأنه ادعى بكونه الخليفة الشرعي للملوك السابقين[٦].

لم يغير كورش النظام الإداري في بابل، وان السبب في ذلك يرجع إلى أنه كان نظاماً متكاملاً، وأنه لقب نفسه بلقب ملك البلدان، وملك بابل[٧].

عين كورش گوبارو قائد احتلال بابل في منصب ثانوي كما تذكر وثيقة الأخبار البابلية[٨].ويبدو أن كورش من اجل إرضاء السكان عين احد الأهالي ويدعى نابو-أخي-بوللط حاكماً عليها، غير أن السلطة الحقيقية كانت بيد قمبيز ابن الملك الفارسي[٩].اذ كان كورش قد أشرك ابنه الأكبر في الحكم خلال الثمان

---

1)) Olmstead, History Of Persian Empire,pp.50-51; Ghirshman,Iran ,p.132.

2) Oppenheim,Cyrus,pp.315-316.

رو،العراق القديم،ص٥١٨ .

(٣) لوكاس، حضارة الرقم الطينية، ص٨٨.

(٤) الأحمد، الصراع، ص٨٢.

(٥) رو، العراق القديم، ص٥٤٥.

(٦) الطعان االفكر السياسي في العراق القديم، ص٦٥٨.

(٧) باقر وآخرون، تاريخ إيران القديم، ص٥٠.

8) Oppenheim ,Text From the Accession year of Nabonidus,p.306.

(٩) باقر وآخرون، تاريخ إيران القديم، ص٥٠.

سنوات الأخيرة من حكمه، وحمل لقب ملك بابل[١].ويرد في النصوص البابلية اسم قمبيز وأبيه كورش بألقابهما كما يلي:

"Kam-bu-zi-ia šar babili Ina u-mu-mu šu-ma Ku-ra-šu abu-šu šar matati"

في أيام قمبيز ملك بابل، كان أبوه كورش ملك البلدان"[٢].

أمر كورش بإجراء تعميرات فورية في بابل، وإعادة بناء ما تهدم منها، إذ تنص وثيقة على ذلك :"صمم بفكره ليصلح ويرمم أحياء بابل، هو نفسه حمل الفأس والمجرفة وسلة التراب، وأخذ في إكمال تشييد سور بابل. الخطة الأصلية لنبو خذ نصر أنجزها السكان بقلبٍ راضٍ ......لقد بنى حصناً حول سور امگر– اينليل. تماثيل من الذكور والإناث أعادها إلى أماكنها الـ ...من هجرت معابدها أعادها إلى أماكنها، هدأ غضبها وأراح فكرها ...من كانت قوتها متضائلة أعادها ثانية إلى الحياة لأن طعامها صار يقدم بشكل منتظم لها ذلك بحق ما غيره ....لقد بنى كل المعابد ......حكمه الملكي...اجتث ....من ...حملتها الرياح بعيداً ....صورته (رمزه) إزالة ......في كل المعابد أزال تدوين اسمه منها...على أي حال، مما أوجدوه نبونائيد جعل كورش النار تحرقه...ما أوجده نبونائيد أطعمه كورش للنار. لأهالي بابل أعطيت لهم بهجت القلب الآن، إنهم مثل السجناء حينما يفتح السجن أعيدت لهم الحرية التي اكتنفها الظلم كل المسرة تظهر على محياه كملك ..."[٣].كما أن كورش أمر بإعادة ترميم معبد الإله سين في أور، ومعبد أي – أننا في الوركاء[٤].

كان قمبيز هو الذي يدير ولاية بابل، وكان مركز إدارته في سيبار، وكان هو الذي تناول يد الإله مردوك في احتفالات رأس السنة الجديدة لعام(٥٣٨ ق.

---

1) Huart, Ancient Persia & Iranian Civilization,p.46.

(٢) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٠.

3) Oppenheim ,Nabonidus and Clergy ,p.315.

(٤) رو،العراق القديم،ص٥٤٩.

م.)[1].وهناك نص يرد في وثيقة الأخبار غير مفهوم تماماً يمكن أن نستنتج منه قيام قمبيز بتطبيق الطقوس الدينية البابلية[2].

في عام (٥٣٥ ق. م) قام كورش بضم فلسطين، وسوريا، وبلاد فينيقيا إلى بابل، وشكل منها جميعاً مقاطعة واحدة أطلق عليها اسم بابل وعبر ناري أي عبر النهر، ويعتقد ان قبرص كانت ضمن ولاية عبر النهر[3].

اتخذ كورش بعد دخوله بابل قراراً بإعادة اليهود الأسرى في بابل إلى فلسطين[4].ويدعي عزرا أن كورش قد أعاد أنية الرب التي أخذها نبو خذ نصر عندما هاجم مملكة يهوذا، وقد أعادها على يد مثردات الخازن إلى ششبصر رئيس يهوذا[5].ويخبرنا عزرا كذلك عن هذه الآنية وهي: ثلاثون طستاً من الذهب، وألف طست من الفضة، وتسعة وعشرين سكيناً، وثلاثون قدحاً من الذهب، وأقداح فضة من الرتبة الثانية، و(١٤١٠) من آنية أخرى، وجميعها (٥٤٠٠)آنية[6].ومن الجدير ذكره أن ديودروس الصقلي يذكر هناك منضدة للآلهة الثلاثة زوس وهيرا و ريا، وهي تقابل الآلهة العراقية مردوك، وصربانيتوم، وعشتار على التوالي معمولة من الذهب المطروق أمامها طولها (٤٠قدماً)، وعرضها (١٥قدماً)، ووزنها (٥٠٠طالنت)، وقد وضع فوقها أكواب شراب وزنها (٣٠طالنت)، مع مبخرتين زنة كل واحدة (٣٠٠طالنت)، وثلاث طاسات خلط

---

(١) المصدر نفسه،ص٥٤٥.

2) Oppenheim,Text From the Accession year of Nabonidus , p. 306-307.

(3)Olmstead, History Of Persian Empire,p.56.

باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٠؛عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم،(الموصل:مطبعة جامعة الموصل،١٩٧٨)،ص٣٧٤.

(٤)عزرا،١: ٢-٣؛ انظر كذلك: باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٢٩٨؛مكاريوس، شاهين مكاريوس،تاريخ الإسرائيليين،(القاهرة:مطبعة المقتطف،١٩٠٤)،ص٣١ ؛مصطفى مراد الدباغ،بلادنا فلسطين،(بيروت:دار الطليعة،١٩٦٥)،ج١،ص٥٨٥؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،(بغداد،مطبعة علاء،١٩٧٩)،ص٢٣٥-٢٣٧.

(٥) عزرا،١: ٧-٨.

(٦) عزرا،١: ٩-١١.

تعـود واحـدة لـزوس وزنهـا (١٢٠٠طالنـت) بـابلي، والاثنـان الأخريـان بـوزن (٦٠٠طالنت)لكل واحـدة منهـا، ويقـول كل هـذه قـد سـرقها فيمـا بعـد ملـوك الفرس[١].فلو قارنا الروايتين نجد أنه من الممكن أن تكون هذه الآنية التي أدعى اليهود أن نبوخذنصر سلبها من المعبد اليهودي وأعادها كورش إليهم ما هي إلا ممتلكات تعود للمعابد البابلية سلبها الفرس وأعطوها لليهود مساعدة لهم لبناء مدينتهم ثمناً لهم نظيراً لخيانتهم للبابليين. وهو أمر مارسه الفرس كما سنرى لاحقاً في محاولات دارا وارتحششتا الأول.

كانت الدفعة الأولى من اليهود قد خرجت بقيادة زربابل-يشوع-نحميا-سرايا -رعلايا-مردخاي-بلشان-بغواي-رحوم-مسفار-بعنة[٢].وكان عددهم (٣٦٠ ،٤٢) فضلاً عن عبيدهم وإمائهم الذين كانوا (٧٣٣٧)، ومعهم من المغنين والمغنيات (٢٠٠) وخيلهم (٧٣٦)رأس، وبغالهم (٢٤٥)، وجمالهم (٤٣٥)، وحميرهم (٦٧٢٠)، ومن المحتمل ان يكون عام ٥٣٧ق.م هو عام انطلاق اليهود من بابل بقيادة زربابل، ورافقهم في الطريق موظف فارسي كبير في مهمة خاصة لينظر في أي مدى تم تطبيق الأمر الملكي[٣].وأصبح زربابل حاكماً على منطقة يهوذا في فلسطين[٤].وربما كان قرار كورش بإعادة اليهود فضلا عن كونه قرارا سياسياً لترضية اليهود الذين قاموا بدور كبير في إرباك الأوضاع الاقتصادية والسياسية والدينية في بابل، وعن دورهم الإعلامي المؤيد للخلاص على يد كورش، كان يهدف إلى أن تكون فلسطين المحطة التي سيتمكن الاخمينيون من خلالها الوصول إلى مصر وشمال افريقيا[٥].

أما بالنسبة للمعابد بقيت إدارتها في عهد كورش بيد الشتاممو ومساعديه غير أن السلطة النهائية المتداخلة في شؤون المعبد أصبحت بيد

---

(١) سامي سعيد الأحمد،سميراميس ،(بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨)،ص٢١٩.

(٢) عزرا ، ٢:٢.

3) Ghirshman,Iran.,P.132.

(٤) الأحمد،فلسطين حتى التحرير العربي،ص٥٧-٥٨.

(٥) إبراهيم، منطقة الموصل في فترة الاحتلال الأجنبي،ص١٢٩.

الحكومة المركزية[1].ونعرف عن اهتمام كورش بقضايا المعبد، إذ نقرأ عن قضية في عهد كورش تخص ماعز ونعجة تعودان إلى قطيع بستاني الإله نابو، اذ استدعت المحكمة الرجل الذي أشترى رأسي الماشية، فأدعى انه في ٦- أب - ٥٣٥ ق.م، أن رأسي الماشية قد بيعا له بمقدار شاقلين، وثلاثة أرباع الشاقل من قبل بستاني الإله نابو، فاستدعت المحكمة مزارع الإله نابو الذي أفاد : "أنني بعت هذين الحيوانيين إلى فلان مقابل الفضة، وأن فلان وحده ولا أحد سواه قد اشتراهما مني، وقد أرسلت النقود إلى قائدي"[2].وتوضح تحقيقات السلطة الفارسية المحتلة في سرقات معبد عشتار في الوركاء وملاحقاتها، تتبع الإدارة الجديدة لسجلات وواردات المعابد البابلية تماشياً مع سياستها الجديدة بوضع أموال المعابد البابلية في أيدي السلطة الفارسية[3].ونعرف عن ممارسة السلطة لعدد من الأعمال، ونجد أن السخرة كانت من ضمن أعباء المواطنين، إذ نقرأ عن السخرة خاصة لتنظيف القنوات، وأتتنا أسماء كثيرين ممن ماتوا في الأعمال الإجبارية، أو هربوا منها مما يدل على شدتها وتهرب المواطنين منها[4].

لا نمتلك معلومات واسعة عن الإدارة في عهد قمبيز إلا بعض الإشارات أهمها أن الجنود البابليين قد تم إلحاقهم بالجيش الفارسي، وأنهم ساهموا في احتلال مصر[5].وقام قمبيز بإقصاء كافة موظفي العهد البابلي الحديث السابق من الإدارة حال تسلمه السلطة[6].ويرد في إحدى رسائل قمبيز أسم گوبارو، وكونه لا يزال محافظاً لمدينة بابل ومنطقة عبر النهر[7].ونعرف من القضايا القانونية لهذه الفترة أن أحكام قانون حمورابي ما يزال ساري المفعول، إذ تعرض قضية عام ٥٢٩ق.م خاصة بسرقة نعجة موسومة بنجمة من المواشي

---

[1] ساكز،عظمة بابل،ص٣٠٥.
[2] كونتينو،الحياة اليومية،ص١١٥.
[3] الأحمد،الصراع،ص٨٢-٨٣.
[4] المصدر نفسه،ص٨٣.
[5] رو،العراق القديم،ص٥٤٥.
[6] الأحمد،الصراع،ص٨٣.
[7] كونتينو،الحياة اليومية،ص٧٨.

العائدة إلى عشتار الوركاء، وكانت بعهدة بستاني المعبد. وقد تم سرقة النعجة من قبل أثنين وشوهدت في حوزتهما. فأمر الضابط الذي يحكم الوركاء، ومدير المعبد، وجمعية المواطنين الأحرار في مدينة بابل، بأنه في شهر تموز يجب أن يعيد الرجلان ثلاثين رأساً من الماشية الصغيرة ما عدا النعجة الموسومة بنجمة والتي شوهدت في حوزتهما إلى الإلهة بيليت، وإنهما مسئولان عن تنفيذ ذلك[١].ويبدو أن الحكم نفذ بموجب المادة (٨) من قانون حمورابي التي تنص :"إذا سرق رجلاً أما ثوراً، أو شاة، أو حماراً، أو، خنزيراً، أو قارباً فإذا (الشيء) المسروق يعود للإله أو القصر، فعليه أن يدفع غرامة ثلاثين ضعفاً"[٢].وهناك قضية ثانية تخص سرقة أموال معبد، إذ نقرأ في وثيقة قضائية أن بطتين عائدتان إلى ممتلكات معبد عشتار أوروك بمسؤولية (نيدنتو) و(أكوزانو) أبني(نانا-أدين)، سرقتا في يوم ١١ طيبتي (ṭebeti) (كانون الثاني) من السنة الثانية من حكم قمبيز، وقام بالسرقة كل من (أخ-أدينا) و (أنو-أخي-أوبولط) أبني (نبو-قاصير) و(نانا-أخا-أدين) أبن (نانا-أيريش) (وأخ أدينا) أبن كينا العاملين في حقل الطيور التابع للمعبد. فانعقدت جلسة محكمة ضم (نبو-موكين-أبل) شتاممو اي-أننا المنحدر من سلالة (دابيبي)، و(نابو-أخ-أدين) مبعوث الملك، ويشغل وظيفة بيل-بيقييتي .وقد أعترف العمال بالسرقة، وقررت المحكمة أن يغرموا ثلاثين ضعفاً للحاجة المسروقة[٣].وهكذا نجد أن القضية عوملت بأحكام المادة (٨)،إلا أننا نتساءل هنا أن القضيتين تخصان أموال المعبد وسرقتها فلماذا لم تعاملا بأحكام المادة

---

[١] المصدر نفسه،ص١١٥.

[٢] انظر نص المادة في:

John C. Driver &R. Miles, The Babylonian Laws , (Oxford , 1955) ,Vol.2,P.17;Theophile Meek, "The Code of Hammurabi", In: ANET, P.166.

رشيد،الشرائع،ص١٢٠،محمود الأمين،قوانين حمورابي،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٧)،ص٢٧؛عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٧)،ص٢٣٠ ؛كذلك أنظر أحدث ترجمة لهذه المادة في:نائل حنون،شريعة حمورابي،(بغداد،منشورات بيت الحكمة،٢٠٠٣)،جـ١،ص٢٠٧.

3) H.H.Figula,"Law suit concerning A sacrilegious the Ft. at Erech,",In: Iraq, vol.13,part 2,1951,P.98-99.

(٦) من قانون حمورابي؟ التي تنص: إذا سرق رجل حاجة تعود للإله أو القصر فأن ذلك الرجل يعدم وكذلك من تمسك بيده الحاجة المسروقة"[١].إن الفرق بين المادتين هو أن المادة (٦) تشترط حدوث السرقة ضمن حرم المعبد أو القصر، وعندئذ يكون عقوبتهما الإعدام. أما المادة(٨) فتفترض حدوث السرقة خارج حرم المعبد أو القصر، ولما كان سراق البطتين (القضية الثانية)،أفادا بأنهما قتلا البطتين عندما كانوا يحفرون خلف أحد الجدران على مقربة من النهر أي أن مكان الحادث كان خارج حرم المعبد لذلك فقد أدينا بإحكام المادة (٨)[٢].

خطت الإدارة في عهد دارا الأول(٥٢٢-٤٨٦ق.م) خطوات واسعة، إذ جرى دارا خلال الفترة ما بين عامي (٥١٨-٥١٤ق.م) عدداً من التنظيمات الإدارية. وكانت هذه التنظيمات تهدف بلا شك إلى وضع نظام يمكنه من إدارة الأجزاء الواسعة من الإمبراطورية الاخمينية. والحقيقة ان قدرة الملك دارا الإدارية قد مكنته من الوصول إلى تنظيم يمتاز بالمرونة من ناحية، وبالتماسك من الناحية الأخرى. وان صفة المرونة والتماسك التي يمتاز بها نظامه الإداري الجديد هي مقدرته على التوفيق بين طبيعة النظام الإقطاعي القديم، وبين مركزية الحكم الذي فرضته السيادة الاخمينية على جميع البلدان التي خضعت لها[٣].كما ألغى دارا الأول السياسة اللامركزية، وبذلك وأتبع سياسة الحكم المباشر القائم على استغلال ثروات الإقليم استغلالاً دقيقاً[٤].

---

[١] حول ترجمة المادة (٦) وتحليلها أنظر:

Driver and Miles, The Babylonian Laws ,Vol.2,P.15,Meek, The Code of Hammurabi,P.166.

رشيد،الشرائع،ص١١٩؛الأمين،المصدر السابق،ص٢٨؛سليمان،القانون،ص٢٣٠؛بهيجة خليل إسماعيل،مسلة حمورابي،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٠)،ص٧؛حنون، شريعة حمورابي،ص١٩٩.

[٢] فاضل عبد الواحد علي،"القانون في وادي الرافدين،تطبيق أحكامه وتأثيره في القانون العبراني"،محاضرة ألقيت على طلبة معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الموسم الثقافي الأول لعام ١٩٨٨،ص٥١-٥٢.

[٣] باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٦-٥٧.

[٤] سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال ،ص٢٣٧.

كانت ولاية بابل تدار من قبل ستراب (satrap) التي تعني حرفياً مظلة الحكم. وأن المعلومات المتوفرة تؤكد أن نظام الولايات ومنصب الستراب كان متبعاً منذ زمن كورش الثاني. وعليه يعتقد أن أصل هذا النظام يرجع إلى بلاد ميديا، إذ أن الفرس باحتلالهم لميديا تعلموا منهم الكثير وأخذوا تنظيماتها الإدارية، تلك التنظيمات التي كانت متأثرة بدورها بالتنظيمات الإدارية الآشورية. غير أن الفرق بين تنظيمات الملك دارا وبين تنظيمات الملك كورش الثاني يتميز من حجم الولايات، إذ أصبح في زمن دارا أصغر نسبياً من حجم الولايات التي كانت في زمن كورش الثاني. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد منح دارا حكام ولاياته الحرية المطلقة في إدارة ولاياتهم ولكنه في الوقت ذاته ألزم كل حاكم من حكامه أن يقدم سنوياً النسبة المفروضة على ولايته من الضرائب. وبهذا الأسلوب يكون دارا قد حافظ نسبياً على حرية النظام الإقطاعي القديم، ولكنه في الوقت نفسه ربطه بالسلطة المركزية من خلال إلزامه بتقديم نسبة مقررة من الضريبة السنوية[١].

اعتمد دار في إدارة الولايات على أفراد البيت الحاكم والنبلاء من الفرس الذين كانوا يرتبطون به، ليس فقط من خلال التنظيمات الإدارية، وإنما بسبب القرابة والنسب والمصالح المشتركة[٢].وعلى الرغم من ان دارا قد وضع السلطة الحقيقية بيد الفرس فقط، إلا انه ترك الوظائف الأخرى في الولايات لسكانها الأصليين. وبهذا العمل يكون دارا قد أعطى القوميات الأخرى من غير الفارسية الحق كذلك في إدارة شؤونهم الخاصة بأنفسهم[٣].

كان حاكم الولاية ممثل الملك في ولايته له بلاطه وحرسه الخاصين وقضاته، وكان منصب الولاية منصباً وراثياً في معظم الأحيان، وجعل في منطقة كل ولاية وحدة عسكرية بإمرة قائد عسكري كبير لمنع احتمالات الخروج من قبل الولاية عن طاعة الحاكم، وفي الوقت نفسه للدفاع عن الولاية عند تعرضها

---

[١] باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٧؛الجاف،الوجيز في تاريخ إيران،ص٦٣.

[٢] سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي،تاريخ الشرق القديم:إيران والأناضول،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد،بلا.ت)،ص١٠٥.

[٣] باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٧.

لخطر خارجي، وكان القائد العسكري للولاية يتبع الملك مباشرة ولا سلطات لحاكم الولاية عليه[1].ويمكن القول ان دارا قد وزع المسؤوليات في الولاية بين ثلاث أشخاص هم: الحاكم–قائد الجيش–الكاتب، وجعل كل واحد منهم مستقلاً عن الآخر، ويكون اتصاله بالعاصمة مباشرة، وبذلك قسم القوة على ثلاث جهات يصعب ان تتفق ضد الدولة المركزية[2].

أوجد دارا جهازاً أمنياً يزوده بالأخبار التي تتعلق بسلامة وأمن الإمبراطورية، وكان الأفراد العاملين في هذا الجهاز الأمني مرتبطين مباشرة مع الملك، وكانوا يدعون من قبل الشعب بعيون الملك وأذان الملك، وبالرغم من ضرورة مثل هذا الجهاز الأمني إلا انه كان يسبب في بعض الأحيان مضايقات لحكام الولايات باعتبار ان أفراد الجهاز المذكور يجعلون أنفسهم على قدم المساواة مع هؤلاء الحكام، كما كانوا يسيئون في تقاريرهم إلى بعض الحكام الذين لم يكونوا على وفاق تام مع أفراد الجهاز الأمني[3].كما ان هذا الجهاز الأمني كان مزوداً بفرقة من الجيش ترافقهم وتخولهم حق إنزال العقوبة بأي واحد من الحكام، أو قائد الجيش، أو الكاتب إذ رأوا خللاً في الولاية[4].

جرى في عهد دارا توحيد نظام التعامل النقدي فأصبحت تستند على قاعدة الذهب، وأصبح الدارك الذهبي هو العملة الشائعة في أعمال التجارة والتسليف، والذي كان يعادل عشرين شاقلاً من الفضة[5].

اتخذ دارا من قصر نبو خذ نصر في الجزء الشمالي من مدينة بابل مقر إقامته، ووجدت له مسلة من الديورايت منقوشة باللغة البابلية، ثم بنى في بابل بعدئذٍ قصراً جديداً خاصة به موقعه غرب قصر نبوبلاصر[6].كما كانت بابل

---

[1] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٠٦.

[2] محمد وصفي أبو مغلي، إيران دراسة عامة،(البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥)،ص٩٦.

[3] Olmstead, History Of Persian Empire,P.59.

باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٥٩؛الجاف، الوجيز في تاريخ إيران،ص٦٤.

[4] أبو مغلي،ايران،ص٩٦.

[5] رو،العراق القديم،ص٥٤٧.

[6] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٤٢٢.

العاصمة الشتوية للملك دارا الأول[١].وعين دارا ابنه احشويرش في منصب والي بابل طوال اثني عشر سنة[٢].

تعرضت بلاد بابل في زمن دارا إلى موجة استيطانية إيرانية كثيفة، وفي بداية عام (٥٠٥ ق. م)كان هناك إيرانيون ضمن قضاة بابل، وكانت الارستقراطية الفارسية تكون الطبقة العليا في المجتمع البابلي[٣].

أخذت بوادر التدهور تظهر منذ عهد احشويرش الذي حصر اهتمامه وهمه في بلاد فارس، وأصبحت الولايات مجرد رعايا تابعة لها وشمل ذلك بلاد بابل[٤].

في أول عهد احشويرش نقرأ عن زيادة قام بها لبابل حال صعوده العرش ودخوله معبد مردوك. وهناك ما يدل على إتباعه سياسة جديدة جعل بها بلاد بابل خاضعة إلى فارس وميديا، فبعد ثورة بابل الثالثة صودرت أملاك الملاكين، والتجار العراقيين، وأعطيت للفرس. ويظهر ان خراب بابل على يد احشويرش بعد ثورتها عليه صار مؤلماً إلى درجة لم تصل إلينا من بقية حكم هذا الملك إلا حوالي ست معاملات[٥].

اتخذ احشويرش إجراءات في بابل منها قيامه بعزل قصر الملك الفارسي من المدينة العامة عن طريق تحويل مجرى الفرات عن غرب القصر إلى شرقه ثم إلى جنوبه، فقطع بذلك شارع الموكب ليجرد البابليين من قدرتهم على إجراء احتفالات رأس السنة البابلية التي كانت جزءاً من الصفة الدينية المقدسة للمدينة[٦].واعتمد احشويرش في إدارة الأقاليم على العناصر الإيرانية[١].وربما كان في البلاط الفارسي هيئة من المترجمين البابليين[٢].

---

[١] رو،العراق القديم،ص٥٤٩.

[٢] سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد أحمد،تاريخ الشرق القديم،(بغداد:مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨)،ص٣٧٤.

[٣] الأحمد،الصراع،ص٨٥-٨٦.

[٤] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،جـ١،ص٥٨٠.

[٥] الأحمد،الصراع،ص٨٦.

[٦] سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال،ص٢٤٠.

تأخذ المعلومات المتوفرة عن ولاية بابل بالقلة بعد عهد احشويرش، والواقع ان عهد هذا الملك في حقيقته بداية لسياسة جديدة لملوك الاخمينين تجاه بابل تميزت بالإهمال، وعدم الاهتمام بالولاية على عكس سياسة الملوك الأوائل.

لم يأت من أخبار ولاية بابل في عهد ارتحشستا الأول ما يستحق الذكر سوى بعض الأمور القليلة، ويبدو ان معظم المعلومات الرسمية كانت تدون على أوراق البردي التي لم يصلنا منها شيئاً[٣].ونعرف أنه في عهد ارتحشستا الأول تم ازدياد ظاهرة استيطان بعض الجماعات الفارسية من بينهم كهنة مجوس، كما أقطعت القطائع لهم، وفرضت الضرائب الثقيلة على السكان، واقتصرت إدارة الولاية على الموظفين الفرس[٤]. ونعرف أن الفرس كانوا يستغلون مدينة بابل مكاناً للراحة والاستجمام، وأحياناً لنفي الشخصيات الفارسية، لأن مدينة بابل قد بقيت محافظة على عظمتها رغم التخريب الذي أحدثه فيها الملك احشويرش الأول[٥].ونعرف أنه في عهد ارتحشستا الأول خرجت مجموعة ثانية من اليهود الأسرى من بابل يقودهم عزرا[٦].ونقرأ ان ارتحشستا الأول أمر عام(٤٥٨ ق. م.) بمصادرة كل الذهب، والفضة الموجودة في بابل[٧].وكما نعرف عن وجود جالية بابلية في فلسطين خلال عهد ارتحشستا الأول[٨].

لا نمتلك معلومات كثيرة عن بابل في عهد ارتحشستا الثاني الذي كان ما يزال العراق يشكل في عهده خزين للمواد الغذائية للملوك الفرس[٩]،ونعرف

---

[١] استير،١ : ٣ .

[٢] استير،١: ٢٢ ؛ ٣: ١٢؛ ٨: ٩.

[٣] باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٧١.

[٤] باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،جـ١،ص٥٨١؛جـ٢،ص٤١١،سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال،ص٢٤٠.

[٥] باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٧١.

[٦] عزرا،٧: ١.

[٧] عزرا ٧: ١٦ .

[٨] عزرا ٤: ٩ .

9) Xenophon, The Persian Expedition, (London, 1946),P.121.

ان هذا الملك قد استخدم مجندين بابليين في جيشه[1].وبعد عهد ارتحششتا الثاني نفتقد للمعلومات الواردة عن بلاد بابل وإدارة الملوك الفرس لها وكل ما نعرفه عن بابل ان المدينة أصبحت قاعدة عسكرية لارتحششتا الثالث لاسيما أثناء حملته لإخماد ثورة فينيقية[٢].وكان آخر حاكم فارسي للمدينة في عهد دارا الثالث يدعى مازيوس[٣].

-الضرائب ولالتزامات المالية.

كانت من أولى النتائج المباشرة التي أعقبت سقوط بابل عام (٥٣٩ ق. م) هو تحول بابل إلى ولاية اخمينية تؤدي الضريبة السنوية لملوك فارس. اذ زادت الضرائب[٤]،على السكان في العصر الاخميني بحيث وصلت نسبتها إلى حوالي (٣٠%)، إلى جانب ما يدفع إلى مفتش الري، وجابي الضريبة، مع الرسوم التي يدفعها الملاكون إلى الدولة بالفضة مباشرة، وصار الناس يدفعون ضريبة حتى على التنقل بالأنهار، ودخول بوابات المدن[٥].ويزودنا هيرودوت بمعلومات مهمة عن الضرائب في العهد الاخميني المفروضة على ولاية بابل، اذ

---

1) Ibid,p.140.

[٢] زايد،مصر الخالدة،ص٩٦٤.

[٣] برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٤.

[٤] كانت الضرائب الاخمينية تشكل مورداً رئيسياً من موارد الإمبراطورية،وكانت الضرائب توزع توزع حسب إمكانية كل ولاية،فولاية الهند كانت ضريبتها السنوية (٤٦٨٠ وزنة) (طالنت) (٣٠.٣كغم) أي ان ضريبة الهند (١٤١.٨٠٤كغم) من الفضة.وكيليكية وسوريا (٣٦٠) وزنة أي (١٠٩.٨ كغم) وولايات آسيا الصغرى الأربع (١٧٦٠) وزنة أي(٥٣.٣٢٨ كغم) وإلى هذه الجباية السنوية كان يترتب على كل ولاية ان تزود الملك بالمؤن والاحتياجات بحسب طاقة كل ولاية ، فكان على كل ولاية مصر مثلاً ان تزود كل عام حبوباً تكفي لـ (١٢٠.٠٠٠) شخص وكانت بلاد ميديا ترسل (١٠٠.٠٠٠) رأس من الغنم وأرمينيا تزود كل عام (٣٠.٠٠٠) طير وكانت ولاية بلوجستان أقل ولاية ضريبة إذ تبلغ ضريبتها (١٧٠ وزنة فضة) أي (٥١٥كغم).انظر:باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،جـ٢،ص٤١٩،أبو مغلي،ايران،ص٩٧.

[٥] الأحمد،الصراع،ص٨٣.

كان على بابل ان توفر الطعام للملك ولجيشه في أجزاء مختلفة من أيام السنة فمن مجموع ألاثني عشر شهراً التي تتألف منها السنة كان على منطقة بابل ان توفر الطعام خلال أربعة أشهر في حين توفره المناطق الأخرى في آسيا ثمانية أشهر، ومن هنا يظهر ان العراق كان يمثل بالنسبة إلى موارد الإمبراطورية ثلث موارد مجموع آسيا برمتها كما يقول هيرودوت. ويخبرنا أيضاً ان والي بابل ترينانتخميس بن ارتيازوس من كان يستلم يومياً من بابل (Artab) واحد من الفضة، وان يتم تزويد العلف لما لا يقل عن (٨٠٠) حصان و(١٦.٠٠٠) فرس، وهي ما عدا الخيول المعدة للحرب. وكان يحتفظ بأعداد وفيرة من كلاب الصيد الهندية التي كانت أربع قرى كبيرة مسئولة عن توفير الطعام لها نظير إعفائها من الضرائب[١].وبالرغم من معلومات هيرودوت فيها مبالغات واضحة إلا أنها تعكس وطأة الإدارة الاخمينية في بابل، ويظهر ان الواردات الهائلة التي كان يجبيها ملوك الفرس هي التي تركت هذه الانطباعات لدى هيرودوت. وتشير المعلومات المتوفرة ان ولاية بابل كانت تؤدي ضريبة سنوية تقدر بألف وزنة من الفضة(٣٠٠،٣٠ كغم)، وكانت معظم الضرائب تدفع على شكل أنية معمولة من المعادن الثمينة أو ملابس أو الحيوانات[٢].وهناك منحوتة تصور لنا دافعي الضرائب في برسيبولس ونشاهد مجموعة من البابليين يصحبون معهم عدد من منتجاتهم، ويقود احدهم ثوراً محملاً بالبضائع، ويحمل أحدهم شيئاً لعله قطعاً من القماش[٣].ويذكر هيرودوت ان على ولاية بابل وأشور ان تجهز سنوياً (٥٠٠) ولد يرسلون إلى القصور الملكية[٤].ونستنتج من سفر استير ان كل ولاية ان ترسل سنوياً إلى مقر الحاكم الاخميني فتيات كضرائب[٥].فضلاً عن تسديد الضرائب بالفضة أو عيناً، وكان رعايا الملوك والنبلاء يجبرون على إرسال أولادهم في صفة

---

(2) Herodotus, The Histories of Herodotus,I:192.

2) Sykes, History Of Persia,vol:1,p.163;Huart, Ancient Persia & Iranian Civilization,P.75.

3) Andre Parrot,Nineveh and Babylon,(France , 1961),Fig.238.

4) Herodotus, The Histories of Herodotus,I:192.

(٥) استير،٢ : ٢-٣.

أرقاء للعمل في بيوت الملوك والنبلاء الفرس بصفة خبازين، وحملة الكؤوس، وبوابين وأطباء، وخصايا[١].ونقرأ عند نحميا سوء الإدارة الاخمينية في الأقاليم، وأن حكام الأقاليم كانوا يفرضون على السكان ضرائب عينية من خبز وخمر وغيرها فضلاً عن الضرائب النقدية[٢].

كان كبار ملاك الأرض هم الذين يجبون الضرائب من أملاكهم وضياعهم، ويدفعون مقداراً ثابتاً إلى الولاة الذين كانوا يستنزلون منه مصروفاتهم الإدارية ويحولون ما تبقى للملك، وكان ذلك سبباً في استشراء ظواهر التعسف والظلم[٣].ولا ريب في أن الفرس قد انتزعوا من السكان الأراضي الزراعية وجعلوها ملكاً للدولة[٤].وهذا يعني أن كبار ملاك الأرض قد استحصلوا ضرائبهم من صغار الفلاحين العاملين في المزارع.

اشتد استغلال السكان نتيجة أقدام الفرس على استخدام نظام تخريبي لفرض الضرائب على المزارعين . فالمزارع البابلي الخاضع للضريبة في العصر الاخميني كان يعامل بقسوة. فهناك من النصوص الباقية حتى اليوم تصور طرق الابتزاز الخاصة التي كان جباة الضرائب ينهبون بها القرى، وكان هذا يقع بهدف جمع الفضة عن طريق وكلاء أحرار وغير أحرار يعملون في خدمة المصارف الخاصة العاملين مع السلطة والذين كان غناهم يستند على ضريبة المزارع بصفة رئيسة، وعلى هذا فليس من المستغرب أن يتفاقم الفقر بشكل مخيف بين الفلاحين ذلك لأن قطع الأراضي التي كان الفلاحون يملكونها أول الأمر

---

[١] محمد دندمايف،"بلاد بابل في العهد الاخميني"،بحث ضمن كتاب: العراق القديم،ترجمة: سليم طه التكريتي،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٧٦)،ص٤٧٢.

[٢] نحميا،٥: ١٥.

[٣] و.و. تارن،الاسكندر الأكبر،ترجمة:زكي علي،مراجعة:محمد سليم سالم،(القاهرة:مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٦٣)،ص٦٤.

[٤] دندمايف، بلاد بابل في العهد الاخميني،ص٤٧٣.

قد تدنت إلى مساحات ضئيلة جداً ثم خفضت في بعض الأحيان إلى أقل من ثلث هكتار، وأخيراً اختفت سوية[1].

تميز العهد الاخميني بتغيرات ملموسة في نظام الضرائب الخاصة بالمعابد، اذ أصبحت المعابد الآن ملزمة بأن تدفع إلى الدولة مقادير كبيرة من الضرائب في صفة منتج طبيعي كالأغنام، والماعز، والمواشي، والشعير، والسمسم، والتمور، والخمور، والجعة، والتوابل، والزيت، والزبدة، واللبن، والصوف، وأن تقوم بتهيئة العلف للمواشي الملكية، والأقوات لموظفي الدولة، ولعمال المزارع لملكية. وكان على المعابد الكبرى على وجه الخصوص ان تقوم بصفة منتظمة بتوفير مئات الرؤوس من الماشية، ومئات الألوف من التار، القمح للموائد الملكية. ما عدا هذا كانت المعابد عرضة لأعمال الخدمة، وكان عليها ان تبعث بفرق من خمسمائة من العبيد أو أكثر من الزراع، والرعاة، والبستانيين، والنجارين، وغيرهم للعمل في البيت الملكي. وكان عبيد المعابد يربون الماشية ويطعمونها، ويجزون أصوافها وشعرها، ويضعون الآجر للقصر، ويقطعون القصب، وما إلى ذلك من الأعمال. ولغرض ضمان تنفيذ التزاماتهم للدولة كان يعين ممثلون خاصون للملك ووكلاء ماليون ملكيون في إدارة المعابد وليروا أن كل الضرائب قد تم دفعها بكاملها، وفي المدة المحددة وإن كل الخدمات قد أنجزت في أوقاتها[2].

-الثورات البابلية ضد الهيمنة الاخمينية

لا يخفى على الكثير أنه مهما كان تسامح الغزاة مع البلدان المحتلة فأنه لا يمكن تقبلهم كسلطة محلية حاكمة، وإنما ستبقى النظرة إليهم، على أنهم غزاة أجانب. ومهما حاول كورش التأكيد على مبررات دخوله بابل واحتلالها بأنه قد حصل على تأييد من الإلهة المحلية الوطنية في بابل، فإن الكثير لم يكن

---

[1] فاسيلي فاسيلفييج ستروف،"مسألة تكوين مجتمعات الرق وتطورها وانحلالها في الشرق القديم"، بحث ضمن كتاب العراق القديم، ترجمة: سليم طه التكريتي،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٧٦)،ص٨٩-٩٠.

[2] دندماييف، بلاد بابل في العهد الاخميني،ص٢٧٣-٢٧٤ ،الأحمد،الصراع،ص٨٩.

مقتنعاً بذلك، ومهما كان هناك عدد من الأفراد المواليين للفرس قد اعتبروا كورش محرراً فأن الغالبية العظمى من السكان في بلاد بابل كانت ترى من الأخمينيين غزاة لا أكثر لم تتقبل الفرس. لهذا سرعان ما اندلعت ثورات عدة بوجه الاخمينيين:

-ثورة بابل الأولى (تشرين الأول ٥٢٢-كانون الثاني ٥٢١ق.م) .

كانت ثورة بابل الأولى التي اندلعت عام ٥٢٢ق.م. أولى الثورات التي اندلعت بوجه الاخمينيين، ويبدو أن هذه الثورة لم تأتي نتيجة الصدفة المحضة وإنما نابعة من تراكمات عدة، فالبابليين أدركوا منذ الأيام الأولى للاحتلال أن الفرس ما هم إلا غزاة، وأدركوا أيضاً أن الفرق بين كورش الفاتح الاخميني وبين نبونائيد. فبعد مرور أيام على الاحتلال، تخبرنا وثيقة الأخبار البابلية أنه في تشرين الثاني (٥٣٩ ق. م) توفيت زوجة الملك نبونائيد: "في اليوم .... من شهر اراخشامنو (Arahsamnu)ماتت زوجة الملك. من اليوم السابع والعشرين لشهر اراخشامنو إلى اليوم الثالث من شهر نيسان أقيمت مناحة رسمية في أكد، كل الناس ذهبوا إلى مكان المناحة وشعورهم شعثة"[١].إن هذا النص يوضح لنا أن وفاة زوجة الملك نبونائيد قد أثرت كثيراً على البابليين إلى درجة أنهم استمروا في البكاء عليها ستة أيام، وأن تحليل ذلك الأمر يكشف لنا عمق الترابط الذي كان يربط الناس بذكرى الحكم المستقل. ومع ذلك فأن أي ثورة لم تندلع في عهد كورش، ولا نكاد نقرأ عن أي إشارات عن تململ الوضع باستثناء الإشارة الأنفة الذكر، وربما كان ذلك بسبب سياسة كورش تجاه بابل، وعدم إثارة مشاعرهم الدينية. ويمكن أن نستدل من المعلومات القليلة التي سبقت ثورة بابل الأولى شيئاً عن أسباب الثورة، فنحن نعرف عن ممارسة الموظفين سياسة ابتزاز أموال المواطنين البابليين[٢].ومن وطأة الضرائب المفروضة يمكن أن نعرف أحد أسباب الثورة، ونحن نقرأ إشارة عند هيرودوت أن دارا الأول مثلاً حاول سرقة تمثال

[1]) Oppenheim, Text from The Accession year of Nabonidus,p.306.

[٢] الأحمد، الصراع، ص٨٢.

ذهب من معبد ايساگيلا غير أنه لم ينجح[١].ويمكن الاستنتاج أن الملوك الاخمينيين رغم ادعائهم بأنهم استمرار للحكم المحلي إلا أنهم حاولوا الحصول على الأموال بشتى الوسائل، وحتى سرقة أموال المعابد البابلية. كما أن الاضطرابات الناشئة في أعقاب وفاة قمبيز قد حفزت البابليين على الثورة وأنهم عندما أعلن برديا نفسه ملكاً انحازوا إليه[٢].

أعلن أهل بابل الثورة ضد ألاخمينيين، وانظموا تحت لواء زعيم لهم يدعى ندينتي-بيل(ندينتو-بيل) الذي أعلن ملكيته على بلاد بابل، وأطلق على نفسه اسم نبوخذنصر (الثالث) وربما يمت بصلة النسب إلى نبونائيد. ويبدو أن خبر هذه الثورة قد أفزع دارا الأول، فقاد الأخير الجيوش التي سارت لإخماد الثورة، ويظهر أن الزعيم العراقي الثائر قد استحوذ على معابر نهر دجلة، وشكل قوة نهرية لهذا الغرض. وهي خطة محكمة تمكن منها من منع الجيوش الفارسية من التقدم ضده، في وقت ركز جيوشه على الضفة اليمنى لمنع أية قوة عسكرية فارسية قد تتمكن من عبور النهر . ورغم الاستعدادات نجح دارا في عبور النهر، وسار باتجاه بابل بعد أن أوقع هزيمة بالثوار، ولكن ما أن وصل الجيش الفارسي إلى زازانا (قرية صغيرة على الفرات) حتى وجد نفسه وجهاً لوجه أمام قوات ندينتو- بيل، فدحره دارا وتراجع الثوار إلى بابل، وتحصنوا في أسوارها[٣].ويخبرنا دارا في نقش بهستون عن أحداث الثورة إذ يقول: "رجل اسمه ندينتو-بيل بابلي ابن انيري تمرد في بابل وكذب على الناس بما يلي: أنا نبوخذنصر بن نبونائيد فوقف الشعب البابلي كله إلى جانب هذا الرجل، وهجموا على كل بابل، وسلموه السلطة على البابليين. فأرسلت مبعوثي (أولاً) إلى سوسة، وألقيت القبض على ارشينا. ثم زحفت على بابل ضد ندينتو-بيل، الذي يقول أنه نبو خذ نصر، وكان

---

[1]) Herodotus, The Histories of Herodotus,1:183.

[٢] سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال،ص٢٣٨.

[٣] حول الثورة انظر:

Olmstead, History Of Persian Empire,P.112;

الأحمد،الصراع،ص٨٣-٨٤،الأحمد وأحمد،تاريخ الشرق القديم،ص٣٧٣.

جيشه على نهر يقال له دجلة !وكان موزعاً، وكان له أسطول فوضعت رجالي على القـرب، وآخـرين على الجمـال، وآخـرين على الخيـل، وعبرنـا دجلـة وسـاعدني اهورامزدا فتحاربنا وضربت جيش ندينتو-بيل، ثم زحفت إلى بابل، وكانت هناك مدينـة في الطريـق اسـمها زازانـا (زازانـو) وقـد لجـأ إليهـا نـدينتو-بيـل مـع جيشـه استعداداً لمحاربتي، فتحاربنا فضربت جيشه بقوة؛ وجرف الماء العدو"[١].ونقرأ عند هيرودوت معلومات أخرى عن الثورة، إذ يقول أن دارا قد هاجم بابل، وكان البابليون يشتمون دارا ويسخرون منه ومن جيشه، ولم يلبث أحد البابليين ان هتف برجال دارا قائلاً: لم تجلسون هنا أيها الفرس؟ لم لا تعودون إلى بلادكم؟ إنكم لن تستولوا على مدينتنا إلا إذا أنجبت البغال. ويذكر أن الحصار استمر سنة وسبعة أشهر، وأنه في الشهر العشرين من الحصار اقترح على دارا أحد قادته ويدعى زوبيروس بن ميكابيسوس، بأن يقوم الملك بخديعة البابليين باحتلال مدينتهم، واقترح عليه أن يقوم بضربه (أي دارا) ضرباً مبرحاً ويرسله إلى أهل بابل ليوهم الآخرين بهربه من سيده الفارسي غاضباً ولجوئه إليهم، ويقول هيرودوت أن البابليين انطلت عليهم الخدعة، وأنهم منحوه قوة من الجند، والذي تمكن بهم من فتح الأبواب لدارا وبذلك دخل الفرس إلى بابل[٢].

لا يمكن الأخذ بكل معلومات هيرودوت لأن الحصار حول بابل لم يستمر سنتين، وأن الثورة كلها استمرت من(٣ تشرين الأول ٥٢٢- ٢٢ كانون الثاني ٥٢١ ق. م.)، إذ جاءتنا من هذه الفترة ألواح طين مؤرخة باسم ندينتو- بيل[٣].وأخذت التواريخ تذكر بعد هذا التاريخ عبارة: "السنة التي بدأ فيها داريوس ملك بابل ملك الأقطار"[٤]،من جهة أخرى هو ليس من المنطقي أن يسلم البابليين قوة لزوبيروس لمجرد إنهم وجدوه بالصورة التي وصفها هيرودوت. غير أنه يمكن القول إنما عبّر به البابليون من أقوال نقلها هيرودوت توضح مدى

---

[١] سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال ،ص٢٣٨-٢٣٩.

2) Herodotus, The Histories of Herodotus,III:150-160.

[٣] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جـ١، ص٥٧٧.

4) George.G.Cameron,"Darius and Xerxes In Babylonia",In,AJSL,LVIII, 1941,p.318; Olmstead, History Of Persian Empire,p.112.

رغبة البابليين في التحرر، وأنه من غير المستبعد أن دارا الأول قد استعمل الخديعة من أجل دخول المدينة. وعلى أي حال فأن دارا قد دخل بابل، وقتل الثائر، وضرب أسوار المدينة وبواباتها، ونفذ حكم الإعدام بـ (٣٠٠٠) شاب[١].

-ثورة بابل الثانية آب ٥٢١ق. م.

بعد فترة وجيزة من انتهاء الثورة البابلية الأولى، ثارت المدينة مجدداً في آب ٥٢١ ق. م، في وقت كان دارا في ميديا، وكان الثائر يدعى اراقا (اراخا بن خلديتا)، وقد ادعى هذا الرجل الذي يسميه دارا بـ (ألأرمني) أنه نبو خذ نصر (الرابع) بن نبونائيد، وأنه اتخذ لقب ملك بابل. بدأت الثورة في دوبالا (جنوب بابل)، فأرسل دارا قواته لإخمادها[٢].ويذكر دارا في نقش بهستون تفاصيل الثورة، إذ يقول أنه أرسل أحد قادته، ويدعى فندفارنا وأمره: "قلت له سر إلى الأمام، قاتل هذا الجيش الذي يرفض أن يتبعني. فزحف فندفارنا بجيشه ومنحني اهورامزدا عونه وبإرادته قاتل فندفارنا البابليين وأسرهم وبعد انقضاء (٢٢) يوماً في سهل مركزانا، ألقي القبض على اراخا والنبلاء أنصاره، عند ذلك أصدرت أوامري يجب خوزقة اراخا وأتباعه في بابل"[٣].

قتل نبو خذ نصر الرابع في (٢٧ تشرين الثاني٥٢١ ق.م)، ودخل الفرس بابل، ونهب الجيش الفارسي المدينة، وسرق قبور الملك فيها، ودمروها، وتشير المصادر إلى أن (٣٠٠٠) رجل بابلي، وضعوا على الخازوق عقاباً على ثورتهم[٤].

-ثورة بابل الثالثة.

بقيت ولاية بابل هادئة تقريباً طوال عهد دارا، بعد إخماد الثورة الثانية بالرغم من أن المعلومات تشير إلى وجود اضطرابات في بابل في أواخر

---

[١] الأحمد، الصراع، ص٨٤؛رو العراق القديم، ص٥٤٦.

[٢] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جـ١، ص٥٧٧؛الأحمد، الصراع، ص٨٤؛سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال، ص٢٣٩.

[٣] رو، العراق القديم، ص٥٤٦-٥٤٧.

[٤] رو، العراق القديم، ص٥٤٧، سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال، ص٢٣٩.

عهده[1].ويبدو أن هذه الاضطرابات تحولت إلى ثورة في عهد احشويرش، ففي عام (٤٨٢ ق.م) ثارت بابل، وقتل الثوار الوالي الفارسي زوبيروس، وقاد الثورة رجل بابلي اسمه بيل–شيماني الذي اتخذ لقب ملك بابل، وملك البقاع ووصلتنا وثائق مؤرخة باسمه في دلبات، وبورسيبا، تدل على زعامته للثورة[2].وتذكر النصوص اسم ثائر آخر يدعى شمش-أريبا، ويستدل الأستاذ مؤيد سعيد بذلك أن بابل ثارت مرتين[3].في حين يعتقد الأستاذ (رو) أن ملكان حكما بالتعاقب في بابل[4].أما الأستاذ الأحمد فيقول أن سبب ذلك يعود إلى نزاع دب بين الثوار انتهى لصالح شمش–أريبا دون معرفة ظروف ذلك، ويستنتج أن الانقسام الذي حدث بين الثوار سهل على الملك الفارسي ضرب الثورة [5].ولا يمكن ترجيح أي من هذه الفرضيات لعدم توفر الأدلة حول ظهور شخصية شمش–أريبا وعلاقته (بيل – شيماني) على أي حال تمكن احشويرش من إخماد الثورة. وكان إخماد الأخير وحشياً فقام بتعذيب وذبح الثوار بشكل فضيع، وأن كان يصعب تقدير حجم الخراب الذي أصاب بابل وقتذاك بشكل مضبوط . فإذا كان هيرودوت قد قام فعلاً بزيارة بابل بعد الحادثة بعشرين عاماً فأن وصفه يسمح لنا بالاستنتاج بأنها قد عانت أذى قليل بدرجة ما[6].غير أن كتابات المؤرخين الآخرين أمثال: أريان وستيسياس، وسترابو، توحي بأن أسوار المدينة قد جردت، وأن المعابد قد سويت مع الأرض، ولما كان اسم معبد ايساگيلا والمعابد الأخرى يتكرر ويرد نصوص متأخرة فمن المحتمل أن تكون تلك المعابد قد خربت جزئياً وتهدمت في القرون اللاحقة بسبب تركها دون صيانة[7].ويذكر هيرودوت أن احشويرش قام

---

[1] باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٦٩.

2) Olmstead, History Of Persian Empire,p236;

الأحمد،الصراع،ص٨٦ .

[3] سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال،ص٢٣٩.

[4] رو،العراق القديم،ص٥٤٧.

[5] الأحمد،الصراع،ص٨٦.

[6] رو، العراق القديم،ص٥٤٨.

[7] رو، العراق القديم،ص٥٤٨.

بقتل كاهن معبد ايساگيلا، وأخذ تمثال مردوك الذهبي[١].ووضعه في عيلام حيث تمت إذابته، وبذلك توقفت احتفالات الاكيتو(٢).كان من أهم نتائج ثورة بابل الثالثة هو جعل احشويرش يتعصب للعنصر الفارسي، وعد بقية الولايات مجرد رعايا تابعين، ولم يهتم إطلاقاً للمكانة الحضارية التي تتمتع بها بعض الولايات مثل بابل، وبذلك تخلى عن لقبه ملك بابل[٣].

---

1) Herodotus, The Histories of Herodotus,I,183.

(7) Olmstead, History Of Persian Empire,P237;

الأحمد،الصراع،ص٨٦؛سعيد، العراق خلال عصور الاحتلال،ص٢٤٠.

(٣) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٦٨.

الفصل السادس

الشرق الأدنى القديم تحت حكم الاسكندر المقدوني (٣٣٤-٣٢٣ قبل الميلاد)[1]

[1]) نشر البحث في مجلة الاستاذ/كلية التربية/جامعة بغداد/العدد:١١٨/لسنة: ٢٠١٠.

في عام ٣٣٤ قبل الميلاد تحرك الاسكندر المقدوني من بلاد اليونان نحو الشرق، وفي غضون ثلاثة أعوام تمكن من تحطيم الإمبراطورية الاخمينية واحتلال مناطق الشرق الأدنى التي كانت خاضعة للفرس، وظهور إمبراطورية إغريقية لأول مرة في تاريخ اليونان. في هذا البحث ستتم معالجة القضايا الخاصة بالشرق القديم وأهمها كيف اتسمت سياسة الاسكندر تجاه مناطق الشرق الأدنى؟ وما هو موقف هذه المناطق من حكم الاسكندر المقدوني؟ وما هي النتائج الفعلية لاحتلال الاسكندر للشرق القديم؟.

-سياسة الاسكندر المقدوني في الشرق الأدنى.

لا نعرف الكثير عن إجراءات الاسكندر الإدارية، ويعتقد الأستاذ اندرو روبرت برن إن الاسكندر لم يأت بجديد في معظم الترتيبات الإدارية التي قام بها. وقد اخذ بكل بساطة، النظام الفارسي في تقسيم الإمبراطورية إلى ولايات(سترابيات)،ووضع في المناصب الحكومية الرئيسة من يعتمد عليهم من المقدونيين واليونانيين[1].ولا نمتلك معلومات حول إذا ما كان الاسكندر قد عمل على إجراء بعض الإصلاحات على النظام الفارسي القديم، وربما كان ينوي تحقيق مركزية اكبر في إمبراطورتيه عن طريق تقطيع أوصال السترابيات القديمة إلى وحدات اصغر يسهل إدارتها، وبذلك يكون قد استبق تطورا طبقه السلوقيون فيما بعد بتقسيم السترابيات إلى ايبارخيات(إقليم أو مقاطعة).ونعرف إن الاسكندر قلل من سلطات الستاربة فسلبهم حق جباية الضرائب، وكذلك سك العملة إلا مع استثناءات قليلة في بابل. بينما كان حكام القلاع الرئيسة في أيدي حكام مسئولين مباشرة أمام الاسكندر نفسه. وكان من حق أي فرد من أفراد الرعية يكون قد أصابه ظلم أن يرفع الأمر إلى الاسكندر مباشرة كما هو الحال في مقدونيا. وتشير المصادر إلى وجود طبقة من الموظفين عرفت باسم المشرفون الماليون التابعون للإسكندر، وكانوا يؤلفون عنصراً جديداً له وزنه وأهميته. وكانت هذه الوظيفة تشكل حلقة الوصل بين الملك

---

[1]) اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ترجمة:محمد توفيق حسين، (بغداد:مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩)، ص٤٣٩.

والمزارع. ولكننا لا نعرف شيئا عن العلاقة التي تربط بين هؤلاء المشرفين الماليين وبين الستراب في الولاية، ولا نعرف أيضاً كيف كان حكام الولايات يحصلون على ما يلزمهم من الموارد والأموال الضرورية للصرف على الإعمال الإدارية في ولاياتهم[1].كانت من ابرز أعمال الاسكندر الإدارية يمكن أن نلاحظها في مسألتين هما:

-سك النقود.

-تأسيس المدن الجديدة.

بالنسبة للمسألة الأولى: نعرف إن الاسكندر المقدوني عمد إلى سك النقود في المناطق المحتلة، وكانت المشكلة التي واجهت الاسكندر تنطوي حول كيفية التوفيق بين العملة العشرية السائدة في فارس على أساس إن الدارك الذهبي يساوي عشرون شاقلا من الفضة، وبين العملة ذات الفئة الاثني عشرية من عهد فيليب الثاني، على أساس إن الاستاتر الذهبي الواحد طبقاً للمعيار الاتيكي يساوي أربعة وعشرين دراخمة فضية بحسب المعيار الفينيقي. لذا قام الاسكندر بتوحيد العملة وجعلها من الفضة، واتخذ المعيار الاتيكي أساساً له، وجعل الاستاتر مساوياً لعشرين دراخمة فضية. وقد بقي الاسكندر محافظا على استخدام دور السك الفارسية القائمة باستثناء صور وغزة(ولا نعرف سبب ذلك ولكن ربما يكمن السبب في إن المدينتين قد تعرضتا للتدمير من جراء مقاومتهما للإسكندر)،وكانت دار السك في امفيبوليس(في مقدونيا) الأكثر أهمية في الإمبراطورية تليها مدينة بابل، ثم تجيء بعد ذلك المجموعة الفينيقية(صيدا،بيبلوس،عكا،دمشق)،ثم المجموعة الكيليكية(طرسوس،الإسكندرية القريبة من أيسوس،قبرص)،وهناك دار سك النقود في الإسكندرية في مصر. ولابد وان الإشراف على دور السك التابعة كان للموظفين الملكيين. وقد قرر الاسكندر عدم فرض العملة الجديدة على المراكز

---

[1]) و.و. تارن،الاسكندر الأكبر،ترجمة:زكي علي،مراجعة:محمد سليم سالم،(القاهرة:مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٦٣)،ص١٩٦-٢٠٠.

التجارية الكبرى مثل فينيقيا، وكيليكيا، وبابل، حيث كان مسموحاً لها بسك العملة القديمة[1].

كانت النقود على الطراز الإغريقي، وقد ضرب الاسكندر نقوداً ذهبية ولكن الغالبية منها كانت فضية، حيث أصبحت الدراخمة الوحدة القياسية، واصدر أيضا تترا دراخم أي الأربع دراخمات، وعملات صغيرة تمثل أجزاء الدراخمة، وسكت أيضاً نقوداً من البرونز أو النحاس. وقد أورث الاسكندر تصميماً خاصاً للنقود حيث فضل نقش رأس اله جانبي متجها إلى اليمين على وجه المسكوكة، ووضع صورة لإله كاملة مع كتابة على الظهر[2].

وفيما يخص المسألة الثانية فقد عمل الاسكندر على تشييد سلسلة من المدن الجديدة، ولكن كانت معظم المدن التي أنشأها، والتي سميت باسمة الإسكندرية، إنما أنشأها لهدف عسكري صرف. لذا كانت تلك المدن مستوطنات لجنوده المرتزقة اليونانيين، وتقوم بدور الحاميات العسكرية، وهذا ما يفسر وجود أربع مدن من هذه الاسكندريات في الأقاليم الحدودية الشمالية الشرقية[3].فضلاً عن ذلك فقد كانت هذه المدن تمثل مراكز إشعاع حضارية إغريقية للمناطق المجاورة لها تساعد في الانتشار التدريجي لمفردات الحضارة الإغريقية في الشرق[4].وقد يكون إنشاء بعض هذه المستعمرات لأغراض تجارية لما تتمتع به المنطقة من خصوصية بهذا الشأن، كوقوعها مثلاً: على طرق تجارية

---

[1]) المصدر نفسه،ص٢٠١-٢٠٣.

[2]) واثق إسماعيل ألصالحي،"النحت في العصرين السلوقي والفرثي"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٤،ص١٨٢-١٨٣.

[3]) برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٩.

[4]) واثق إسماعيل ألصالحي،"العمارة في العصرين السلوقي والفرثي"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٣،ص١٨٨؛ واثق إسماعيل ألصالحي،"المدينة منذ العصر السلوقي حتى ظهور الإسلام"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٣،ص٣٥٠؛ ف.دياكوف وس. كوفاليف،الحضارات القديمة،ترجمة:نسيم واكين اليازجي،(دمشق:منشورات علاء الدين،٢٠٠٦)،ج٢،ص٣٩٧.

برية أو بحرية رئيسة[1].وتشير المصادر إلى إن المدن التي شيدها الاسكندر بلغت ٧٠ مدينة، ولكن المدن المؤكدة والتي حفظت لنا التسجيلات التاريخية اسماها هي ١٣-١٨ مدينة[2].ومن ابرز المدن التي شيدها الاسكندر في الشرق الأدنى كانت الإسكندرية الشهيرة في مصر، والإسكندرية على دجلة.

إن دراسة سياسة الاسكندر وإدارته في الشرق الأدنى القديم ذات أهمية كبير لأنها: تمثل البدايات الفعلية للسياسة التي سيطورها فيما بعد اليونانيون في الشرق، سواء السلوقيون في إيران والعراق وسوريا، أو البطالمة في مصر، لذا لابد من تتبع تطور وضع مناطق الشرق الأدنى كل واحدة منها على حدة في عهد الاسكندر الكبير.

نمتلك عدد من الإشارات حول سياسة الاسكندر وإدارته لأسيا الصغرى، ويرى دياكوف وكوفاليف إن الاسكندر عالج وضع المدن المحتلة في أسيا الصغرى وفق ثلاث طرق وهي:

١.في بعض المدن يقنع بقضيته شرائح الشعب الديمقراطية.

٢.في مدن أخرى يستند إلى الكهنوت.

٣.في حالات يعقد صلات قربى مع بعض الشيوخ والأعيان[3].

ويمكن إن نورد أمثلة حول الطريقة التي تعامل بها الاسكندر مع المدن أسيا الصغرى.

ان أول إجراء اتخذه الاسكندر بعد عبوره الدردنيل، ووصوله طروادة حتى قبل الالتحام مع القوات الفارسية في غرانيكوس، بان اتخذ عدة خطوات دينية منها انه: قدم السكائب إلى أبطال اليونان الذين خلدوا أنفسهم بتلك الحرب. ثم طاف عاريا حول القبر التقليدي الذي يقال انه لاخيل(احد أبطال الاخيين).كما قدم الاسكندر الأضاحي إلى أثينا ربة الموقع/ وكرس إلى معبدها هناك درعه الذي قيل انه استبدله بدرع يعود إلى احد أبطال اليونان الأقدمين.

---

[1]) ألصالحي،المدينة،ص٣٥٠.

[2]) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي،تاريخ الشرق القديم:إيران والأناضول،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد،بلا.ت)،ص١٣٠.

[3]) دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٤.

وضحى إلى بريام مع دعاء لجلب رضاه عما يعمله سلسل نيوبتوليموس ابن أخيل ويقصد به الاسكندر نفسه[1].يبدو إن هدف الاسكندر من خلال ما قام به هو ربط نفسه مع أسلاف الشعب اليوناني إلى درجة إن ديودورس وبلوتارك وجوستين يذكرون إن حرب الاسكندر كانت لإعادة حرب طروادة ثانية[2].ولكن هل كان ما قام به الاسكندر هو ولعه بأساطير الإغريق لاسيما الإلياذة وإبطالها كما أشير[3] أم هو لغايات سياسية بحتة؟ فلنحاول فهم صورة مقدونيا في التراث اليوناني أولا. فمنطقة مقدونيا كانت عبارة عن سهل يسكنه شعب خليط من سلالات مختلفة كالتراقية، والايليرية(الألبانية) ويتكلم لغة تنتمي إلى أسرة اللغات الهندية الأوربية، وإذا أردنا الدقة كانوا يتكلمون بلهجة فضة من لهجات اللغة اليونانية، ولم يكن اليونانيون يفهمونها، ولهذا عدوها من لغات البرابرة، ونتيجة لذلك لم تعد مقدونيا بلداً يونانياً في نظر الإغريق، ولو إن التصاق حدودها الجنوبية ببلاد اليونان جعلها بمرور الزمن نصف يونانية. هذا وان الخطيب الأثيني ديموسثنيس يصف ملكها فيليب الثاني، والد الاسكندر بالمتبربر[4].فإذا كان اليونانيون لا يعدون مقدونيا ذات حضارة يونانية، ويعدوهم برابرة فلماذا حاول الاسكندر ربط نفسه بأسلاف اليونانيين، وهو من غير شك كان يدرك نظرة اليونانيين إلى مقدونيا، فلا شك إن إجراءات الاسكندر لم تكن إلا محاولة سياسية لكسب اليونانيين في أسيا إلى جانبه في حربه ضد الفرس لا أكثر.

يبدو إن سياسة الاسكندر في أسيا الصغرى هدفت إلى مراعاة الأنظمة السياسية التي الفتها المدن اليونانية، فعندما كان الاسكندر في طروادة(ايليوم)(Illium) أعلن إن هذه المدينة صارت حرة، وعادت إليها

---

[1]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٧؛طه باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)،ص٧٧.

[2]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٧.

[3]) انظر مسألة تعلق الاسكندر بأبطال الإغريق في:تارن،الاسكندر الأكبر،ص٢٢؛طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(لندن:دار الوراق،٢٠٠٩)،ج١،ص٦٥٠.

[4]) عبد اللطيف احمد علي،التاريخ اليوناني:العصر الهيلادي،(بيروت:دار النهضة العربية،١٩٧٦)،ج١،ص١٢١-١٢٢؛برن،تاريخ اليونان،ص٤١٥.

الديمقراطية، وألغيت عنها الضريبة التي كانت تدفعها للفرس، وأعاد تعميرها بما يتناسب مع ماضيها العتيد، وكرس نفسه فيها إلى معبد الربة أثينا بولياس. وقد أعيد بناء المدينة وهي أول مدينة تبنى على خطط يونانية بمؤسسات يونانية، ونشر المدنية اليونانية بين السكان المحليين. وقد تبنى الاسكندر نظام الإدارة الفارسي وعين كالاس ستراب، وأمره أن يجمع نفس الضرائب التي كان يتسلمها الفرس. وقد كان الفرس يضطلعون بالحكم في المدن اليونانية بواسطة الطغاة أو الموالين لهم من الحكومات الاوليغارشية، مع إقامة الحاميات بين حين وأخر، على إن الاسكندر اتبع طريقة مغايرة هناك، وذلك بتأييد الحكومات الديمقراطية الحرة والاعتماد عليها، وقد أعلن الاسكندر آنذاك انه قد أتى للقضاء على الحكومات الاوليغارشية، وأعادت الديمقراطية، والسماح لكل مدينة بان تسترد حقها في التمتع بقوانينها الخاصة بها، ثم إلغاء الضريبة التي كانت تدفع إلى الفرس، فكان الديمقراطيون في مدينة تلو الأخرى يعملون على قلب الحكومات الموالية للفرس. ففي زيليا مثلاً استولى المواطنون على القلعة وطردوا الطاغية المعين من قبل الفرس(١).وقد احتل الاسكندر بنفسه افيسوس وارجع المنفيين إليها، وصارت الحكومة فيها ديمقراطية، وأعيد بناء معبد ارتميس(دايانا) فيها ،ونعرف إن الاسكندر عمر مدينة سميرنا التي هجرها سكانها منذ مدة ليست بالقصيرة. وسمحت بريني لانتيغونس بدخولها، وكلف الكيماخوس بالذهاب لتحرير المدن الايولية، وعندما وصل الاسكندر إلى ساردیس خرج ميثرينيس قائد قلعة ساردیس لاستقباله مع أهل المدينة بناء على وعد الاسكندر بإرجاع قوانينهم القديمة، وسلموا له الكنوز التي حفظوها في القلعة. وأقام الاسكندر اساندر حاكماً على ليديا، ولم يسمح له بجمع الضرائب والرسوم التي أسندت إلى نيكياس اليوناني، كما عين بوسنياس المقدوني قائداً لحامية ساردیس، ولكن سمح لأهل ليديا بحق التقاضي أمام المحاكم الوطنية وطبقاً للقوانين الخاصة بهم(٢).

---

(١) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٦٥؛ الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٨.

(٢) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٤٢-٤٦؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٨.

كانت الخطوة الثانية دخول الاسكندر كاريا حيث رحبت به ادا أرملة ادريوس وشقيقة الحاكم السابق ماوسولوس، وكانت قد سلبت السلطة على يد أخيها بيكسوداروس. وقد تبنت الاسكندر وسلمت إليه قلعة الندا، وبعد اقتحام الاسكندر لمدينة هاليكارناسوس رد الاسكندر ادا إلى حكم ولايتها[1].

سار الاسكندر عقب ذلك بحملة في جبال ليكيا، وبيسيديا، مهاجماً القبائل المعتصمة بسفوح التلال في الشتاء عندما تكون الثلوج التي ضيقت الخناق على رجالها في الوديان، وجعلت التحكم فيهم أمرا سهلا، فدخل أول الأمر الميلياد، واستسلمت مدن ليكيا، ورحبت به فاسيليس في بامفيليا، ومن ثم عين نيارخوس حاكماً على ليكيا وبامفيليا، وأقام الاسكندر الحصون، والاستحكامات في فاسيليس لحمايتها من الأسطول الفارسي، ثم سار إلى برجي، وهناك تقبل الولاء والخضوع من برجي، وأسبندوس، وسيدي، وتوغل في جبال بيسيديا متوجها إلى ترميسوس،وهي القلعة المتحكمة في الممرات بين فاسيليس والميلياد. وقد شق طريقه صوب الشمال متوغلا وسط القبائل، وخرب ساغالاسوس واستولى على بعض الحصون، على انه لم يخضع بيسيديا وان كان قد أضاف النصف الغربي منها اسميا إلى الولاية التابعة لنيارخوس. ثم زحف عن طريق بحيرة بلدور إلى كيلايناي وكانت حاميتها مؤلفة من الكاريين قد قبلت أن تستلم، إذ لم تصلها الإمدادات، وقد ترك الاسكندر انتيغونس بوصفه واليا على فريجيا وأبقى معه ١٥٠٠ من المرتزقة لمراقبة كيلايناي التي استسلمت[2].بعد ذلك تقدم الاسكندر إلى أنقرة(أنكيرا) من غورديوم، وهناك استقبل رسلا وفدوا من بافلاغونيا، وكانت آنذاك مستقلة، وطلبوا منه عدم غزو بلادهم، وقدموا إليه بصفة رسمية الولاء والخضوع، ولما كانت بغية الاسكندر وهدفه لقاء الملك الفارسي داريوس الذي تحرك لقتال الاسكندر، فان غزو بافلاغونيا لم يكن

---

[1]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٤٨-٤٩؛صلاح رشيد ألصالحي،المملكة الحثية:دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول،(بغداد:بلا.مط،٢٠٠٧)،ص٥٥٥؛وقد البعض وجود امرأتين باسم ادا الأولى ابنة بيكسوداروس وزوجة اورنتوباتيس،وأدا أخرى من كاريا هي التي تبنت الاسكندر.انظر:الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٩.

[2]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٤٩-٥١.

يخطر له على بال. فضم تلك البلاد بصفة اسمية إلى ولاية كان يحكمها كالاس. بعد ذلك اجتاح الاسكندر كبدوكيا الجنوبية، وعين شخصا يدعى سابيكتاس(Sabiktas) ليكون واليا عليها، ولعله احد الأعيان المحليين في المنطقة[1].وبعد معركة أيسوس وهزيمة داريوس دخلت كيليكيا ضمن دولة الاسكندر ونصب عليها الأخير بلاكروس[2].

عمل الاسكندر المقدوني على تنظيم الإدارة في المدن التي سيطر عليها في أسيا الصغرى، فمن المعروف إن مدنا في أسيا الصغرى لم يحاول الاسكندر إخضاعها وبقيت تابعة للفرس، تلك المدن التي لم تكن مهمة وعديمة الجدوى بالنسبة للأسطول الفارسي الذي قد يشكل خطرا على تحركات الاسكندر[3].

كان ولاة الفرس، كما وجدهم الاسكندر، يجمعون في أيديهم كل السلطة العسكرية والمدنية، وفي وسعهم سك العملة. لذا عمل الاسكندر على الفصل بين السلطات الثلاثة: المدنية والحربية والمالية، ولكنه لم يبق في أسيا الصغرى على سلطات مدنية منفصلة. وكان اغلب حكام الأقاليم أصلهم من القادة المقدونيين تسندهم جيوشهم، ولكنه استحدث تجديدا عظيما بحرمانهم من الإشراف على المالية وإقامة مشرفين ماليين مستقلين، وربما احتفظ بالتقسيم الفارسي العسكري للولايات المسمى بالقيادات، وانتفع به على اعتبار انه وحدات مالية إقليمية صغرى، تحت إشراف موظفين تابعين له، ومسئولين أمام المشرفين الماليين عن الولاية(السترابية). وبذلك شهدت أسيا الصغرى سلطة مزدوجة في كل سترابية، ولو احتفظ الاسكندر لنفسه بحق سك العملة. وقد حتم الاسكندر على المراقبين الماليين جمع الضرائب مباشرة من الفلاحين وإيداع المتحصل منها في الخزانة. ولا نعرف الكثير عن أراضي الملك، وربما كانت أراضي الملك الوحيدة التي كانت لا تزال يديرها مباشرة موظفو الاسكندر، تقع في نطاق الولايات المطلة على الشاطئ صوب الغرب والجنوب؛ أما كبار ملاكي الأرض في الهضبة الوسطى من أسيا الصغرى فقد أبقوا بصفة مؤقتة على حالهم،

---

[1]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٥٤؛ الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٩-٣٩٠.

[2]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٦٠.

[3]) حول هذه المدن انظر:المصدر نفسه،ص٧٠-٧١.

محتفظين بوضعهم القائم كما هو في العصر السابق، فيما عدا إن الاسكندر كان يعد نفسه المالك الأعلى للضياع وصاحب الحق فيما هو مقرر عليها من ضرائب، باعتباره السيد الأعلى للبلاد. وقد تم تعيين فيلوكسينوس مشرفا على الضرائب في جميع أرجاء أسيا الصغرى شمال طوروس. ولعله كان صاحب الهيمنة على جميع المشرفين في الولايات، ومن اختصاصه عمل التنسيق بين جهودهم[1].

واجه الاسكندر مشكلة كبيرة في أسيا الصغرى من جراء إعادة النظم الديمقراطية للمدن هناك، فبعد إعادة الأنظمة الديمقراطية في كل مدينة كان يتبعه استدعاء العناصر الديمقراطية من المنفى(كما حدث في افيسوس)،فان أولئك الديمقراطيين سرعان ما يقوموا بتصفية خصومهم السياسيين، كما حدث في مدينة ميتيلني، فما إن استرد الديمقراطيين سلطتهم في المدينة حتى بدوءا يعملون الذبح والتقتيل في خصوهم السياسيين، لذا انبرى الاسكندر بالتدخل على الفور من اجل إنهاء المسألة، وفي افيسوس بعد أن قام الديمقراطيون بقتل الطاغية وابنه هناك عاقبهم الاسكندر برفضه إلغاء الضريبة عنهم. وفي خيوس التي أنظمت إلى ممنون، ثم تمكن الشعب من التخلص من العناصر الفارسية، صدر قرار الاسكندر بإعادة المنفيين وإقامة الحكومة الديمقراطية، ثم أمر بتأليف لجنة مراجعة القوانين، على أن تعرض النتيجة على الاسكندر، وأقام حامية في المدينة إلى أن: "يسوي أهل خيوس ما بينهم من خلافات ويسود السلام بينهم". ثم اصدر في الحال بإطلاق سراح المسجونين، ممن كانوا موالين للفرس في نظير دفع ما عليهم من غرامة، وقرر انه لا يجوز في المستقبل اتهام احد على أساس ما كان يبدو عليه في الماضي من ميول فارسية، وذلك فيما عدا حالتين اثنتين استثناهما وهما حالة الطغاة والخونة. وعلى ذلك أمر بان أولئك الذين خانوا بالفعل خيوس وسلموها إلى ممنون وفروا، لابد من اعتبارهم خارجين عن القانون في أي مدينة يحلون فيها، وفي حالة

---

[1]) المصدر نفسه،ص٦٣-٦٤.

القبض عليهم لابد من محاكمتهم، بينما جرى تسليم جميع الطغاة الذين كانوا قد وقعوا في يد الاسكندر في المدن التابعين لها لكي يقدموا للمحاكمة[1].

لا نعرف الكثير من إجراءات الاسكندر في سوريا وفلسطين، ونعرف إن الاسكندر اقر الأوضاع في سوريا بتعيين ستراب مقدوني عليها يعاونه مشرف مالي. هذا وقد أرسل مينيس احد رجال حرسه الخاص إلى فينيقيا ليتولى القيادة ويقوم بالإشراف على المواصلات البحرية بين فينيقيا وأوروبا، وفي فلسطين أسس الاسكندر في يافا دائرة لضرب النقود، وأمر بتبديل اسم المدينة من يافو(Yapho) إلى جوبا(Joppa) من غير أن نعرف السبب[2].

في مصر نعرف إن الاسكندر قد أبقى الإدارة بيد أهلها بالدرجة الأولى، ما عدا قيادة الحامية التي أودعها إلى قادته[3].ويبدو إن الاسكندر حاول إرضاء المصريين وكسب ودهم وإبراز حكمه بطريقة شرعية على الطريقة المصرية، لذا نجده يقدم القرابين للآلهة المصرية، وعندما وصل إلى ممفيس قدم القرابين للعجل المقدس أبيس، ومن ثم سافر عبر الصحراء إلى واحة سيوه، وكان خط سيره عن طريق الساحل الشمالي إلى بريتونيوم (Paraetonium)(مرسى مطروح الحالية) حيث استقبل، كما يقال، وفدا من إغريق برقة، ثم توجه جنوبا إلى سيوه، لكي يصلي في محراب زيوس أمون، وهنا أعلنه الكاهن ابنا للإله أمون وإنباءه بأنه سيحكم العالم ،وتلقى إجابات عن تساؤلاته من أمون، ونحن لا نعرف ما حدث بين الاسكندر ووحي الإله أمون، ولكن لابد من إن الاسكندر قد سأل عما يشغل باله وهي حملته ومصير جهوده، ولابد إن الرد كان منبئا بتحقيق آمال الاسكندر وسيادته على العالم، أما الاسكندر نفسه فلم يفصح عما حدث داخل قدس الأقداس. وان لقب ابن أمون يعني في الواقع انه الفرعون الشرعي

---

[1]) المصدر نفسه،ص٦٧-٦٨.

[2]) فلافيوس اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ترجمة:فؤاد جميل،(لندن:دار الوراق،٢٠٠٦)ص٤٣؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٤،٨٤؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،(بغداد:مركز الدراسات الفلسطينية،١٩٧٩)،ص٢٨٧.

[3]) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(بغداد:شركة التجارة والطباعة المحدودة،١٩٥٦)،،ج٢،ص٤٤٤.

لمصر[١].وقد اهتم المؤرخون قديما وحديثا بتفاصيل رحلة الاسكندر إلى سيوه لغرابة الفكرة ودلالتها، إذ ما حدا بقائد عسكري لم يفرغ بعد من حرب عدوه أن يقوم برحلة لا تخلو من مخاطرة إلى قلب الصحراء الغربية بعيدا عن العمران من اجل زيارة معبد. ويعتقد البعض إن مثل هذه الرحلة مما يتفق وما نعرفه عن شخصية الاسكندر التي غلب عليها التأثر الديني إلى حد التطهر إلى جانب ميل شديد للمخاطرة واكتناه المجهول، فليس مستغربا إذن أن يستهوي سيوه ومعبد أمون الذي ذاع صيته في العالم اليوناني منذ القدم، خيال الاسكندر ليستلهم وحي أمون عن مستقبل آماله لاسيما وان اثنين من أبطال الإغريق هما: برسيوس، وهرقل قد سلكا هذا السبيل من قبل فيما تروي الأساطير. فالإسكندر بهذا العمل يضيف حلقة إلى تقليد ديني عريق يليق بشخصيته البطولية[٢].لا يخلو هذا الرأي من مبالغة بعض الشيء واقتصاره على جانب واحد في التعليل وهو مسألة شخصية الاسكندر المقدوني وحبه للبطولة واقتدائه بأبطال الإغريق، ولكن هناك جانب أخر يمكن أن يكون سببا وجيها لهذا التحرك، فالإسكندر الذي انتزع مصر من القبضة الفارسية كان عليه أن يثبت الحكم المقدوني فيها، ومن اجل تنفيذ هذه السياسة كان لابد من إقناع الشعب المصري بإيمانه الحقيقي بالمعتقدات المصرية، ولا يبدو هذه السياسة غريبة عن الاسكندر، ففي كل منطقة من مناطق الشرق القديمة يدخلها الاسكندر منتصرا يقوم باتخاذ خطوات دينية من شأنها إقناع شعب هذه المنطقة أو تلك بأيمانه بمعتقداتها، ونشاهد هذه السياسة قد طبقها الاسكندر في أسيا الصغرى عندما ربط نفسه بأبطال الإلياذة، وسنشاهدها أيضا في العراق عندما أعلن عن

---

[١]) باقر، مقدمة، ج٢، ص٤٤٤؛تارن،الاسكندر الأكبر، ص٨٠-٨٢؛عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، (الموصل:مطبعة جامعة الموصل،١٩٧٨)، ص٢١٨؛ باقر وآخرون، تاريخ إيران القديم، ص٧٩؛برن، تاريخ اليونان، ص٤٣٣؛ مصطفى ألعبادي، العصر الهلنستي:مصر، (بيروت:دار النهضة العربية،١٩٨٨)، ص٢٠؛ فوزي مكاوي، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، (القاهرة:المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ١٩٩٩)، ص١٦؛دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ج٢، ص٣٩٥.

[٢]) انظر هذا الرأي في:ألعبادي، العصر الهلنستي، ص٢٠-٢١.

احترامه للمعتقدات البابلية، إن النظر إلى كل هذه الأمثلة سوية تساعدنا على رسم صورة مغايرة لشخصية الاسكندر، التي غلب على الدراسات وصفها بحبها للبطولة فمهما أحب الإنسان الأبطال والأساطير فانه لا يمكن محاكاتها في الواقع ولابد وان كان الاسكندر مدركا لهذه الحقيقة، فالأحرى أن نصف سلوك الاسكندر هو سلوك سياسي بحت أفضل من سلوك شخصي. فقائد بهذه الإمكانيات العسكرية لا يمكن له أن ينتصر إذا ما تحرك وفق أهواه الشخصية وحسب.

بعد أن أتم الاسكندر الزيارة إلى واحة سيوه عاد بالطريق المباشر عبر الصحراء إلى ممفيس حيث أقام بعض الوقت، وتفرغ فيه لإعادة نظام الإدارة والحكم في مصر على أسس جديدة تتلخص فيما يلي:

قسمت مصر إلى قسمين رئيسين شمالي وجنوبي(أي الوجه البحري والوجه القبلي)،وعهد بإدارة كل قسم إلى موظف مصري، ولكن حين تنحى احدهما وهو بوتيسيس(Potisis) تولى زميله دولاسبيس(Doloaspis) إدارة الوجهين معا. أما الحدود الشرقية والغربية فقد انشأ بهما مقاطعتين جديدتين هما: العربية وليبيا، وعين على الأولى: كليومينيس النقراطيسي(Cleomenes Of Naucratis) وعلى الثانية: ابولونيوس ابن خارينوس(Apollonius son of charinus). وفيما يتعلق بالسلطة العسكرية فقد عين قائدين على الحامية العسكرية التي تركها في مصر هما: بيوكستس ابن مكارتاتوس(Peucestes Son of Macartatus)، وبلاكروس ابن امينتاس(Balacrus son of Amyntes)،كما عين بوليمون ابن ثيرامينس(Polemon son of Theramenes)قائدا للأسطول. هذا إلى جانب قادة آخرين لبعض الوحدات المرابطة في ممفيس وبلوزيوم. أما الإشراف على الخزانة، والشؤون المالية فقد عهد به إلى كليومينيس النقراطيسي، وأمره بان يترك حكام المديريات المختلفة يديرون مقاطعاتهم كما كان الأمر من قبل وان يجمع منهم الضرائب المفروضة. وأخيرا عهد إلى كليومينيس أيضا مهمة الإشراف على بناء مدينة الإسكندرية الجديدة[1].

[1]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٨٢-٨٣؛ألعبادي،العصر الهلنستي،ص٢١-٢٢.

إن نظرة سريعة إلى هذا النظام الإداري يكشف لنا نقصا ظاهرا فيه وهو عدم وجود منصب حاكم عام للبلاد، وإنما وزعت السلطة بعناية شديدة بين المشرفين على الإدارة والشؤون العسكرية والشؤون المالية. وقد كان أريان أول من لاحظ هذه الحقيقة وفسرها بان الاسكندر فعل ذلك عامدا ليمنع أي حاكم بمفرده من أن يقوي سلطته ويتمكن من الاستقلال بمصر. ورغم إن احد لم يستقل بمصر أثناء حياة الاسكندر، لكن ما إن غادر مصر حتى وجدنا المشرف على الشؤون المالية كليومينيس النقراطيسي يظهر فوق كل القادة الآخرين، وبدا كأنه والي مصر الفعلي. ورغم إن أعماله أغضبت سائر الإغريق، ولكن يبدو انه ظل حائزا لثقة الاسكندر التامة حتى انه بقي في منصبه طيلة حياة الاسكندر، مما يشير في اقل تقدير إلى إن الاسكندر هو الذي أعطاه هذه المكانة. ومعلوماتنا عن كليومينيس هذا محدودة جدا، فنحن نسمع عنه للمرة الأولى حين عهد إليه الاسكندر بعدة مهام في نظامه لحكم مصر وأهمها الإشراف على الخزانة، ولا نعرف عن تاريخه قبل ذلك. ولكن نستنتج من اسمه انه من إغريق مدينة نقراطيس(وكانت مركزا مهما لإقامة التجار الإغريق في مصر منذ عصر الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية)،ولابد انه كان من أعيانها، وكبار تجارها، مما يجعله ذا خبرة ودراية بشؤون السوق والحياة الاقتصادية المصرية، الأمر الذي يجب أن يتوفر فيمن يعهد إليه بالإشراف على الخزانة. على إن كليومينيس لم يكن مجرد موظف كفء يتلقى تعليمات الملك لينفذها بإتقان وإنما تاجرا وماليا ممتازا. فقد حاول هذا الرجل من السيطرة على السوق المصرية والأسواق العالمية في البحر المتوسط، وعامل المالية المصرية كما يعامل التاجر الطموح ماليته الخاصة، وتاجر باسم الدولة[1].وبلا شك إن وجود موظف طموح بهذا الشكل هو الذي جعل الاسكندر يحجم عن وضع الصلاحيات بيد رجل واحد لذا نجده يقسم الإدارة بين كبار الموظفين، ولكن كليومينيس لم يكن إداريا طموحا فحسب بل انتهازيا اشتهر بالخديعة والحيلة في تحقيق

[1]) ألعبادي،العصر الهلنستي،ص٢٢-٢٣.

أهدافه، استغل الكثير من الفرص للقضاء على منافسي الدولة من التجار وغيرهم كما سنلاحظ من سياسته.

حاول كليومينيس السعي لإضعاف طبقة الكهنة طريق إضعاف قدرتها المالية وابتزازها لإخضاعها. ونمتلك أمثلة جيدة عن مثل هذه السياسة: فقد كانت محاولته الأولى على فئة منهم في منطقة الفيوم التي كانت تقدس التمساح، فادعى انه أثناء زيارته لها إن ابتلع تمساح احد أتباعه وانه انتقاما من هذه الحادثة سوف يصيد التماسيح هناك ويقضي عليها، وهنا خشي الكهنة على إلههم من الاهانة التي ستلحق به فجمعوا ما استطاعوا من المال وقدموه إلى كليومينيس تعويضا عن خسارته احد أتباعه. بعد ذلك قام بمحاولة ثانية استهدف بها طبقة الكهنة بأسرها، إذ جمع ممثلين من جميع المعابد وأعلن إن المعابد تتكلف الكثير من المال ولذلك يجب إغلاق بعضها. فخاف الكهنة على معابدهم، واتفقوا على جمع مبلغ كبير من المال سواء من أملاكهم الخاصة أو من أموال المعابد وقدموها إليه[1].

انتهج كليومينيس سياسة مقصودة لإقامة احتكار لتجارة القمح عن طريق السيطرة على السوق المصرية، بان يصبح هو المصدر الوحيد للقمح المصري. وعن هذا السبيل استطاع التحكم في تجارة القمح العالمية وتحديد أسعاره في الخارج على نحو يحقق الربح الوفير.# وقد ابتدأ بفرض سيطرته على سوق القمح المصرية بان قضى على سائر المنافسين الذين كانوا ينحصرون في الكهنة وكبار المزارعين والتجار[2].فقد اتجه كليومينيس نحو طبقة المزارعين اتفق معهم على أن يبيعوا إليه جميع محصولهم من القمح بالسعر الذي يصدرون به. وبذلك احتكر تجارة القمح وأصبح المصدر الوحيد لهذه السلعة في مصر. كذلك عمل كليومينيس على التحكم بالأسواق العالمية، عن طريق شبكة من السماسرة والوكلاء بثهم في موانئ البحر المتوسط الهامة. هؤلاء الوكلاء كانوا يطلعونه عن أسعار القمح في الأسواق المختلفة، وحيثما شح القمح وارتفع سعره استطاع كليومينيس أن ينتهز الفرصة في الحال ويرسل إلى ذلك المكان شحنات

---

[1]) المصدر نفسه،ص٢٤.

[2]) المصدر نفسه،ص٢٣-٢٤.

من القمح ويبيعها بالسعر الذي يريده هو، حتى قيل انه باع الكيل من القمح في بعض الأزمات بمبلغ ٣٢ دراخمة بينما السعر العادي كان يتراوح بين ٥-١٠ دراخمة فقط. والواقع إن ممارسة الاحتكار لم تكن جديدة في مصر، فقد مارسها الفراعنة من قبل في احتكار السلع للتجارة الداخلية. ولكن محاولة كليومينيس في إنشاء تجارة احتكارية دولية هي الأولى من نوعها. والجديد في محاولته هذه انه مارسها بأساليب تجارية بحتة، وليس مثل أثينا التي استخدمت سيادتها البحرية لاحتكار تجارة البحر الأسود في القرن الخامس قبل الميلاد[١].وهناك تساؤل أخير يجب أن يسأل بشأن نشاط كليومينيس التجاري. وهو هل قام بهذه التجارة لحسابه الشخصي أم باسم الدولة ولصالحها؟ ليس لدينا رد قاطع على هذا السؤال ولكننا نستطيع أن نستشف من مصادرنا إن كليومينيس قام بالتجارة على انه رجل من رجال الدولة. وهناك دليل يؤيد هذا الاستنتاج هو إن بطليموس الأول سوتير تسلم من كليومينيس في خزانة الدولة مبلغ ثمانية الألف طالنت، مما يدل على إن أرباح كليومينيس من التجارة كانت تذهب إلى خزينة الدولة[٢].

سعى الاسكندر إلى ترسيخ المفاهيم الإغريقية في البلدان المحتلة ليرسي فيها فتوحاته، ففي ممفيس مثلا نظم مباريات رياضية وموسيقية بمشاركة اليونانيين المدعوين لهذه الغاية[٣]،ومن ثم خطى أهم خطوة في سياسته في مصر وهي تشييده مدينة الإسكندرية لنفس الهدف، ويذكر أريان وبلوتارك إن الاسكندر أثناء ذهابه إلى معبد أمون في سيوه مر على قرية كانوب(أبو قير الحالية)،وهناك وجد منطقة محصورة بين البحر وبحيرة مريوط تدعى راقودة توقع أن تكون مكانا رائعا لإنشاء مدينة تحمل اسمه. وتوقع للمدينة بسبب مميزات الموقع أن تعيش في تطور وازدهار. وقد أحاطت بنشأة الإسكندرية أساطير أشهرها تلك التي ذكرها أريان حول استخدام الاسكندر للدقيق لرسم

---

[١]) المصدر نفسه،ص٢٤-٢٥.

[٢]) المصدر نفسه،ص٢٦.

[٣]) دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٥.

حـدود أسـوارها وتخطـيط أحيائهـا وكيـف فسـر لـه العـراف اريسـتاندير (Aristander) ذلك بأنه مؤشر لازدهار المدينة ورخائها[1].

عـين الاسـكندر قبل مغادرتـه مصـر المسـئول عـن الخزانـة كليـومينيس مشرفا على بناء المدينة الجديدة وأمر بان تكون الإسكندرية عاصمة مصر. ويبدو إن هدف الاسكندر كان هو إنشاء مركز تجاري يكون سوقا عظيمة ويحل محل صور في البحر المتوسط التي كانت قد دمرت بفعل غزوات الاسكندر. ويبدو إن كليـومينيس جعلهـا فعـلا مركـزا لنشـاطه التجـاري. ورغـم إن مبـاني الإسـكندرية العظيمـة لـم توجـد إلا بعـد إنشـاء البطالمـة دولـتهم، إلا انـه مـا مـن شـك إن إسكندرية كليومينيس كان لها طابع الميناء التجاري، وإنها في عصره احتلت مكانة نقـراطيس كمركـز للتبـادل التجـاري مـع اليونـان، ولـيس أدل على سـرعة نمـاء الإسكندرية في أعوامها الأولى من انه في ٣٢٦ قبل الميلاد كان بها دار نشط لسك العملة تصدر عنها عملة الاسكندر في كميات كبيرة[2].

أمـا بلاد الرافـدين فقـد احتلهـا الاسـكندر في أعقـاب معركـة غاوغـاميلا الحاسـمة مع الفرس، ولم يلاق الاسكندر في بابل حربا بل إن الحـاكم الفارسي مـازيوس سـلم المدينـة إلى الفـاتح، وأول عمـل قـام بـه انـه أعلـن لسـكان بابـل انـه خلصهم من اضطهاد البرابرة[3] وقـد اتبع الاسـكندر سياسـة التسـامح التي اتبعها في مصر، فأعاد مازيوس إلى منصبه، وأبقى البابليين، مثلما فعل مع المصريين في مراكـزهم الوظيفيـة والإداريـة والدينيـة، ولكـن شـؤون الجـيش والماليـة انيطـت

---

[1]) باقر، مقدمة، ج٢، ص٤٤٣-٤٤٤؛ سليمان الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص٢١٨؛ ألعبادي، العصر الهلنستي، ص٢٠؛ مكاوي، الشرق الأدنى، ص١٦؛ دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ج٢، ص٣٩٥.

[2]) تارن، الاسكندر الأكبر، ص ٧٩؛ ألعبادي، العصر الهلنستي، ص٢٦.

[3]) باقر، مقدمة، ج٢، ص٤٤٥؛ تارن، الاسكندر الأكبر، ص٩٣؛ باقر وآخرون، تاريخ إيران القديم، ص٨٠؛ باقر، مقدمة، ج١، ص٦٥٣.

بالمقدونيين فقد عين أوللودور الاميبولي قائدا للجند، واسكيليبيودور بن فيلو جابيا للضرائب[1].

كان تعيين مازيوس سابقة مهمة لان الاسكندر لأول مرة يعين فيها فارسيا في الإدارة، ولكنه لم يخوله سلطات عسكرية ومالية التي بقيت بيد المقدونيين، ومنذ ذلك الحين، كان كلما عين واليا فارسيا، قسم السلطات الثلاث وهي المدنية والعسكرية والمالية، فكان يقصي الفرس دائما عن تولي السلطة العسكرية على انه في أمر واحد فقط كان لمازيوس مركز فريد وهو انه كان الوالي الوحيد الذي سمح له بسك عملة[2].

يبدو إن الاسكندر أراد كسب ود البابليين كما فعل في طروادة ومصر لذا نجده يقدم القرابين للآلهة في معابدها، ويأخذ بيد الإله مردوك[3].ونعرف انه منح لقب ملك الجهات الأربع وملك الجميع[4]،وانه مسك يد الاله مردوك كبير الالهة البابلية، واتخاذ الألقاب الملكية البابلية، وهذا يعني إن الاسكندر أصبح الملك الشرعي في بابل. ويشير أريان إلى إن الكهنة البابليون أشاروا على الاسكندر بجميع ما عليه القيام به في المدينة من واجبات دينية وما يخص الطقوس البابلية القديمة، وعلى وجه الخصوص تقديم القرابين إلى بيل(مردوك)[5].ويتحدث المؤرخين أريان وابيانوس انه حينما دخل الاسكندر مدينة بابل أمر البابليين أن يعيدوا بناء كل المعابد التي دمرها احشويرش، ومن بينها جميعا معبد بيلوس(مردوك-بيل في البابلية) الذي يكرمه البابليون أكثر من

---

[1]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٣٧؛باقر،مقدمة،ج٢،ص٤٤٥؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٩.

[2]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٣؛باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٨٠.

[3]) مارغريت روتن،تاريخ بابل،ترجمة:زينة عازار وميشال أبي فاضل،(بيروت:منشورات عويدات،١٩٧٥)،ص١٧٣؛يوسف غنيمة،نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق،(لندن:دار الوراق،٢٠٠٦)،ص٨٤.

[4]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٩؛دانيال تي.بوتس،حضارة وادي الرافدين:الأسس المادية،ترجمة:كاظم سعد الدين،مراجعة:إسماعيل حجارة،(بغداد:منشورات الهيئة العامة للآثار والتراث،٢٠٠٦)،ص٣٩٨.

[5]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٣٧.

بقية الآلهة الأخرى، لذا شرع بترميم معبد مردوك، ولكنه لم يتمكن لسوء الحظ من تحقيق ما فكر به، فقد تكشفت له ضخامة المهمة التي عقد العزم على انجازها، عندما رأى بعد شهرين من الجهود انه لم يتوصل بمعونة عشرة آلاف جندي إلا إلى إزالة التراب الذي كان يحجب الآثار المتداعية. وطبقا لسترابو كان مقدار العمل كبيرا جدا، وان إعادة المباني لم تكتمل في حياة الاسكندر[1].

تشير بعض المصادر إن موقف الاسكندر من اليهود في بابل كان يختلف عن ذلك الموقف في فلسطين كما سنرى لاحقا، إذ نقرأ عن إجباره ليهود بابل على الاشتراك في بناء هيكل بيل، وعاملهم بقسوة، وجلدهم واخذ منهم غرامة مالية إلا إن اليهود تداركوا الأمر واسترضوا الفاتح وصالحوه، ودخل عدد منهم في جيشه، وحاربوا مع المقدونيين جنبا إلى جنب[2].ولكن لا نعرف صحة هذه الأخبار لاسيما وان الاسكندر كما رأينا في سياسته لم يضطهد أي صنف من أصناف السكان في الأقاليم المحتلة، ولكنه هاجم بقسوة بالغة المدن التي وقفت ضده وساندت الفرس، فهل كان اليهود في بابل مساندين للسلطة الفارسية فهاجمهم الاسكندر بعد دخوله بابل، ولكن نحن لا نعرف أي قوة يهودية اشتركت في القتال مع الفرس، فضلا عن ذلك لم يكن اليهود في بابل إلا أقلية ضئيلة لا يمكن أن يعول الفرس على مساعدتها، لذا من الأرجح أن نعد هذه الرواية مختلقة، لاسيما وإذا ما عرفنا انه لا توجد أي إشارة إلى مجندين يهود في جيش الاسكندر ما عدا هذه الرواية.

---

[1]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٣٧؛روتن،تاريخ بابل،ص١٧٣؛غاغيك سركسيان،"ارض المدينة في بلاد بابل في العهد السلوقي"،بحث ضمن كتاب:العراق القديم،ترجمة:سليم طه التكريتي،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٧٦)،ص٤٨١؛سليمان والفتيان،محاضرات في التاريخ القديم،ص٢١٨؛ ألصالحي،العمارة،ص١٨٨؛ جون اوتس،بابل،ترجمة:سمير عبد الرحيم ألجلبي،(بغداد:منشورات دائرة الآثار والتراث،١٩٩٠)،ص٢١٣؛باقر،مقدمة،ج١،ص٦٥٣-٦٥٤.

[2]) غنيمة،نزهة المشتاق،ص٨٤.

نعرف إن الاسكندر حاول إدخال بعض المفاهيم الإغريقية إلى بابل ومنها انه شيد المسرح اليوناني هناك قبل وفاته بسنتين[1].ويشير بعض الكتاب الإغريق الذين رافقوا الاسكندر في حملته إلى الشرق إلى إن الاسكندر كان ينوي جعل بابل عاصمته الشرقية[2].ويبقى هنا سؤال لابد منه لدراسة الأوضاع في بابل في عهد الاسكندر المقدوني، وهو يتعلق بمدى وجود جالية إغريقية أو استيطان إغريقي في بابل؟ وبتعبير أدق هل هناك مستوطنين إغريق يمكن أن نقرأ عنهم في بابل؟ فالأدلة الاثارية قد تشير إلى هذا الاقتراح لاسيما وجود مسرح إغريقي في بابل، والذي يعد جزء مهما في بناء المدينة الإغريقية، هذا المسرح الذي لا يشكل أهمية بكل الأحوال بالنسبة للبابليين. وهناك أدلة ربما تشير إلى وجود الاغورا(وهو نواة المدينة الإغريقية)،فهل هذا دليل على استيطان إغريقي في بابل؟.

لا نمتلك معلومات كافية عن تواجد استيطاني إغريقي في بلاد بابل خلال عهد الاسكندر، وقد جرى الاقتراح بوجوب البحث عن حي إغريقي في منطقة في بابل المعروفة محليا بالحميرة. ولكن ما من تنقيبات جرت لتأكيد ذلك. هذا مع العلم إن البعض فسر منطقة الحميرة على انهلا بقايا الأنقاض التي رفعت بأمر الاسكندر من حوالي برج بابل[3].وقد كشفت التنقيبات الألمانية الأولى عن مساحة للحرق في هذه المنطقة فسرها على نحو رومانسي كولديفاي بأنها بقايا المنصة التي بناها الاسكندر لحرق جثة صديقه هيفايستون في حين بين شميت إن المنطقة المكشوفة مع علامات الحرق ربما تذكر أكثر بساحة السوق (الاغورا) المنطقة التي دمرتها النيران[4].إن وجود مسرح إغريقي مع منطقة ربما تمثل الاغورا قد تشير إلى وجود مستوطنين إغريق في بابل، ربما من جنود الاسكندر الذين أسكنهم في المدن الجديدة في الشرق، قد اسكن بعضا منهم في

[1]) دروثي مكاي،مدن العراق القديمة،ترجمة:يوسف يعقوب مسكوني،بغداد:مطبعة شفيق،١٩٦١)،ص٤٩.

[2]) ألصالحي،العمارة،ص١٨٨؛اوتس،بابل،ص٢١٢.

[3]) باقر،مقدمة،ج١،ص٦٥٤.

[4]) اوتس،بابل،ص٢١٢؛بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص٣٩٩.

المدن القديمة. ونمتلك إشارات عن تأسيس الاسكندر لدار ضرب النقود في بابل بعد وصوله مباشرة إليها من اجل تأمين رواتب لجنده الذين شكلوا حامية عسكرية هناك[١].

تزودنا المصادر بمعلومات جيدة عن بعض إجراءات الاسكندر في بابل، فقد حفظ كل من أريان وسترابو معلومات تتعلق بتدخل الاسكندر في حقل الإدارة البابلية للجداول والأنهار. وينقل سترابو عن احد قادة الاسكندر، ويدعو اريستوبولوس قوله: "إن الاسكندر فتش الجداول ونظمها مع جيش من أتباعه وانه أيضا سد بعض مصباتها وفتح أخرى"[٢].فضلا عن ذلك فان سترابو، واريان يسجلان إن الفرات قد أصبح صالحا للملاحة، بفضل الاسكندر الذي رفع السدود الاصطناعية التي شيدها الفرس الأخمينيون لمنع الملاحة إلى أعالي نهري دجلة والفرات خشية هجوم خارجي[٣].وإن خطوات الاسكندر المباشرة لإصلاح وتجديد جداول الري والبزل في الفرات، هي حركة تبدو مدفوعة باهتمامات ملاحية عملية، وليس بإحساس من اجل رفاهية ومصلحة النظام الزراعي في بلاد بابل[٤].في الحقيقة كان الاسكندر يملك أسطولا من السفن الحربية التي نقلت قطعا بالسفن الكبيرة من فينيقيا إلى بلاد بابل تأهبا لغزو الجزيرة العربية، وانه بلا ريب يتطلب أن يكون الفرات وفروعه أسفل بابل في حالة جيدة، وحتى أريان يقول إن الاسكندر حفر مرفأ في بابل يتسع لألف سفينة حربية، وانه أوفد ميغالوس الكلازوميني إلى فينيقية وسوريا ومعه ٥٠٠ طالنت لتجنيد مجموعة من الجند واستخدام آخرين من ذوي الخبرة في الشؤون البحرية[٥].

لا نمتلك معلومات كافية عن مدن بلاد الرافدين في عصر الاسكندر ويشير الأستاذ بوتس إلى انه في عصر سلالة أور الثالثة وبابل الأولى، كانت أور تقوم بالتأكيد بوظيفة بوابة بلاد الرافدين للسفن القادمة من الجنوب. ويبدو

---

[١]) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٤٠١.

[٢]) المصدر نفسه، ص٥٢.

[٣]) اريانوس، أيام الاسكندر في العراق، ص٤٠؛ بوتس، حضارة وادي الرافدين، ٥٣.

[٤]) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٣٩٧.

[٥]) اريانوس، أيام الاسكندر في العراق، ص٥٤-٥٥؛ بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٣٩٧.

إن تلك الوظيفة قد انتقلت إلى اريدو عند وصول الاسكندر. وكانت عمر اريدو نحو ٦٠٠٠ سنة حين دخل الاسكندر بلاد بابل. وقد بين الباحث الألماني فايسباخ منذ زمن طويل إن اريدو كانت مماثلة لمدينة تدعى تيريدون(Teredon) لدى مختلف المؤلفين الكلاسيكيين أمثال: سترابو، وديونيسوس، واميانوس مارسلينيوس. وهي يريدوتس أو اريدوتس وفقا لآريان. وعلى وفق يوسيبيوس نقلا عن ابيدينوس إن نبوخذنصر الثاني(٦٠٤-٥٦٢ قبل الميلاد) هو الذي أسس تيريدون ضد غارات العرب، وهو تلميح مهم، فاريدو مذكورة في نصوص بابلية حديثة واجر مختوم بشعار نبوخذنصر وجدت في الزاوية الشمالية الغربية لزقورة اريدو. ونظرا لعراقة اريدو فان ذلك يجب أن ينظر إليه على انه إعادة تأسيس إذا ما كان دليل يوسيبيوس صحيحا. ويقول نيرخوس أمير البحر لدى الاسكندر إن في تيريدون يقوم التجار بجمع البخور من البلدان المجاورة، وجميع الافاوية العطرة التي تنتجها البلاد العربية[1].

من أعمال الاسكندر المهمة في بلاد الرافدين انه شيد مدينة الإسكندرية على دجلة، إذ يذكر بليني إن الاسكندر أمر ببناء مدينة قرب النقطة التي تلتقي فيها قناة الـگارون بنهر دجلة، وقد أنشئت المدينة فوق رابية اصطناعية لحماية الموضع من فيضانات مياه الأنهار القريبة. وقد أراد الاسكندر دون شك أن تكون المدينة الجديدة ميناء تجاريا رئيسا، يستوعب التجارة البحرية الغنية القادمة من الهند ومن شبه جزيرة العرب، فضلا عن ذلك تكون رابطة بين الهند وعاصمته المقبلة في بابل. ولتهيئة عدد كاف من السكان فانه تم إسكان المدينة بالجنود المقدونيين العاجزين من بين جيوشه العائدة من الحروب في الأقاليم الشرقية، كذلك نقل سكان من مدينة دورين(Durine)(التي ما يزال تحديدها

---

[1]) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٤٠٨-٤٠٩. والواقع إن مطابقة تريدون مع اريدو ما زالت غير مؤكدة، فالأستاذ الأحمد يرى إن هذه المدينة بمحل ليس ببعيد عن جبل سنام في جنوب العراق وهو موقع قريب من مدينة اريدو. انظر: سامي سعيد الأحمد، "العراق في كتابات اليونان والرومان"، مجلة سومر، م:٢٦، ج:١-٢، لسنة: ١٩٧٠، ص١٣٥؛ في حين يعتقد البعض إنها في أنحاء مدينة الزبير الحالية. انظر: فؤاد جميل، العراق في القرن الرابع الميلادي بحسب وصف المؤرخ الروماني اميانوس مرشيلينوس، (لندن: دار الوراق، ٢٠٠٨)، ص١٥.

غير معروف) القريبة. وقد سكن المقدونيين في حي من المدينة سمي بيللا(Pella) على اسم المدينة التي ولد فيها الاسكندر[1].

في بلاد فارس يشير أريان إن سكان مدينة سوسه قد أعلنوا استسلامهم للإسكندر وأعطوه ما في المدينة من أموال[2] وإن الاسكندر قد عين في مدينة سوسة ستراب فارسي وهو ابولايتس العربي، كما عين مازاروس قائدا لحامية قلعة سوسه، وارخيلاوس قائدا أخر[3]،كما عين ولاة فرس على ميديا، وميديا باريتاسيني(Parartacene)،وقد ابقى بارمينيون في ميديا، ومعه فرقة من التراقيين والمرتزقة كقائد موكل بالمحافظة على المواصلات البرية[4].

حاول الاسكندر كما فعل في مصر من محاولة إرساء القيم الإغريقية في إيران، ففي سوسة نقرأ عن إقامته سباق الجري بالمشاعل، ومباراة رياضية[5].ولكن كان أهم جراءته انه أمر بجمع شبان فارس وتدريبهم على يد مدربين من المقدونيين، واتخذهم جندا في جيش الملك الجديد، وقد تعلم ٣٠٠٠ شاب فارسي فن الحرب والعادات واللغة الإغريقية[6].وتشير المصادر إن الاسكندر كان يبغي تنفيذ خطة دمج الشرق بالغرب، عن طريق توحيد العناصر الثلاثة الكبرى في إمبراطورتيه وهم المقدونيون واليونانيون والفرس، وليس هناك من دليل على انه ادخل في خطته هذه، أي شعب أو عنصر أخر. ويومئذ احتفل

---

[1]) شيلدن آرثر نودلمان،"ميسان:دراسة تاريخية أولية"،ترجمة:فؤاد جميل،مجلة الأستاذ،م١٢،لسنة:١٩٦٣-١٩٦٤،ص٤٣٥؛جون هانسمان،الجغرافية التاريخية لمنطقة رأس الخليج العربي،ترجمة:عادل عبد الله خطاب،(البصرة:مركز دراسات الخليج العربي،١٩٨٠)،السلسلة الخاصة،العدد:٤٢،ص١-٢؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي،(البصرة منشورات دراسات الخليج العربي،١٩٨٥)،ص٣٣٢؛بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص٤٠٩.

[2]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٤١-٤٢.

[3]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٤٢-٤٣؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٤.

[4]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٩.

[5]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٤٢.

[6]) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٨١؛برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٤؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٧.

بزواج الشرق والغرب. وفي هذا الاحتفال تزوج الاسكندر من بارسين ابنة داريوس الكبرى، وباريستيس الابنة الصغرى لاوخوس الفارسي، حسب عادات الملوك العظام من الفرس، فضلا عن زواجه سابقا من روكسانا ابنة ملك سوغديانا وقد تزوج عدد كبير من ضباطه سيدات من الأسر الشريفة الفارسية، وقد طلقوهن جميعا تقريبا بعد وفاة الاسكندر. ويقال انه تم في هذا اليوم زواج تسعة آلاف جندي من نساء أسيويات. ويذكر البعض انه تم زواج ٨٠ قائدا من قادته وعشرة آلاف جندي(منهم هيفايستون الذي تزوج ابنة أخرى لداريوس، وكراتيوس الذي تزوج اماسترينة ابنة عم بارسين، وتزوج برديكاس ابنة والي ميديا، كما تزوج بطليموس ويومينيس من ابنتي ارتابازوس: ارتاكاما وارتونيس...الخ).واغلب الظن إن هذا الزواج هو الإعلان الشكلي، والتثبيت الرسمي لارتباطات زوجية كانت قد تمت من قبل. وقام الكهنة من رجال الدين المجوس واليونانيين بالصلوات والدعاء بان تتحقق وحدة من الشعوب والملل والأجناس في ظل الإمبراطورية[1].

-موقف سكان الشرق الأدنى من احتلال الاسكندر المقدوني.

إن محاولة فهم موقف مناطق الشرق الأدنى من الاسكندر المقدوني واحتلاله لأراضيها مسألة مهمة وقد اختلفت هذه المواقف في كل منطقة عن الأخرى، فبعض مناطق الشرق القديم قد رحبت بالإسكندر على انه محررها، والأخرى رفضت خضوعها له وقاومته بشدة، ونجد هاتين الصورتين في وقت مبكرة من تاريخ حملة الاسكندر على الشرق. إذ نعرف إن عدد من المدن اليونانية في أسيا الصغرى قد استقبلت الاسكندر بالترحاب الكبير على انه محررهم من السيطرة الفارسية[2]،فمثلا نعرف إن الاسكندر عندما وصل إلى إقليم ليكيا لم يجابه بعداء من قبل الليكيين، ومن المحتمل انه تم الترحيب به

---

[1]) باقر،مقدمة،ج٢،ص٤٤٦؛برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٨؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص٢٢؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٧.

[2]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٧؛ف.دياكوف وس. كوفاليف،الحضارات القديمة،،ج٢،ص٣٩٤.

وفتحت اكسناثوس أبوابها طواعية، كذلك باقي المدن الليكية، وذكر المؤرخ اناباسيس الاسكندري إن الليكيين قدموا (١٠) سفن شاركت أسطول الاسكندر الذي تحشد قبالة الساحل الصوري، كما قدم الليكيين وحدات من مقاتلي الفرسان اندمجت مع قوة الاسكندر شأنها شأن القوات الليدية والسورية[١]،ولكن لم يكن الاسكندر رحيما بالمدن التي عارضت احتلاله، ونحن نمتلك أمثلة كثيرة عن مثل هذه المدن، فعندما عبر الاسكندر مضيق الدردنيل(الهلسبونت)(Hellespont) عام ٣٣٤ قبل الميلاد اعترضت مدينة لامبساكوس(Lampsacus) تقدمه، ولكنه أخطرها بالتخريب، وقد اقنع الاسكندر بالعدول عن تخريب المدينة، وفد ترأسه المؤرخ اناكزيمينيس(Anaximenes)[٢]ونعرف إن هيغسيسترا حاكم ميكال سلم المدينة إلى المقدونيين، لكن ما إن وصلها الأسطول الفارسي حتى تراجع عن موقفه وصمم على مواصلة القتال، في وقت أعلن به السكان المحليون الحياد، لكن الاسكندر مع ذلك ضرب المدينة التي دافع عنها المرتزقة اليونانيون حتى الموت. كما رفضت مليتوس الاستسلام، وبعد مقاومة هدمت خلالها المدينة وأعلنت استسلامها[٣].ونعرف إن مدينة هاليكارناسوس عارضت الاسكندر، وكان ممنون وهو قائد المرتزقة الإغريقي في جيش الفرس بنفسه يتولى قيادة حاميتها ومعه اورنتوباتيس حاكم كاريا، الذي خلف بيكسوداروس ومعهم بعض المنفيين من المقدونيين. وقد فرض الاسكندر الحصار على المدينة، وقد أبلى المحاصرون بلاء حسنا في القتال، وتمكنوا من مهاجمة أدوات الحصار الخاصة بالإسكندر مشعلين في بعضها النيران، وقتلوا احد حراس الاسكندر واسمه بطليموس، كما قتلوا غيره من الضباط. ولما أصبحت المدينة في أخر الأمر لا سبيل للدفاع عنها احرقوا ما لديهم من ذخيرة ومستودعات ولاذوا بالفرار، وقد وكل الاسكندر إلى شخص يدعى بطليموس أيضا ومعه ٣٢٠٠ من المرتزقة، أمره بإخضاع كاريا حيث كان اورنتوباتيس لا يزال معتصما في قلعة سالاماكيس. وقد استطاع الأخير

---

[١]) ألصالحي،المملكة الحثية،ص٥٦٥.

[٢])الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٧.

[٣]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٩.

بفضل المساعدة التي لقيها في اغلب الظن من اغيس ملك إسبارطة، أن يصمد، ولكنه في النهاية هزم على يد بطليموس واساندر، على إن إتمام إخضاع كاريا لم يتحقق إلا في عام ٣٣٢ قبل الميلاد[١].

في سوريا يبدو إن موقف السكان هناك اختلف بين قابلٍ للسيطرة المقدونية أو رافض لها، فالمعروف إن أولى المدن التي أعلنت رفضها لسيطرة الاسكندر المقدوني كانت مدينة صور الفينيقية، التي حاصرها الاسكندر عام ٣٣٢ قبل الميلاد ،في وقت أعلنت مدينة صيدا ومدنا فينيقية أخرى مثل: أرواد، وبيبلوس الاستسلام للإسكندر، وعندما بلغت أخبار استسلام هذه المدن بحر ايجة هربت سفنها التي كانت في خدمة الفرس، وعادت إلى أوطانها. وتشير المصادر إن الاسكندر عندما وصل إلى فينيقيا قابل وفدا من صور عارضين عليه الخضوع والاستسلام بصورة عامة، ولكن الاسكندر لم يكن واثقا كل الثقة بهذا الإعلان لذا طلب السماح له بدخول المدينة لتقديم القرابين والتضحيات لجده الأعلى هرقل (كان هرقل يوازي ميلكارت عند اليونانيين).فكان ردهم على طلب الاسكندر إنهم لن يسمحوا باستقبال احد من الأغراب في المدينة سواء أكان من الفرس أم من المقدونيين. على أنهم أشاروا بوجود حرم مشهور لميلكارت في صور القديمة على البر الأصلي، وفيه قد يجد الاسكندر ضالته المنشودة مما يفي بمطالب ورعه[٢].

لا يمكن تصديق هذه الرواية كحقيقة تاريخية وذلك لعدة أسباب منها: إن المدن التي أعلنت خضوعها للإسكندر ومنها المدن الفينيقية لم يحاول الأخير أن يبرهن عن صدقهم بل تقبل خضوعهم فقط، فضلا عن ذلك إذا كانت صور قد أعلنت استسلامها فلماذا تمتنع عن دخول الاسكندر إليها، هذا نحن إذا صدقنا الرواية كما هي فإنها تخبرنا بوجود مزار لميلكارت في البر خارج صور أو صور القديمة كان يمكن للإسكندر أن يذهب إلى هناك لتقديم قرابينه، لذا فالأرجح إن الرواية مختلقة أرادت أن تعطي السبب الذي من وراءه رفض صور احتلال الاسكندر لها.

---

[١]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٤٨-٤٩؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٩.

[٢]) انظر هذه الرواية في:تارن،الاسكندر الأكبر،ص٧٣-٧٤.

تمكن الاسكندر بمساعدة المدن الفينيقية، وسفنها الحربية من اقتحام مدينة صور عنوة، بعد حصار دام سبعة أشهر وكانت صور تتوقع المساعدة من قرطاجة حيث بعثت بشيوخها وأطفالها ونسائها إلى هناك ليبقى الرجال يقاومون الاسكندر ولكن أملها خاب وخضعت هذه المدينة - بعد إن قتل من الصوريين ٨٠٠٠ من محاربيهم- للإسكندر فدمرها الأخير واعدم ٢٠٠٠ من سكانها، وباع ما يقدر بثلاثين ألفا نهم عبيدا، واحتفل القائد المقدوني بنصره بإقامة الألعاب والشعائر الدينية وتقديم الذبائح في معبد ميلكارت[١].

لم يلق الاسكندر مقاومة في فلسطين إلا من مدينة غزة التي قاومت لمدة شهرين، وقيل ثلاثة أو خمسة أشهر، ودافع عن غزة قائد أطلق عليه اريانوس اسم باتيس (ربما باطش) على رأس جيوش عربية أذاقت الاسكندر الأمرين، وكاد باتيس وقواته ينتصرون لولا وصول التعزيزات لجيش الاسكندر وأصيب الاسكندر نفسه بجراح. وان فتك الاسكندر بأهالي غزة يصور مدى غضبه من مقاومتهم الشديدة له، فقد أبيدت الحامية واقتيد قائدها وذبح على أسوار المدينة وبيع سكانها عبيدا، واستولى الاسكندر على مخازن ضخمة من التوابل لان المدينة كانت المستودع الرئيس لمنتجات الجزيرة العربية[٢].

لا نعرف موقف الجالية اليهودية في فلسطين من تقدم الاسكندر المقدوني، ويخبرنا المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفوس (٣٧-١٠٠م) بأن الاسكندر خلال حصاره لصور طلب من سمعان الكاهن الأعلى للجالية اليهودية في القدس إرسال جيوش له، ولكن الأخير رفض على أساس ارتباطه بالملك الفارسي، ولا نعرف صحة هذا الخبر، ولاسيما وأننا نعرف انه لم تكن من إجراءات الاسكندر طلب من سكان المناطق التي يحتلها الانخراط في صفوف جيشه، أو حتى التطوع في القوات التي كان يبقيها للمحافظة على الأمن الداخلي.

---

[١]) باقر، مقدمة، ج٢، ص٣١١؛ سليمان والفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص٣٧٦-٣٧٧؛ برن، تاريخ اليونان، ص٤٣٣؛ مكاوي، الشرق الأدنى، ص١٦.

[٢]) سليمان والفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص٣٧٧؛ برن، تاريخ اليونان، ص٤٣٣؛ سامي سعيد الأحمد، فلسطين حتى التحرير العربي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨)، ص٦٠.

فلماذا يسأل الاسكندر الجالية اليهودية القليلة العدد بالذات بتقديم متطوعين لجيشه؟ يرى الأستاذ سامي سعيد الأحمد إذا كان هذا الخبر صحيحا فربما يكمن سره في معرفته احتمال تسليح الفرس لإفراد هذه الجالية، واعتمادهم عليهم في حفظ الأمن في البلاد ضد أية حركة قد تصدر من الأكثرية، وبدو الصحراء القريبين، لاسيما والقدس ذات موقع استراتيجي هام[1].

لا يمكن قبول هذه الرواية، وربما ساقها جوزيفوس للتدليل على أهمية هذه الجالية في فلسطين وقوتها. ويستمر جوزيفوس بالقول ما إن أنهى الاسكندر احتلاله لصور وغزة حتى رأى الكاهن الأعلى للجالية اليهودية حلما دعاه إلى الاستسلام للقائد المقدوني. فإذا كان الكاهن الأعلى للجالية اليهودية باتفاق مع داريوس الثالث الملك الفارسي فلماذا لم يساعد الأخير وهو في فترة كان فيها بأمس الحاجة للمساعدة إن كان حقا يقدر الالتزامات ويحترم العهود؟ والواقع إن الكاهن الأعلى إذا أخذنا كلام جوزيفوس مأخذ الحقيقة لم يتقدم لمساعدة سيده الملك الفارسي، بل انتظر ما تتمخض عنه هجمات الاسكندر على صور ثم غزة اللتين كانتا أقوى المدن في سوريا وفلسطين، فلما انتصرت الجيوش المقدونية ودخلت المدينتين المذكورتين تذرع الكاهن بحجة الحلم[2].

يمكن النظر إلى رواية جوزيفوس على إنها محض اختلاق، فالجالية اليهودية القليلة العدد لا يمكن إن يعول عليها كل من داريوس الثالث أو الاسكندر المقدوني، لاسيما وان مقاومة غزة للإسكندر يعد حدثا هاما للفرس، وإن الفرس إن أرادوا أن يعتمدوا على احد في فلسطين فيجب أن يكونوا السكان الأكثرية من كنعانيين وعرب، لاسيما وان مقاومة غزة قد قادها العرب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم تكن الجالية اليهودية قوية كفاية لكي يطلب الاسكندر منها المساعدة لاسيما أثناء حصار صور، وهي المدينة القوية التي طالما استعصى فتحها على أقوى الجيوش فلماذا يحتاج الاسكندر مساعدة الجالية اليهودية؛ وان قصة الحلم الذي جاء مبررا لرئيس الجالية اليهودية تؤيد الاستنتاج، لذا يمكن أن نتصور الأمر إن الاسكندر لم يراسل أصلا الجالية اليهودية، وعندما

---

[1]) الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،،ص٢٨٦.

[2]) المصدر نفسه،ص٢٨٦-٢٨٧.

اقترب من القدس عمل هؤلاء على كسب وده كما فعلوا في السابق مع الفرس، وان هدف جوزيفوس هو محاولة الدفاع عن بني جلدته وإظهارهم بمظهر القوي.

على أية حال فان القدس قد استسلمت للإسكندر، دون مقاومة تذكر بل رحبت به الجالية اليهودية ترحيبا منقطع النظير، ويظهر إن الاسكندر قد سمح لهذه الجالية في القدس أن تعيش وفق قوانينها الدينية، وعاداتها الخاصة، وعفا أفرادها من الضرائب لتلك السنة(٣٣٢ قبل الميلاد) حتى قيل انه صلى في المعبد[١].ويذكر جوزيفوس في رواية أخرى إن يهود القدس طلبوا من الاسكندر أن يسمح لليهود في بلاد بابل وميديا أن يعيشوا حسب شرائعهم، إلا انه لم يذكر احد من كتبة سيرة الاسكندر هذه المسألة، ولهذا ارتأى الأستاذ هويلر إن القصة موضوعة وضعها اليهود المتهلنين أي الذين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الأول الميلادي، لكي يثبتوا إن علاقة اليهود قديمة باليونانيين من عهد الاسكندر[٢].

نقرأ في المصادر عن وفد من السامريين قابل الاسكندر، ودعاه إلى زيارة مدينة شخم واخبروه بأنهم ليسوا بيهود بل صيدونيين[٣]! ولا نعرف السر في ذلك، ولكن من غير شك أرادوا تمييز أنفسهم عن اليهود فكما هو معروف إن يهود السامرة يختلفون عن اليهود في كثير من الجوانب حتى في بعض المعتقدات الدينية. ولكن فيما بعد نقرأ إن أهالي السامرة قد قاموا بثورة عارمة احرقوا خلالها الحاكم اندروماخوس حيا لا نعرف أسبابها وتفاصيلها كانت نتيجتها إن قام برديكاس بإجلاء سكان المدينة وإسكان مقدونيين بدلا عنهم[٤].

في مصر تشير المصادر إن الاسكندر قوبل بالترحاب من قبل المصريين الذين اخذوا يرون بالإسكندر الأخذ بالثأر لهم من الفرس، وربما يكمن السبب في أن السنوات الأخيرة للحكم الفارسي في مصر قد تميزت بالقسوة والاضطهاد

[١]) الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،ص٢٨٧ ؛الأحمد،فلسطين،ص٦٠.

[٢]) غنيمة،نزهة المشتاق،ص٨٤.

[٣]) الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،ص٢٨٧.

[٤]) الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،ص٢٨٧ ؛الأحمد،فلسطين،ص٦٠.

واهانة المصريين في ديانتهم ومعتقداتهم[1].لا نعرف صحة هذه الرواية، ورغم إننا لا نمتلك ما يشير إلى عكسها إلا إن قسوة الحكم الفارسي في مصر ليس كافيا ليجعل المصريين يرون بالإسكندر على انه محررهم، وحتى ولو افترضنا صحة الرواية فلابد وان المصريين قد تغيرت فكرتهم عن الاسكندر وفتوحاته بعد السياسة التي نفذها المشرف على الخزانة كليومينيس النقراطيسي، وهو الموظف الذي اشتهر بابتزازه للمعابد المصرية ومحاولته اهانة مقدسات المصريين.

في بابل يتحدث كل من كونتوس كوريتوس واريان إن الاسكندر عندما دخلها استقبله ورجاله الناس الذين تدفقوا فارشين الشوارع بالزهور حتى كانت فرق من الكهنة تنشد، ويمكن أن نقرأ وصف أريان لدخول الاسكندر إلى بابل: "خرج البابليون إلى استقباله على بكرة أبيهم، وكان في مقدمتهم الكهنة والحكام، وكل يحمل هدية ويعرض استسلام مدينة أو قلع، ويقدم ماله"[2].ويعلق بوتس على ذلك بان هذا كله أوبرا وليس تاريخا[3].يرفض البعض هذه الصورة على أساس إن السياسية الفارسية القاسية تجاه بابل ليست كما تصور، فالمعروف إن داريوس واحشويرش، قد دمرا معابد بابل في أثناء الانتفاضات البابلية الفاشلة. لذلك فان الاسكندر عد محررا لبابل، ولكن هذه الصورة لا يمكن قبولها فتراث احشويرش في تدمير المعابد البابلية قد كشفه م.كورت وس.شيرون-وايت بأنه ابتداع متأخر من غير أساس[4].وكان الأستاذ جورج رو قد نبه منذ وقت طويل إلى هذه الحقيقة، إذ يقول إذا كان هيرودوتس قد قام فعلا بزيارة بابل بعد ثورتها الأخيرة على احشويرش، بعشرين عاما فان وصفه يسمح

---

[1]) سليمان والفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص٢١٨؛ الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص١٢٨؛ باقر وآخرون، تاريخ إيران القديم، ص٧٩؛ دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ج٢، ص٣٩٥.

[2]) اريانوس، أيام الاسكندر في العراق، ص٣٦.

[3]) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٣٩٧-٣٩٨.وقد أيد بعض المؤرخين الكتاب الإغريق في مسألة استقبال البابليين للاسكندر. انظر: الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص١٢٩؛ ألصالحي، العمارة، ص١٨٨؛ اوتس، بابل، ص٢١٢.

[4]) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٣٩٨؛ دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ج٢، ص٣٩٥.

لنا بالاستنتاج بأنها قد عانت أذى قليلا بدرجة ما. وفي الحقيقة فان هيرودوتس يكتفي بذكر إن احشويرش قد سلب من ايساگ-ايلا (معبد الإله مردوك في بابل) التمثال الكبير للإله مردوك المصنوع من الذهب. غير إن كتابات المؤرخين مثل: أريان، وكيتسياس، وسترابو توحي لنا بان أسوار المدينة قد أزيلت، وان المعابد قد سويت بالأرض، ولما كان اسم ايساگ-ايلا، والمعابد الأخرى يتكرر وروده في نصوص متأخرة، لذلك فمن المحتمل أن تكون تلك المعابد قد خربت جزئيا وتهدمت في القرون اللاحقة بسبب تركها دون صيانة[1]. فإذا كانت الرواية القائلة بتدمير بابل من قبل احشويرش محض اختلاق فلماذا عُد الاسكندر محررا؟ لا يمكن قبول فكرة استقبال البابليين للإسكندر على انه محرر، وان الروايات التي حيكت حول استقبال الاسكندر من قبل البابليين كما نقلها مؤرخو الاسكندر لا يمكن قبولها كمسلم تاريخي. فالأستاذ كورت قد عرض بوضوح إن أوج الاستقبال الحافل للبطل الفاتح، بمناسبة دخول الاسكندر بابل، يشابه تماما الترحيب الذي تلقى به مواطنو بابل سرجون الأشوري عام ٧١٠ قبل الميلاد، ثم كورش الكبير في ٥٣٩ قبل الميلاد، بصرف النظر عن تدفق الحماسة العفوي، فإن مثل هذه المناسبة الاحتفالية التي نظمها تنظيما جيدا كلا الطرفين بعد الأمر الواقع بالنصر العسكري الكبير، وهرب أو اسر أو استسلام المدحور، تمثل نتيجة نهائية لمفاوضات معقدة فرضتها على المواطنين ظروف غير مرغوب فيها، وكما لاحظ ب.بريانت انه بغض النظر عن التدهور نتيجة الضرائب الباهظة التي فرضها الملك الاخميني فان بلاد بابل مرت بفترة من الهدوء والرخاء، وهذا يجعل المرء يفهم على النقيض من الفرضية المستقاة مباشرة من مادحي الاسكندر وان الصفوة البابلية المثقفة لم تعد الانتقال من الهيمنة الفارسية إلى الهيمنة المقدونية تقدما[2].

---

[1]) جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤)، ص٥٤٨؛ وحول رواية هيرودوتس الخاصة بسلب تمثال الرب مردوك انظر، هيرودوتس، ١ :١٨٣. في: هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠٠٧).

[2]) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٣٩٨.

من ذلك نخلص انه بشكل عام فان فكرة استقبال البابليين للإسكندر بهذه الطريقة الموصوفة في الأدبيات الإغريقية التي كتبت حول سيرة الاسكندر لا يمكن عدها ذات أسس تاريخية، فمؤرخو الاسكندر لابد وان أضافوا الكثير من الخيال الخلاق عند تدوينهم سيرة ذلك القائد المقدوني الذي تمكن في غضون أربعة أعوام فقط من إسقاط واحدة من أقوى الدول في العالم القديم والد أعداء بلاد اليونان. من جانب أخر نمتلك رواية لدى اريانوس ذا مغزى خاص يمكن أن تقدم لنا إضاءة حول قضية ترحيب البابليين بالإسكندر كمحرر تقول الرواية: "عندما كان الاسكندر وجيشه يعبران دجلة متجهين إلى بابل استقبله الفلاسفة الكلدان(الكهنة البابليين) وانحوا به جانبا، بعيدا عن (الأصحاب)،ورجوه أن يتوقف عن زحفه على المدينة. لقد اعلموه إن الإله بيل أوحى إليهم إن دخوله بابل في ذلك الوقت بعينه ليس في صالحه"[1].هل كانت هذه نبوءة عرافية أم رغبة بابلية بعدم دخول الاسكندر بابل، صحيح إن الاسكندر دخل بابل من غير حرب، ولكن يبدو إن السكان لم يكونوا راغبين في استبدال حكم فارسي بأخر مقدوني، ويمكن أن نصل إلى هذه القناعة إذا ما تابعنا رواية أريان التي تتحدث عن رد فعل الاسكندر على هذه العرافة: "خامر الاسكندر شك في نصيحة الكلدان، وجال في خاطره إنهم يحاولون صده عن زحفه على بابل لأنهم ينظرون إلى مصلحتهم الخاصة لا النزول على ما جاء في النبوءة"[2].ويحاول أريان أن يعطي تفسيرا لذلك ويقول إن الكهنة البابليين لم يكونوا يريدون أن يقوم الاسكندر بترميم معبد مردوك لأنهم كانوا يستحوذون على كل الذهب الموقوف للمعبد فإذا ما قام الاسكندر بترميم المعبد فان كل هذا الذهب سيعود إلى المعبد ما إن يكتمل[3].يبدو إن هذا التعليل غير منطقي فالكهنة وان كانوا يستحوذون على الذهب المفترض أن يكون عائدا لمعبد مردوك فانه بعد بناء هذا المعبد سيبقون هم القوة المسيطرة الوحيدة على واردات المعبد، فإدارة المعبد كما هو معروف في بلاد الرافدين بيد الكهنة، وليس هناك من إشارة إلى إن

---

[1]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٤٦.

[2]) المصدر نفسه،ص٤٧.

[3]) المصدر نفسه،ص٤٩.

الاسكندر حاول التدخل في شؤون المعابد في المناطق المحتلة، باستثناء الإشارة الخاصة بالنسبة إلى كليومينيس، وابتزازه المعابد المصرية، وهذا أمر طبقه احد إداري الاسكندر بعد مغادرته المدينة وليس بأمر منه. فإذا كان السبب الذي أعطاه أريان واه فلماذا حذر الكهنة البابليون الاسكندر من دخول بابل، بلا شك إن الهدف من ذلك سياسي، فالبابليون رافضون لاحتلال الاسكندر، ولكنهم غير قادرين على مقاومة الاسكندر وجيشه لذا لجئوا إلى العرافة لعلها تقنعه بمغادرة المدينة.

لا نمتلك معلومات عن موقف الفرس من الاسكندر المقدوني، ولكن انضمام الشبان الفرس في جيش الاسكندر يوحي بعدم وجود ميول عدائية ضده في بلاد فارس، ولكن مع ذلك لا يمكن أن نسلم إن الفرس بأجمعهم لم يظهروا عدائهم للإسكندر، وفي اقل تقدير لابد وان كان أولئك الذين كانوا ماسكين بزمام السلطة السياسية من الفرس في بلاد فارس قد كانوا معادين له، لأنهم فقدوا امتيازاتهم السابقة بسقوط الدولة الاخمينية، وينسحب الأمر كذلك على رجال الدين من الزرادشتيين الذين تضررت مصالحهم بغياب حماتهم من ملوك الفرس، ونحن نمتلك رواية تشير إلى الضرر الذي لحق بالديانة الزرادشتية من جراء غزو الاسكندر المقدوني، فطبقا للروايات المتداولة عن الافستا(الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية) والتي يتناقلها رجال الدين الزرادشتيين، انه توجد في العصر الاخميني نسختان فقط من الافستا إحداهما محفوظة في البلاط الشاهنشاهي في برسيبولس، والثانية محفوظة في مقر معبد النار اذركشسب، وان الاسكندر المقدوني عندما هزم الجيوش الاخمينية، وأطاح بعرش داريوس الثالث عام ٣٣١ قبل الميلاد ووصل إلى تخت جمشيد عن طريق سوسة احرق القصر الملكي وراحت النسخة المحفوظة في القصر طعمة للنيران، أما النسخة الثانية، والتي كانت في معبد النار اذركشسب، فان الاسكندر أمر بان ترسل إلى اليونان وتترجم هناك[1].فإذا صحت هذه الرواية فلابد وان كان رجال الدين الزرادشتيين حانقين جدا على الاسكندر المقدوني ذلك القائد الذي تسبب في

---

[1]) عبد السلام عبد العزيز فهمي،تاريخ اللغة الإيرانية،(الفجالة:مطبعة شاتو،١٩٧٢)،ص٤١.

ضياع النصوص المقدسة لديانتهم. وهناك رواية تعرف بين الزرادشتيين باسم: "كتاب عن فيراز الصالح"(أردا فيراز ناماك)،وهذا الكتاب يعود إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادي، ويعد من الآداب الزرادشتية الأكثر انتشارا وقراءة، بين الزرادشتيين، نقرأ فيه معلومات يمكن أن يستفاد منها لمعرفة موقف الزرادشتيين من الاسكندر والرواية تقول: "هكذا يقال بان زرادشت الصالح نشر في زمن ما الدين على الأرض، الذي أوحى (به) الإله له، وظل هذا الدين محافظا على نقائه، ولم يتعرض الناس للشك فيه لمدة ثلاثمائة سنة. من ثم، لتجبر روح الشر القذرة والملعونة،(دفعت)الناس على الشك بهذا الدين،(و) أرسلت الرومي المقيم في مصر الكسندر إلى إيران ليقوم بنهبها ونشر الرعب فيها، فقتل ملك إيران، ودمر قصره وسلب دولته. ذلك الآثم، الملعون، الحقود، الرومي، السافل الكسندر المقيم في مصر، جمع الكتب الدينية واحرقها، وبالأخص افستا والزند[تلك الكتب] التي كتبت بأحرف ذهبية على جلود الأسود، المجهز لهذا الغرض، وحفظت في مدينة اصطخر... وهو (الذي) قتل أيضا الكثير من رؤساء الكهنة، والقضاة، والهرابذة، والموابذة، أنصار الزرادشتية، وحكماء إيران، وشخصياتها المعروفة.(و)زرع الكسندر الضغينة، والفتنة بين النبلاء وبعض حكام إيران، وصاروا يعادون بعضهم بعضا نتيجة عمله هذا، ولكن الاسكندر نفسه هلك ودخل الجحيم"[1].

رغم الأخطاء التاريخية في رواية أردا فيراز ناماك إلا إنها تشير إلى ذكريات ذلك العمل الذي ارتكبه الاسكندر في تدمير الكتابات المقدسة الزرادشتية. ولكن هل بالفعل عمل الاسكندر على تحطيم الزرادشتية، لا نمتلك معلومات تشير إلى عكس ذلك، ولكن يمكن أن نثق بالرواية الزرادشتية لان فيها الكثير من الوجاهة، فاقل تقدير ربما بالفعل حرقت نسخة الافستا عندما أقدم الاسكندر على حرق القصر هناك، هذه الحالة التي تشير إليها الرواية الإغريقية

---

[1]) افستا:الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية،تحرير:خليل عبد الرحمن وآخرون،(دمشق:روافد للثقافة والفنون٢٠٠٨)،ص٨٧٠-٨٧٢.

أيضا[1]،وربما كان الزرادشتيون يعتقدون إن حرق نسخة الافستا كان عملا مقصودا من الاسكندر.

-النتائج الفعلية لغزو الاسكندر المقدوني للشرق الأدنى

لقد كان لاحتلال الاسكندر المقدوني للشرق بداية فعلية لمتغيرات سياسية وحضارية بعيدة المدى، إذ سمح هذا الاحتلال، وعلى نطاق واسع باحتكاك شديد بين الحضارتين اليونانية(الهلينية) والشرقية، وكان ذلك الاحتكاك قد استمر في عهد الاسكندر، وخلفائه السلوقيين والبطالمة. وكان من نتائجه بروز عناصر حضارية طبعت إقليم الشرق وسكانه، وهذه العناصر الحضارية تستمد مقوماتها من تراث الحضارة القديمة مع التأثيرات الهلينية، لذا يصطلح على تسمية السمات الحضارية الجديدة أو هذه المرحلة الحضارية، وبكل خصائصها السياسية والاقتصادية بمرحلة الحضارة الهلنستية[2].

ان السؤال الذي يبرز هل إن الحضارة الهلنستية هي نتاج غزو الاسكندر المقدوني للشرق وحسب؟ هل هناك من عوامل قد مهدت إلى هذا الامتزاج الحضاري أو يمكن إن نسميه الوحدة الحضارية التي عمت الشرق؟. هل من أدلة على تأثيرات شرقية بعيدة المدى في مهدت لظهور الحضارة الهلنستية؟.

إن أدلة يمكن أن نسوقها هنا لإثبات إن الشرق هو الذي قد بدأ الخطوة الأولى نحو هذه الوحدة الحضارية، وعلى الأقل هناك عوامل مهمة مهدت الأرضية المناسبة لظهور الحضارة الهلنستية بهذا الشكل السريع أي مباشرة بعد دخول الاسكندر للشرق. وأول هذه العوامل هي الدولة الأشورية وبالأخص ما يعرف باسم سياسة الترحيل الأشورية كما لاحظ الأستاذ هاري ساكز المتخصص في الأشوريات. يتحدث الأستاذ ساكز، ويقول انه من المحتمل كانت أكثر المساهمات الأشورية إلى تاريخ العالم أهمية هي سياستهم في ترحيل

---

[1]) حول مسألة حرق القصر في برسيبولس انظر:باقر،مقدمة،ج٢،ص٤٤٦؛سليمان والفتيان،محاضرات،ص٢١٨؛برن،تاريخ إيران،ص٤٣٤؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٩؛باقر،مقدمة،ج١،ص٦٥٢.

[2]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٩.

السكان، إذ كان عدد السكان الذين تأثروا بالترحيل الأشوري كبيرا، وقد قدر العدد في القرون الثلاثة الأخيرة من عهد الإمبراطورية الأشورية إلى ما يقرب من أربعة إلى خمسة ملايين. وان أهمية ذلك على الأمد البعيد هو التأثير على الاختلاط العرقي. فالاعتبارات الجغرافية، والجبال والأنهار، والصحاري، مجتمعة مع العوامل التاريخية التي عملت على تقسيم الشرق الأدنى إلى مناطق منفصلة تتجه نحو الانعزال. وكانت سياسة الترحيل الأشورية من أكثر القوى فاعلية في بدء عملية كسر الانعزال. وفي بعض مدن وعواصم بلاد أشور نفسها كان الأشوريون عرقيا يكونون الأقلية لان أقواما من لغات وأجناس أخرى غير الأشوريين قد استقروا هناك، وعوملوا كمواطنين متساوين مع غيرهم. ومع استمرار عملية الاستيطان هذه، المفروضة بالقوة، في جميع أرجاء الحكم الأشوري، كان هناك زيادة كبيرة في الاختلاط العرقي يقابله إضعاف الخصوصية العرقية. ولم تكن هذه عملية سريعة ولم تظهر نتائجها مباشرة إلا إنها مهدت الطريق للوحدة الحضارية المتزايدة في جميع أرجاء المنطقة. وقد اثر ذلك على التاريخ التالي لكل الشرق الأدنى. لقد وفرت عملية كسر الانعزال أرضية متجانسة جعلت من الممكن طبع الشرق الأدنى بطابع الهلنستية بعد الاسكندر[1].

يمكن أن نلاحظ عامل أخر عمل على إعطاء الشرق القديم طابع الوحدة الحضارية وهو عامل اللغة الآرامية. فمنذ القرن السابع قبل الميلاد أخذت الآرامية بالانتشار، وبدأت تقتحم معاقل اللغة الاكدية، وعندما كان الملوك الأخمينيون يفتشون عن لغة مفهومة وسهلة بالنسبة لجميع الشعوب المختلفة التي خضعت لهم اختاروا اللغة الآرامية، وسرعان ما انتشرت الآرامية بقوة لدرجة إننا نجد إن عملة الحكام، وأمراء القبائل الذين كانوا في أسيا الصغرى كانت تحمل نقوشا أرامية، إلى جانب اللغة الإغريقية، وقد استخدم بعض أشراف هذا العصر اللغة الآرامية في نقشين من نقوش أسيا الصغرى؛ واحد هذين النقشين يستخدم الإغريقية إلى جانب الآرامية. وان اللغة الآرامية

---

[1]) هاري ساكز، قوة أشور، ترجمة: عامر سليمان، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩)، ص٣٧٨-٣٧٩.

نفسها قد امتدت في أسيا الصغرى حتى وصلت الدردنيل وسينوب على البحر الأسود. ومن مصر وصلتنا نقوش أرامية ترجع إلى العصر الفارسي منها: واحدا يرجع بتاريخه إلى السنة الرابعة من حكم احشويرش أي عام ٤٨٢ قبل الميلاد. هذا وقد وجدت نقوش أرامية قديمة في داخل الجزيرة العربية في واحة تيماء شمال الحجاز، وربما ألف أقدمها بل أهمها قبل العصر الفارسي؛ وقد دخلت الآرامية هنا عن طريق التجارة. ويمكن أن نتعرف أيضا على فصول أرامية في العهد القديم، وان بعض فصول سفر عزرا الآرامية، ربما دونت في العصر الفارسي[1].بلا شك كان انتشار اللغة الآرامية الكبير ساعد بشكل واسع على تناقل الأفكار، وفهمها بين عدد كبير من شعوب الشرق القديم، وكسر الحواجز الفكرية بين شعوب الشرق القديم، ومهد الطريق للوحدة الحضارية، الأمر الذي يمكن عده عامل مهم من العوامل الممهدة لانتشار الهلنستية فيما بعد.

ولعل عامل لا يمكن إخفاءه هنا يقدم لنا تفسيرا عن سبب الانتشار السريع للهلنستية بمقدم الاسكندر المقدوني، إلا وهو الاحتكاك بين الشرق والغرب في عصر الدولة الاخمينية السابق لغزو الاسكندر الكبير. وترجع بدايات الاحتكاك إلى عهد كورش الكبير مؤسس الدولة الاخمينية، عندما اجتاح دولة ليديا في أسيا الصغرى، واجتاح أيضا بعض المستوطنات اليونانية في غربي أسيا الصغرى. وازداد هذا الاحتكاك تعمقا بعد مشاريع داريوس الكبير العسكرية، عندما عبر البوسفور وتعقب ملوك قبائل الساكا، وبلغ في تحركاته نهر الدانوب فخضعت الكثير من المستوطنات اليونانية على الساحل الأسيوي، وبعض الجزر القريبة لسيطرته، كذلك الاحتكاك باليونانيين من خلال مقاطعة مقدونيا. أما الحروب الفارسية(٤٩٠-٤٨٠قبل الميلاد) بين اليونانيين والفرس فإنها قد نقلت الاحتكاك الخارجي بين الطريفين إلى واقع يعيشه آلاف من جنود المتخاصمين يوميا، فضلا عن الأسرى من الطرفين الذين نقل بعضهم إلى قصور الملوك

---

[1]) حوا انتشار اللغة الآرامية انظر:تيودور نولدكة،اللغات السامية،ترجمة:رمضان عبد التواب،(القاهرة:دار النهضة العربية،١٩٦٣)،ص٥٠-٥٢؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ اللغات الجزرية-مطبوع ضمن كتاب:حضارات الوطن العربي أساسا للحضارة اليونانية،(بغداد:مطبعة إيلاف،٢٠٠٣)،ص١٤٥-١٤٦.

والأمـراء في المـدن والعواصـم. ويمكـن أن نتـذكر أيضـا بهـذا الخصـوص عهـد ارتحششـتا الأول، ذلـك العهـد السـلمي بـين الأخمينيـين واليونـانيين، والـذي هيـأ الفرصة أمام العديد من المؤرخين، والعلماء، والفلاسفة، اليونانيين للتوغل في أقطار الشرق الخاضعة للأخمينيين ،ومن هؤلاء هيرودوتس، الذين ساعدوا في عملية التفاعل الحضاري بين المركزين. وهكذا نجد بذور الهلنستية تغرس في العصر الاخميني الذي مثل العالم الشرقي بأسره. وكانت سبل المواصلات في هذا العصر متطورة إلى حد بعيد، وذلك بفضل المواصلات البحرية التي تطورت كثيرا بفضـل الفينيقيـين أو البريـة التي ازدهـرت طرقهـا الصـحراوية بفضـل الجمـل وأصحابه التجـار العـرب، أو في الطرقـات الأخـرى التي بـذل الأخمينيـون جهـدا ملحوظـا منـذ أيـام داريـوس الكبير على شـقها ورصـفها بالحجـارة، وزرع نقـاط الحماية على طولها، وقد عثر على نقود يونانية في معظم الأقاليم الغربية للدولة الاخمينيـة، وبعضـها يرجـع للقـرن الخـامس قبـل الميلاد، ومعظمهـا يعـود للقـرن الرابع قبل الميلاد. وجاءت هذه المسكوكات من بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين وجنوبي الجزيرة العربية. وتؤكد المكتشفات الاثارية من الصناعات الإغريقية في سـوريا وفلسـطين وإيـران والعـراق عـن تطـور الاتصـالات بـين العـالمين الشـرقي والغربـي. وهكـذا أصـبح العـالم القـديم بشـقيه الشـرقي والغربـي مهيـأ لقبـول المتغيرات النوعية في الحياة المادية والفكرية. ويرى البعض انه لو تهيأت للفرس الأخمينيين السيطرة الناجزة على بلاد اليونان مركز الحضارة والفكر الغربي، ولو لم يكن الأخمينيون دعاة ديانة جديدة ،تعصبوا إليها كثيرا، وهي الزرادشتية التي كـان انتصـارها في إيـران بفضـل الأخمينيـين فلربمـا بـرزت عناصـر الحضـارة الهلنستية قبل تاريخها بوقت طويل[1].

من ذلك نخلص إن الهلنستية ليست نتاج للغزو الذي نفذه الاسكندر المقدوني للشرق بقدر ما هو نتاج مباشر للمدنية الشرقية القديمة، فالأشوريون ساهموا أولا في كسر الانعزال الفكري، والجغرافي في أنحاء الشرق، وكان للغة الآراميـة دورهـا الفاعـل في توحيـد العـالم القـديم فكريـا، وسـاهم وجـود الدولـة

---

[1]) انظر هذا التحليل في:الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٣٥-١٣٦.

الاخمينية في وضع كل تجارب الشرق السابقة أمام اليونانيين، وأعطوا اللمسات الأخيرة في جعل الطريق ممهدا أمام الاسكندر المقدوني لتنفيذ عملية نشر الهلنستية التي أصبحت جاهزة.

إن دراسة هذه الحقبة تشكل أهمية خاصة لمعرفة النتائج الحقيقية المترتبة على غزو الاسكندر لمقدوني للشرق ،فمن جانب استولى الإغريق بزعامة الاسكندر المقدوني على الإمبراطورية الفارسية بكاملها، ونقلوا نظام دولة المدينة (Polis) الاقتصادي حتى نهر السند وجيحون. وقد جعلت غزوات الاسكندر مصر، واسيا الغربية منطقة من مناطق النظام الثقافي والاقتصادي اليوناني، ومن نتائج هذه الفتوحات إنها فتحت أسيا للتجارة، وللاستعمار اليوناني، ولهذا خففت مؤقتا من وطأة الأزمة الاقتصادية التي تمر بها بلاد اليونان. وفي هذه المنطقة الجديدة الواسعة كانت تستعمل لغة يونانية واحدة، لذلك أصبحت الأفكار تنتقل بحرية، وعملت وحدة النقود، والطرق الجديدة، والمرافئ، والمنازل المحسنة، والسفن الكبيرة، على تسهيل المعاملات التجارية. وان ضم الإمبراطورية الفارسية لم يكن مجرد تغير في السلالة الحاكمة بقدر ما كان احتلال عالم جديد للاستعمار اليوناني[1].لكن من ناحية أخرى أدى تدمير الإمبراطورية الفارسية، إلى قيام هيمنة جديدة مؤسسة على استعباد شرس للسكان الأصليين على يد الإغريق والمقدونيين، وان هدم إمبراطورية الفرس لا يعد مهما بالنسبة للجماهير الشعبية، فقد تلى نير الإمبراطورية الفارسية المتهرئ استغلال أقسى مارسه المحتلون[2].

كان لقيام الاسكندر بتشييد عددا من المدن الجديدة في الشرق ذا نتائج مهمة في طراز المدينة الشرقية، ويمكن أن نوضح الفرق الكامن بين المدن الشرقية القديمة، والمدن الجديدة التي أنشأها الاسكندر. ففي المدن القديمة فضل المخططون القدماء وضع مناطق القصور، والمعابد، والمراكز الإدارية،

---

[1]) كوردن تشايلد، ماذا حدث في التاريخ،ترجمة:حسين مؤنس،(القاهرة:بلا.مط،١٩٥٦)،ص٢٣٦-٢٣٧؛انظر كذلك:دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٧.

[2]) دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٧-٣٩٨.

والشوارع الرئيسة، على خطوط مستقيمة، وترك أجزائها الأخرى في شبه فوضى وارتباك فحصل نتيجة لذلك تطور عفوي عشوائي، غير منتظم يتميز بشوارع ضيقة، وأزقة ومناطق سكنى مزدحمة. وقد استمرت بعض المدن كبابل وأشور بهذا الشكل بعد غزو الاسكندر حيث أغلق قسم من شوارعها، ولذلك لم يعد هناك نظام أو ترتيب للسكنى[1]. لكن الاسكندر قد فهم أهمية المدن من نواحي متعددة تشمل الإدارية والاقتصادية والأكثر أهمية السوقية. وقد شجع الاسكندر تأسيس المدن الإغريقية في الشرق، وهي سياسة اتبعها أبوه عند غزوه تراقيا، لغرض السيطرة على مركزية الإدارة. وفي الوقت الذي كانت فيه المدن الشرقية القديمة تبنى بشكل غير منتظم، فإن المدن الجديدة شيدت حسب التخطيط المنظم الهيبوديمي(Hippodamian)الذي تميز بشوارع مستقيمة متقاطعة مع بعضها بزوايا قائمة. ومصمم هذا التخطيط المنظم أو الذي في بعض الأحيان يسمى بالتخطيط حسب رقعة الشطرنج، هو ايوني إغريقي من مدينة مليتوس في أسيا الصغرى الذي أعاد بناء مدينته في عام ٤٧٩ قبل الميلاد بعد أن دمرها الفرس حسب تخطيط منتظم اشتهر باسمه .وقد اتبع هذا التخطيط في العديد من المدن الإغريقية والرومانية مثل: بيرايوس ميناء أثينا في نحو منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، ومدينة ثوري(Thurii) في عام ٤٤٣ قبل الميلاد. وقد اتبع الاسكندر هذا التخطيط لأنه يلبي الاحتياجات العملية للمستعمرات والمدن الإغريقية. ويتم تشييد المدن عن طريق تخصيص الأراضي لمواقع الأبنية مسبقا وحسب الأهمية، فللاغورا (Agora) التي هي نواة ومركز حياة المدينة، خصص عدد من الوحدات المربعة أو المستطيلة والتي ضمت معابد المدينة، وأسواقها التجارية، ومراكز لتجمعاتها السياسية، وتميزت الشوارع بعرض واسع نسبيا، وقسم منها رصف بالحصى الناعم، وقسمت أراضيها المخصصة للسكنى إلى وحدات سكنية، ثم وزعت على المواطنين بالتساوي[2].وان هذه المدن كانت تشبه المدن المعاصرة لها في بلاد اليونان بما تمتعت به من وسائل الحياة التي لابد منها في المدينة الكلاسيكية، من الاغورا،

---

[1]) ألصالحي،"المدينة،ص٣٤٩-٣٥٠.

[2]) المصدر نفسه،ص٣٥٠-٣٥١.

والمسرح، والمباني الرسمية، والمدارس، والينابيع العامة. وكان يقطنها جماعات من الموظفين، والتجار، وأصحاب المصارف، والصناع، والمزارعين، الذين يعملون في الصناعات والفنون حسب الأسلوب اليوناني، ويعبدون آلهة يونانية، وكانوا جميعهم من الإغريق أو من المتأثرين بالهلينية. من جانب أخر فان المدن الشرقية القديمة، وكل ما يبعث فيها النشاط من: تجارة، وصناعة وطنية، وديانة، وعلوم، وقوانين، ومؤسسات لم تصب بأي ضرر[1].

من هذا يتضح إن تشييد المدن الجديدة قد افرز نمطين من الحياة الأولى: خاصة بالمدن الشرقية القديمة التقليدية، وأخر: خاصا بالمدن الجديدة.

بكل الأحوال هذا لا يعني إن التجديد، والتطوير في مفهوم المدينة ارتبط بالإغريق الوافدين. فالمعروف إن البابليين والأشوريين أول من بنى المدينة بشوارع مستقيمة متقاطعة قائمة، فالملك الاشوري سنحاريب(٧٠٥-٦٨١ قبل الميلاد) عندما أعاد تشييد مدينة نينوى اعتنى بالطريق المؤدي إلى القصر الجديد، فقد قام بتوسيع الشوارع الموجودة ليعمل طريقا ملكيا عرضه أكثر من تسعين قدما، يتألف من طريق مرتفع من ألواح الحجر الكلسي[2].وفي مدينة بابل نجد أنها تتألف من ثمانية شوارع عريضة يؤدي كل منها إلى أبواب المدينة، وتنظم إليها الشوارع الضيقة، والأزقة، والمنعطفات المسدودة غير النافذة بالبيوت السكنية الخاصة، وهي بالطبع لم تكن تبدو جميلة بهذه الدرجة كالشوارع، وغير مبلطة بالحجارة ولكنها بقيت بحالة نظيفة ومرتبة، وبما إن أرضية المدينة عبارة عن طبقة زراعية سميكة لذا كانت أرضية الشوارع مغطاة بخليط من خامات الأجر المكسرة والنفايات والرماد والأوعية الخزفية المكسرة المدكوكة بإحكام[3].رغم إن المدن الشرقية لم تصل إلى مستوى المدن الجديدة من حيث التخطيط إلا إن المخططين الشرقيين تمكنوا من التوصل إلى مفاهيم مهمة في تخطيط المدن، من ضمنها ظهور الشوارع المستقيمة.

---

[1]) تشايلد،ماذا حدث في التاريخ،ص٢٣٨.

[2]) ساكز،قوة أشور،ص٢٧٤.

[3]) ف.أ.بليافسكي،أسرار بابل،ترجمة:توفيق فائق نصار،(دمشق:دار علاء الدين،٢٠٠٧)،ص١٥٧.

من النتائج الأخرى لغزو الاسكندر للشرق انه نفسه كما يبدو قد وقع تحت سطوة المؤثرات الشرقية، وربما كان تعيين مازيوس كأول فارسي يتولى منصب إداري في إمبراطورتيه له مغزاه، فقد كانت تعاليم أستاذه أرسطو له تقضي بعدم صلاحية البرابرة(المقصود بهم هنا الشرقيين) بطبيعتهم للحكم واعتبارهم غير أهل له، فأراد الاسكندر أن يرى مدى صلاحية ذلك، وكان أرسطو قد علمه إن أولئك البرابرة لابد من معاملتهم كما يعامل العبيد، ولكن الاسكندر قد أدرك إن معلمه أرسطو ليس مصيبا في هذا الشأن. فالإسكندر كانت قد بهرته الحضارات الخالدة التي كانت عليها مصر وبابل[1].وسرعان ما اخذ الاسكندر يميل للشرق، ويقع تحت تأثيره فعين الفرس في المناصب الإدارية، والجيش، واظهر اهتماما متزايدا بالفرس بعد موت داريوس فدعم الارستقراطية الفارسية، واقتبس العادات الفارسية منها: الظهور بالملابس الفارسية في مناسبات معينة، والمشاركة في الاحتفالات الفارسية، ومتخذا مراسيم البلاط الفارسي، فضلا عن ذلك فقد اتخذ عادة السجود له وهي عادة فارسية، وكان بمقتضاها على جميع من يقتربون من الملك أن يؤدوها. وكان هذا الإجراء بالنسبة للفرس، أمرا اقتضته الشعائر الرسمية، فلملوك الأخمينيون ليسوا بآلهة، وليس السجود بنظر الفرس ما يتضمن عبادة، ولكنه في نظر اليونانيين والمقدونيين كان ينطوي على عبادة حقة، وما كان الإنسان ليسجد إلا للآلهة، وكان الاسكندر على بينة تامة من الكيفية التي لابد أن يفسر بها ذلك السجود. وبناء على ذلك فهو لابد كان يبغي أن يصبح إلها، وفي الواقع إن المقدونيون لم يبدو معارضة فعالة من هذه العادة، ولكن استياءهم، بل غضبهم كان جليا. ويمكن أن ننظر إلى هذا الاستياء ليس بسبب مسألة السجود للملك فقط، بل تذمر من كل سياسته الشرقية تلك السياسة التي جوبهت بشدة من قبل جنده المقدونيين، وقد قتل الاسكندر فيما بعد كليتوس الصديق المقرب إليه عندما أعلن احتجاجه على سياسته الشرقية، ودعم الفرس، وعيره بأنه ابن أمون، وليس ابنا

[1]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٧-٩٨.

لأبيه [1].وقد واجه الاسكندر مصاعب اشد عندما اخذ بالاستعداد لدفع مكافآت إلى المتقدمين في السن من جنده المقدونيين المتمرسين في القتال، بغية صرفهم من الخدمة وإعادتهم إلى بلادهم، واستبدالهم بالشبان الفرس الذين كان قد مضى عليهم خمس سنوات من بدء تجنيدهم عام ٣٣٠قبل الميلاد، وكانوا يتدربون على فنون القتال، ويقومون بمهمات الجنود في حراسة المعسكرات وحماية الحصون والقلاع. وقد خشي الجنود المقدونيون من إنهم إذا نفذ الاسكندر خطته هذه، سيكون عددهم ثلث عدد الجنود في الجيش النظامي كله، فيصبح بإمكان الاسكندر أن يستغني عنهم متى شاء. ولهذا فقد اغضب ذلك الجند المقدونيون وأعلنوا جميعا: "اتركنا نرجع بأجمعنا إلى بلادنا، وابق أنت وحدك وحارب معاركك بمن معك من الفرس، ومعك أبوك أمون". ولكن عندما عزم الاسكندر على تنفيذ ما هدد به الجند، وأراد إعادتهم جميعا إلى بلادهم، انهوا الإضراب فكان له ما أراد [2].ويبدو إن الاعتراضات التي جوبه بها الاسكندر ليس فقط لتزايد النفوذ الشرقي لدى الاسكندر وحسب، بل ربما ترتبط بنظرة اليونانيين إلى الشرقيين بشكل عام. فالعالم اليوناني كان ينظر إلى الشعوب الشرقية على إنهم من البرابرة، ولاسيما الفرس الذين احتكوا بهم كثيرا في السابق، ففي القرن الرابع قبل الميلاد وفي وقت حملة الاسكندر على الشرق كانت الأفكار السائدة عن الشرق بشكل عام في العالم اليوناني سلبية بشكل واضح، فلم يرق لليونانيين أن يعمد البرابرة مثلا وهم سلالات دنيا لا تعرف القانون إلى مهاجمة بلادهم. ولكن الرأي السديد في ذلك العصر لم يجد مانعا يحول دون أن يهاجم اليونانيون البرابرة متى شاءوا ذلك؛ فأفلاطون يقول إن البرابرة جميعا أعداء بالسليقة، وانه من اللائق أن يشن اليونانيون الحرب عليهم، ولو أدى الأمر إلى استرقاقهم أو إبادتهم، كما سماهم ايسوقراط أعداء طبيعيون، وحض بشدة على خوض مثل هذه الحروب عليهم. أما أرسطو فيعد هذه الحرب عادلة وطبيعية، ونصح تلميذه الاسكندر بان يعامل البرابرة على إنهم رقيق، وهذا هو

---

[1]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص١٣٠-١٣٢؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص١٩-٢٠؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٦.

[2]) برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٨؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص٢٢-٢٣.

وصفهم الطبيعي[1].فإذا ما عرفنا كيف ينظر العالم اليوناني للعالم الشرقي يمكن أن نفهم جانبا مهما من الاعتراضات التي واجهتها السياسة الشرقية للإسكندر.

إن حملات الاسكندر المقدوني على الشرق، وظهور المؤثرات الهلينية لم يمح بشكل مؤكد العادات، والتقاليد السائد في البلدان الشرقية، والتي استمرت لآلاف السنين، وقد تسربت أخبار تقاليد العالم الشرقي للمدونات الإغريقية، وان كانت بشكل مشوه، ولكن تخفي وراءه عادات وطقوس قديمة ما زالت موجود ليس عند دخول الاسكندر بابل، بل حتى إلى قرون متأخرة في عصر بلوتارك الذي يروي قصة عن الاسكندر في بابل تقول: "في ذات يوم بعد أن خلع الاسكندر ملابسه لمسح جسده بالزيت، وكان يلعب بكرة، وقبل أن يجلبوا ملابسه شاهد الشبان الذين كانوا يلاعبونه رجلا مرتديا أردية الملك وواضعا تاجا على رأسه يجلس صامتا على كرسي العرش. وسألوه من يكون؟ فلم يرد، وأخيرا ابلغهم إن اسمه ديونيسيوس وانه مسينيا، وانه جلب إلى هنا من شاطئ البحر بسبب جريمة اتهم بارتكابها، ووضع في السجن زمنا طويلا وان سيرابيس ظهر له وحرر من قيوده، وقاده إلى هذا المكان، وأمره أن يرتدي رداء الملك وتاجه، ويجلس حيث وجدوه ولا يقول شيئا. وعندما سمع الاسكندر ذلك أمر بقتل الرجل وفقا لمشورة عرافية، غير انه فقد حيويته وثقته بحماية الآلهة ومساعدتهم، وأصبح يشك بأصدقائه"[2]إن من الواضح إن ما رواه بلوتارك كان من طقوس بلاد ما بين النهرين القديمة الخاصة بتنصيب الملك البديل، وهو تقليد يبدو ما يزال حيا في وقت دخول الاسكندر إلى بابل[3].

---

[1]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٣٢.

[2]) اوتس،بابل،ص٢١٢-٢١٣.

[3]) المصدر نفسه،ص٢١٣.

المحتويات

History Of Ancient Near East

Studies and Research

By:

Dr. Usama Adnan Yahiya

Assistant professor of ancient history at

College of Arts / University of Mustansiriya



Ashurbanipal

History Of Ancient Near East Studies and Research

Dr. Usama Adnan Yahiya



Ashurbanipal